بسم الله الرحمن الرحيم

عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس
دائرة اللغة العربية

الليل في الشعر الجاهلي

إبراهيم راغب ناجي ملحم

رسالة ماجستير

القدس ــ فلسطين

1427 هـ - 2006 م

الليل في الشعر الجاهلي

إعداد

إبراهيم راغب ملحم

بكالوريوس لغة عربية من جامعة بيت لحم – بيت لحم

المشرف: د. احسان يعقوب الديك

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / بجامعة القدس ـ كلية الدراسات العليا / القدس ـ فلسطين.

1427 هـ / 2006 م

جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا

دائرة اللغة العربية

إجازة الرسالة

الليل في الشعر الجاهلي

الطالب: إبراهيم راغب ناجي ملحم
الرقم الجامعي: 9711209

المشرف: الدكتور إحسان الديك

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 2006/6/14 من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم

1. د. إحسان الديك	رئيس لجنة المناقشة	التوقيع ----------
2. أ.د إبراهيم الخواجة	ممتحناً داخلياً	التوقيع----------
3. أ.د عادل أبو عمشة	ممتحناً خارجياً	التوقيع ----------

القدس ـ فلسطين

1427هـ - 2006 م

إقرار:

أقر أنا مقدم الرسالة أنها قدمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير ، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد، وأن هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أية درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

التوقيع:

إبراهيم راغب ملحم

التاريخ : 2006/6/10

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر، وعظيم التقدير للأستاذ المشرف على هذا البحث، الدكتور إحسان يعقوب الديك الذي أفاض عليَّ من علمه الغزير، ونصحه الأمين، ودعمه الوفير.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى عضوي لجنة المناقشة، الأستاذ الدكتور عادل أبو عمشة، والأستاذ الدكتور إبراهيم الخواجا.

كما أتقدم بالشكر لأستاذي الدكتور المرحوم عبد المنعم فايز طيب الله ثراه الذي فتح لي أبواب مكتبته، ومن بعده أولاده الصالحون الذين حفظوا علمه ووصلوا به عمله لينتفع به كل طالب علم.

الإهداء

إلى روح والدّي اللَّذين غرسا في نفسي، وتحت جلدي الجدّ والمثابرة وتحدي الصعاب.

وإلى زوجي التي قاسمتني عناء السهر ومشاق البحث آناء الليل وأطراف النهار.

وإلى أصدقائي الذين شحذوا بنصائحهم همتي، وشدوا عزيمتي.

إليهم جميعاً أهدي هذا البحث.

بيـــان المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
شكر وتقدير	د
الإهداء	هـ
المقدمة	ز
الفصل الأول	ط
الليل في اللغة والفكر	
المبحث الأول: الليل لغة واصطلاحاً.....	1
المبحث الثاني: الليل في الفكر القديم	10
المبحث الثالث: الليل في الفكر العربي قبل الإسلام.....	15
الفصل الثاني:	22
مواضع ورود الليل في الشعر الجاهلي	
المبحث الأول: ليل المحزونين والمكروبين.....	23
المبحث الثاني: ليل العاشقين.....	29
المبحث الثالث: الليل والخوف.....	34
المبحث الرابع: الليل والصعاليك.....	41
المبحث الخامس: الليل والطيف.....	49
المبحث السادس: الليل والنجوم	52
المبحث السابع: الليل والمطر.....	58
الفصل الثالث:	62
صورة الليل في الشعر الجاهلي	
• الوعي.....	63
• الخيال	63
الفصل الرابع:	81
أبعاد صورة الليل في الشعر الجاهلي	
• البعد الديني والأسطوري.....	83
• البعد النفسي.....	89
• البعد الاجتماعي.....	92
الخاتمة	106
الملخص باللغة الإنجليزية	108
المصادر والمراجع	111
ملحق الشواهد الشعرية	115
ملحق الرسالة باللغة الإنجليزية.....	132

المقدمة:

رصدْتُ أثناء دراستي للشعر الجاهلي، شدّة اهتمام الشعراء الجاهليين بذكر الليل، وما نسجوه حوله من خرافات، وأساطير، وأوهام، وما أحاطوه من عنايةٍ واهتمام يقصر عنه كثيراً اهتمامهم بالنهار.

ولعل هذا الاهتمام يعكس مدى ارتباط الشعراء بالليل مما يحفزنا لسبر غور عواطفهم وقراءة أفكارهم التي تتكىء على فلسفة فكرية وإنسانية. فالظلام الدامس، والهدوء المخيف والهواجس، والشرور، والمخاوف تنشأ في الليل.

والشاعر فنان مرهف، يعكس آراء قبيلته باعتباره لسانها المسلول فهو يحتل مكانة مميزة عن غيره من أفراد قبيلته، اللهمّ إلا إذا كان من الصعاليك.

والليل صنو النهار، وكل منهما منصرم عن الآخر، ولكن كلاً منهما ينفرد عن هذا الآخر بصفاته.

والليل هو وقت الظلام والهدوء والموت المؤقت، والراحة والسكينة وقلة العمل. وهو وقت التفكر والأرق والندم على أمور، والأمل في تحقيق أخرى.

أما النهار فهو وقت الإشراق والنور والعمل الدائب، والانخراط في جريان هذا الكون، إنه وقت النشاط والتعبير عن الوجود، يقول تعالى:"وجعلنا الليل لباسا، وجعلنا النهار معاشاً" [1]

والليل ستارٌ ومغطٍ للكائنات وعليها، كله ظلام في ظلام، وكله باعثٌ للتفكير في أحداث النهار ساعياً لإخفاء أخطائه والتستر عليها، أو للتفكير في أعمال شريرة تتم ليلاً أو نهاراً فهو يغشى ويغطي كل شيء. يقول عز من قائل: "والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلى".[2] فالنهار بسطوعه وإشراقه يكشف حُجُبَ الليل.

والعربي الجاهلي عاش هاتين الظاهرتين وبالغ في التأثر بهما وفي الاحتفاء ببعض الصفات الأسطورية والخرافية عن الليل خاصة، إنه ليل الخوارق

---

[1] الآيتان (11،10) من سورة النبأ.

[2] الآيتان 2،1 من سورة الليل.

والأساطير، وليل الحيوان الخرافي، وليل الجن والغول، والهامة، وليل الأفاعي وقطاع الطرق والصعاليك.

ولما كان هذا الموضوع لم يُوفَ حقه من الدراسات إذ لا توجد دراسة وافية عنه فإنني أجد في بحثي هذا إضافة جديدة.

فقد تناول هذا البحث الليل بشكل عام، من حيث النظرة القديمة عنه، بنعوته وأوقاته، ومواضيعه وعلاقاته بالعاشقين والمحزونين، والخائفين ونظرة الصعاليك إليه.

وقد تطرق هذا البحث إلى بعض النجوم وذكر الأمطار ومدى الوعي والخيال لدى الجاهليين.

وفي البحث الذي اعتمد فيه المنهج التكاملي [1] . تفاصيل كثيرةعن الليل، والذي جاء في أربعة فصول تناول الأول منها قراءات لغوية في معاني الليل ودلالاته. وفي الثاني تناول ليل المحزونين والمكروبين والعاشقين والخائفين، وألقى الضوء على ليل الصعاليك، ولم ينسَ ذكر الطيف صحواً أو نوماً للعاشقين الذين كان كثيرٌ منهم يسهر الليل وكأنه يعد النجوم ويراقبها كما لو كان يراقب القمر وكثيراً ما كان يشهد السحاب المتراكم ووميض البرق، ويسمع قصف الرعد ويشهد هطول المطر.

أما الفصل الثالث، وهو الذي يعد جسم البحث، فقد تضمن دراسة فنية لشعر الليل، وما تثيره صور الليل في وجدان الشاعر الجاهلي، وجرى رصد حركة الليل الدائبة في عقول الشعراء وما أتت بها الصور الجميلة من استعارات وجماليات ميزت الشعراء الجاهليين عن غيرهم.

أما الفصل الرابع فقد تناول أبعاد صور الليل في الشعر الجاهلي دينياً وأسطورياً ونفسياً واجتماعياً باعتبار أن الشعر هو صورة للواقع ومرآة تعكس لنا الحال آنذاك.

ويبقى أن نقول إنّ الليل فيه ما فيه مما يستحق هذه القراءة العميقة في أبعادها وتفصيلاتها.

---

(1) المنهج الكلي الذي يشمل جميع المناهج من أسطورية ونفسية واجتماعية ووصفية.

الفصل الأول

الليل في اللغة والفكر

- المبحث الأول: الليل لغة واصطلاحاً.
- المبحث الثاني: الليل في الفكر القديم.
- المبحث الثالث: الليل في الفكر العربي قبل الإسلام.

المبحث الأول: الليل لغةً واصطلاحاً

بالرجوع الى معجمات اللغة العربية، يتبين لنا أن الليل عكس النهار، ومبدؤه من غروب الشمس، الى بزوغ الفجر. وفي التهذيب، الليل ضد النهار. والليل، ظلامُ الليل كما النهار ضوء النهار. [1] وجمع الليل، ليالٍ، والليل اسمٌ لكلّ ليلة، وفي ذلك يقول دريد بن الصّمّة:

وغارةٍ بين اليوم والأمس فلتةً تداركتها ركضاً بسيد عمرّدِ [2] "الطويل".

الليل واحد، بمعنى جمع، وواحدُهُ ليلة، وقد جمع على ليالٍ.

ويقال ليلةٌ ليلاء، وليلى، أي طويلةٌ شديدةٌ صعبة، وقيل هي أشدُّ ليالي الشهر ظلمةً، وبه سميت المرأة ليلى. وقيل: الليلاء ليلة الثلاثين، وليلٌ أليل، أي شديد الظُّلمة.

وأليل فلان: أي دخل في الليل.

وأليل الليل: إذا اشتدت ظُلمته.

ويبدأ الليل إذا ظهر الهلالُ فيه، وفي معنى الليلاء التي هي ليلة الثلاثين والتي هي أظلم ليلةٍ في الشهر، أنشد ابن برّي[3] لغيره:

كم لَيْلَةٍ ليلاء مُلَبَسَـــةُ الدجـــى أُفْقَ السَّماء سَرَيْتُ غَيرَ مهيـــبِ "الكامل"

الظلمة: (بضم اللام وتسكينها) هي ذهاب النور وتجمع على ظُلُمات، وظُلْمات بتسكين اللام. بدليل قول "الراجز":

(يجلو بعينيه دجى الظلماتِ).

والظُلمات هي الظُّلمة، وربما وُصِفَ بها الليل، فيقال: ليلةٌ ظلماء: أي مُظلمة [4].

والظلامُ اسمٌ يجمع ذلك كالسواد، ولا يجمع فيجري مجرى المصدر، وقال بن سيده [5]:

الظلامُ أول الليل وإن كان مقمراً. ويقال: أتيته ظلاماً: أي ليلاً، ويؤكد ذلك سيبويه [6]:

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة " ليل".

[2] دريد بن الصمة ،الديوان، تحقيق محمد خير الدين البقاعي، دار قتيبه ص 50 شبّه الحصان بالذئب القوي. شاعـــــر جاهلي فحلٌ معمّر، أدرك الإسلام ولم يسلم. (8هـــ/630م) الزركلي.

[3] هو عبد الله، برّي المقدسي/ المصري، عالم عربية نابه. (499–582هـــ/1106–1187م).الزركلي.

[4] لسان العرب، مادة "ظلم".

[5] هو: علي بن اسماعيل، إمام في اللغة وآدابها، أندلسي ضرير كأبيه. (398–458هـــ/1007–1066م).

[6] سيبويه: هو عمر بن عثمان، إمام النحاة. (148–180هـــ/765–796م).

"لا يستعمل إلا ظرفاً، فأتيتهُ مع الظلام أي عند الليل، وليلة ظلمة، وظلماء شديدةُ الظلمة. ويقابلها ليلةٌ قمراء أي شديدةُ الوضوح، وأظلم الليلُ إذا اسودَّ. وفي التنزيل العزيز، "وإذا أظلم عليهم قاموا" [1].

والثلاث الظلم: أول الشهر بعد الليالي الدُّرَعْ وتأتي بعد الثلاث البيض، ثلاثٌ دُرَعٌ وثلاثٌ ظُلَم، وأظلم القومُ: أي دخلوا في الظلام. وفي التنزيل العزيز: "فإذا هم مظلمون[2].

وقولهُ عز وجل: "يخرجهم من الظلمات الى النور" [3] ، أي من ظلمات الضلالة الى نور الهدى، وفي المجاز يقال يومٌ مظلم أي غير بَيِّن أو شديد الشر، أنشد سيبويه لبعضهم:

فأقسمُ أن لو التقينـــا وأنتـــــمُ لكان لكم يومٌ من الشرِّ مظلمُ "الطويل"

وأمرٌ مظلم: لا يُدرى من أين يؤتى له، والعرب تقول لليوم الذي تلقى منه شدّة: يومٌ ذو كواكب: أي اشتدت ظلمتهُ حتى صار كالليل. وفي هذا يقول الشاعر من "بحر الطويل":

بني أَسَدٍ، هل تعلمون بلاءنـــا إذا كان يومٌ ذو كواكبَ أشهبُ؟ "الطويل"

وظلماتُ البحر: شدائده، وشعر مظلم: أي شديدُ السواد.

ونبتٌ مظلـــم: ناضرٌ من شدّة خضرته يضربُ الى السواد [4].

ويقال: أظلم علينا فلان البيت، إذا أسمعنا ما نكره. ولقيتُهُ أدنى ظُلَمْ يعني: لقيتُهُ حين اختلط الظلام.

العتمة: والعتمةُ ثلثُ الليل الأول بعد غيبوبة الشفق، وأعتم الرجل: صار في ذلك الوقت. وعتمت الابلُ أي حلبت عشاءً، وقيل العتمة: هي وقت صلاة العشاء الأخيرة.

وأعتم الليلُ: أي مرّت قطعةٌ منه. وأهل البادية يريحون نعمهم بُعيد المغرب وينيخونها في مراحها ساعة يستفيقونها، فإذا أفاقت بعد مرور قطعة من الليل، أثاروها وحلبوها، وتلك الساعة تسمى عتمة [5].

وعتمة الليل ظلامه، قيل: "طيفٌ ألم بذي سلمْ يسري عتمْ بين الخيمْ" والعتوم هي الناقة التي لا تدر إلا في عتمةً. وفي ذلك أنشد الشاعر عامر بن الطفيل:

سودٌ صَناعيةٌ إذا ما أورَدوا صدَرتْ عُتومُهُمُ ولمَّا تُحْلبِ [6] "الكامل"

والعاتمات هي النجوم التي تظلم من الغبرة التي في السماء، وذلك في الجدب، لأن نجوم الشتاء، أشدُّ إضاءةً لنقاء السماء، بدليل قول الأعشى: نجوم الشتاء العاتمات الغوامضا[7].

---

[1] سورة البقرة، الآية 20.

[2] سورة يس، الآية 37.

[3] سورة البقرة، الآية 257. وسورة المائدة، الآية 16.

[4] لسان العرب، مادة "ظلم".

[5] لسان العرب، مادة عتمم".

[6] عامر بن الطفيل، الديوان، دار صادر، دار بيروت، 1963، ص29.

[7] اللسان، مادة "عتم".

دَلْهَمْ: ليلٌ مُدْلَهِمٌّ: أي ليلٌ أسود.

وادلهم الليلُ والظلام، كَثُفَ وأسوَدَّ.

وليلةٌ مُدْلهمَّة: أي مظلمة، وأسود مدلهم: أي مبالغ فيه. وفلاة مدلهمة: أي لا أعلام فيها يهتدي بها السائر.

السَّدَف: والسُّدفـــة: الضوء والظلام، لأن السَّدفة تعني الستر، والنهار يستر ظلام الليل[1]، كما أن الليل يستر ضوء النهار.

وهي قناع للمرأة، ويقال هو الستر ويقال هو الحجاب، قالت امرأة من قيْس تهجو زوجها:

لا يرتدي مراديَ الحريرَ ولا يُرى بسدفةِ الأمير " الرجز "

وفي قولِ علي كرم الله وجهه: "وكُشفت عنهم سُدَفُ الرِّيْبِ"، أي ظُلَمُها.

وأسدف الليل: إذا أظلم وستر من تحتهُ. والسّدْفةُ هي الظلمة والجمع أسداف.

وقال أبو زيدْ: السَّدفة في لغة بني تميم هي الظلمة، والسُّدفة في لغة قيس هي الضوء وفي لغة نجد الظلمة وهذا من الأضداد (وأقطع الليل إذا ما أسدفا)، أي إذا أظلم.

ويقال: إن السُّدفة طائفة من الليل، أو هي اختلاط الضوءِ والظلمة جميعاً، كوقتِ ما بين صلاة الفجر الى أول الأسفار[2].

والسُّدفةُ ظلمةٌ فيها ضوء، من أول الليل وآخره ما بين الظلمة الى الشفق، وما بين الفجر الى الصلاة.

ويقال: أسْدَفَ الليلُ وأزدَفَ: إذا أرخى ستوره وأظلم.

وقال أبو عمرو: إذا كان الرجلُ قائماً بالباب، قلتُ له أسدِف، أي تنحّ من البيت حتى يضيء البيت[3].

الغَيهب:

والغيهب هو الظلمة الشديدة، يقال: أحسنُ من بياض الكوكب في سواد الغيهب.

---

[1] المصدر نفسه، مادة "سدف".

[2] المصدر السابق، مادة "سدف".

[3] المصدر السابق، مادة "سدف".

غطش:

والغطش: هو السَّدف، وهو الغبَشْ، وأغطشَ الليل إذا أظلم، والآية الكريمة "وأغطش ليلها" وفلاةٌ غطشى أي: عميَّةُ المسالك. قال الأعشى:

وبهماءَ بالليل غطشى الفلا ة يؤنّسني صـــوتُ فَيــّادها [1] "المتقارب"

الغسق:

الغسق هو دخول أول الليل حين يختلط الظلام وغسق الليل، يغسق غسقاً وغسوقاً.

وغسق القمر: إذا أظلم بالخسوف.

ومن المجاز: غسقت العين، وعينٌ غاسقة، إذا أظلمتْ ودمعت، ومنه الغسّاق: وهو ما يسيل من جلود أهل النار وصدورهم، من قيح ونحوه.[2]

دلـــــــم: ليلٌ أدْلَمْ: أي شديد السّوادِ. قالَ عنترة :

ولقد هَمَمْتُ بغارةٍ في ليلةٍ سوداء حالكةٍ كلـــــونِ الأدلمِ [3] "الكامل"

والأدْلم هنا: الحصان الأسود.

حلك:

والحالك هو الأسود، مثل حَلْكِ الغراب، وهو سواده، واحلولك الشيء، اشتد سواده، وليلٌ حالك: ليلٌ شديد السّواد[4].

الدجى:

دجا يدجو الليل: أظلم يظلم، فليل داج، وليلة داجية، مغطية ساترة. والدجية هي الظلمة والدياجي الظلمات.

يقال: ليلةٌ ذات دجى وهي الظُّلَمْ، وهو أحسن من شمس الضحى، وبدر الدجى.

ويقال: ليلٌ داجٍ.

قال الشاعر: والليلُ داجٍ كَنِفاً جلبابه.

---

[1] الأعشى: ميمون بن قيس، أدرك الإسلام ولم يسلم، غطشى: مظلمة. والفيّاد: البوم.شرح ديوان الأعشى–دار الكتاب العربي– بيروت–ط–1968 ص 62.

[2]أرجع إلى اللسان، مادة غسق.

[3]عنتره بن شداد العبسي: البطل الجاهلي، الشاعر الفحل. ديوان عنترة بن شداد–دار صعب– بيروت 1980 ص17.

[4] لسان العرب، مادة "حلك".

ويقول زهير مادحاً قوم سنانٍ والد هَرم:

إذا أدلجـــــوا لِحِوالِ الغِوارِ لم تُلفِ في القَومِ نِكساً ضئيلاً [1] "المتقارب"

وفي المجاز: ثوبٌ داجٍ أي سابغ غطى جسده كُلَّه.

قيل لإِعرابي: بِمَ تعرفُ حمل شاتك؟

قال: إذا استفاضت خاصرتها ودَجَت شعرتها أي سترت جسدها[2].

ويقال: عيشٌ داجٍ، فلانٌ يداجيك، أي يساترك العداوة [3]. والديجور عكس النور.

ومن أوصاف الليل، الأكهب[4]، والأربد[5]، والأغثر[6]، والأدغم [7]، والأضحى [8]، والأورق[9].

الدجى:

دجى الغيم، وهو ألاَّ ترى قمراً ولا نجماً يواريه السحاب، ولكن لا يكون الدجى إلا بالليل، وفيه قولهم، دجى شعر الماعز إذا ألبس بعضه بعضاً.

الصريم:

صَرَمَه يصرمُهُ صَرْماً (أو صُرماً): قطعة [10]، والأصرمان الليل والنهار، فهو الليل، وهو أيضاً الصبح لأن كلاً منهما ينصرمُ عن صاحبه:

الجَونْ:

النبات يضرب الى السواد، من خُضْرَتِهِ .... والنهارُ جُونٌ بالضّمْ [11].

فالجَوْنُ الأبيض أو الأسود، والجُونُ، الليل أو النهار.

وهو الأسود وأيضاً الأبيض.

---

[1] ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، دار بيروت، (1964)،ص53.

وأدلجوا: ساروا في الليل كله، والحوال: المحاولة. والغوار: الغارة. والنكس: الضعيف. والضئيل: المهزوز. وزهير بن ابي سلمى: حكيم شعراء الجاهلية (000–13 ق.هـ/ 000–609م)

[2] لسان العرب: "مادة "دجى".

[3] المرجع السابق، مادة "دجى".

[4] الأكهب: الذي فيه غبرة بشرته سوداء.

[5] الاربد: الذي لونه الى الغبرة.

[6] الاغثر: الذي تخالط غبشته حمرة.

[7] الأدغم: من الخيل الذي وجهه أشد سواداً من جسده.

[8] الأضحى: الأسود.

[9] الأورق: من الخيل الأبيض الى سواد، وهو أطيبها.

[10] القاموس المحيط، دار الجيل–بيروت، 1952، ص141،140،ج4.

[11] القاموس المحيط، ص243، ج2.

ساعات الليل هي:

الشَفق ثمَّ العتمة، ثم السُّدفة ثم الفحمة، ثم الزّلة ثم الزُّلفة ثم البهرة ثم السّحر ثم الفجر ثم الصبح ثم الصباح[1].

وهي على حد قولهم: الشاهد ثم العتمة، ثم الغسق ثم الفحمة ثم الموهن، ثم القطع، ثم الجوسر (الجوس، ثم العبكة، ثم التباشير، ثم الفجر الأول، ثم المعترض، ثم الاسفار، وأسماء أخرى يذكرها اللغويون.[2]

والغلس والعُبش: آخر ظلمة الليل [3].

نعوت الليالي في شدة الظلمة:

الظلمة هي سواد الليل كُلِّهِ، وتوصف الليلة السوداء بالليلة المغدرة أي بيّنه الغدر، شديدةُ الظُّلمة، والليلةُ الدامجة، هي أيضاً الليلةُ المظلمة.

والليلة الخدارية، هي أيضاً الليلة الظلماء شديدة السّواد البهيم، يقال: خدر الليلُ خدراً. وهي من صفات العُقاب أيضاً، فيقال عقابٌ خدارية لشدة سوادها، والليل خمسة أجزاء: خفرة، ومدقة، وسدفة، وهجمة، ويعفور. وغطا الليل يغطو إذا ألبس كلّ شيءٍ ارتفع ويقال غطوتُ الشيء غطواً أي سترته.

ودجا الليل يدجو إذا البس كلَّ شيءٍ، وليس هو من ظُلمة، ولكن، قد يكون من غيم أو غبار[4].

ويقال أسودُ غيهب، وغيْهم.

والليلةُ الطُّرمساء: أي الليلة المظلمة، وليلة طلمساء: لا يبصّرُ فيها، واطرَمّس الليلُ إذا أظلم، وكذلك طرشَم الليلُ وطرمس أيضاً إذا أظلمْ. وعجلساء الليل ظلمته. وقيل هي قطعةٌ منه، وقيل هي العُجَيْساء وقيل هي العلجوم[5].

والليلةُ العلجوم: هي الليلة المظلمة التي لا ترى من سوادها شيئاً، ويوصف بها فيقال ليلةٌ عُلجوم وتعلجَمَ الليل.

وعشواء الليل ظلمتُه، وليلٌ حوشي: ليلٌ مظلمٌ هائل، وعطرشَ الليل بصرَه إذا أظلم عليه وليلٌ أغبش أي ليلٌ مظلم.

والليل المطلخِمْ: الليلُ الأسود، الذي به سحاب. وفحمة الليلِ، شدّةُ سواده.

---

[1] أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار أحياء التراث القديم، القاهرة، ص315–316.

[2] بلوغ الأرب: 274/1، وصبح الأعشى 342/2.

[3] المصدر نفسه، ص31 وما بعدها.

[4] المصدر نفسه، ص31 وما بعدها.

[5] القاموس المحيط، ج2/ باب السين، مادة الطاء ص235.

وليلة غاضبة: أي شديدة الظلمة.

والدّيْسَمْ: الظلمة/وسمي به ولد الدب.

تطخطخ الليل: أي اختلط وأظلم في غيم وغير غيم إذا لم يكن فيه قمر. أي تركه لا يبصر من ظلمته، وأرجحنَّ الليلُ حين يطول في الشتاء.

وليلٌ دامِس: ليلٌ مظلمٌ مع سحاب.

وليلٌ طيسل ودحمس: أي ليلٌ مظلم.

قال الشاعر، "راجزاً":

وادّرعي جلبابَ ليل دُحْمُـــــسِ أسودَ داجٍ مثلَ لونِ السُّنْدُسِ

والغردقةُ: هي إلباسُ الليل كلَّ شيء إذا ستره.

وتأطَّم الليلُ: اشتدت ظلمَتُه.

وليلةٌ بهيم: لا يبصرُ فيها شيءٌ، وهي أشدّهنّ سواداً.

والحندسُ والخندس: هي الليلةُ الشديدةُ الظُلمة.

وعُسْقُ الليل وغَسَقُه: ظلمته واجتماعه.

والغيطلة: هي الظلمة. وقيل هي اختلاط ظلمة الليل. واختلاط ضوء النهار، وليلةٌ عُكمِسْ: أي ليلةٌ متراكمةُ الظلمة.

وعيهقُ الظلام: اشتداده.

والوسوقُ: هو كلُّ دَخْلٍ في الليل وضمِّهِ "والليل وما وسق والقمرِ إذا اتسق" [1].

وسجوفُ الليلة، وسدولهُ ورواقيه، هو إرخاء الليل ظُلمتَه.

متح الليل، وأمتح أي امتد وطال، ويكون ذلك في الشتاء خاصة، وفي نفس المعنى مسجهرْ ومجرهدْ[2].

والفلتة: آخر ليلة من كل شهر [3].

وسميت فَلْتة لأنها كالشيء المُنْفلت بعد وثاق، يقول دريد بن الصّمّة:

وغارةِ بين اليَوم والأمس، فَلْتَةً تَداركتُها ركضاً بسيدٍ عَمَرَّدِ [4] "الطويل"

شبه فرسه بالذئب.

أسماء أوقات الليل والسير فيه:

---

[1] سورة الانشقاق، الآية 17 و 18.

[2] فقه اللغة وسر العربية، ص41.

[3] القاموس المحيط، ج1، باب التاء فصل الفاء والقاف ص160.

[4] البيت في اللسان: أنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة فلت 67/2.

الليل عَقِيب النهار والواحدة ليلة، والساعةُ جزءٌ محدودٌ من الليل والنهار، والأوان، هو الوقت، والضميرْ: هو غروب الشمس، والغشاشُ، أولُ الظُّلمة وآخرها، والشّفقُ حمرة الشمس في أول الليل إلى العشاء.

والظلامُ: أول الليل، وإن كان مقمراً، والاقتحامُ أولُ الليل أيضاً إلى العتمة [1].

والعشاء: من صلاة المغرب إلى العتمة.

والعتمة: هي ثلث الليل الأول.

وجُنحُ الليل: حين تغيبُ الشمس وتذهبُ معالم الأرض.

ويقال جنح الليل: أي مال وأقبل لظلمته.

وطروق الليل: أوّلُهُ.

والهزيع: نصف الليل والجمعُ هُزُع.

وفي نفس المعنى: هزيج الليل.

أما دَهْلُ الليل: صدره، وعتف الليل، وعِدْفُه وقنيف، أي قطعةٌ منه.

وتوّةٌ من الليل أي حينٌ طويلٌ منه.

قال أحيحه بن الجلاّح الهذلي:

ففاضَتْ دُموعي توّةً ثم لم تفض عليّ وقد كادت لها العينُ تمرحُ "الطويل"

والتوى: هو الهلاك، وذهابُ الزمان.

ومضى كسْرٌ من الليل: أي قطعةٌ منه.

اتيتُهُ بعد هَدءٍ من الليل: أي بعد نحو رُبع منه أو بعدما هدأت العيون [2].

ومضى عَنكٌ من الليل: أي ساعةٌ منه وهو الثلث الأول، والثلث الباقي منه.

والطائفةُ من الليل: القطعةُ منه.

والهتكة: هي ساعةٌ من الليل.

وكذلك الرؤبة: هي الطائفة منه.

والوَهَنُ: هو نصف الليل، أو هو حين يُدبر الليل.

وجَوْزُ الليل: وسطه، وكذلك جرش الليل وسطُه.

وجُهْمَةُ الليل: هي البقيّةُ من سواد الليل، وتدهور الليلُ إذا أدْبر.

والسَّحَرُ: هو آخر الليل والجمع أسحار. وهو قبيل الصبح في بدايته وآخرته عند طلوع الصباح.

ويقال سار في السحر والسحور، وأصبح القوم وأسحروا.

---

[1] اللسان، مادة عتمة، ص45.

[2] فقه اللغة وسر العربية، ص47.

وعسعسة الليل، حين يدبر، وذلك قبل السحر.

ويقال: عَسَعَستُهُ وهي إقبالُهُ.

وأدلجَ الليل: إذا اقترب من آخره.

وغبشٌ من الليل: أي بقيَةٌ منه.

والغلسُ: قبل الصبح[1].

---

[1] فقه اللغة وسر العربية، ص48.

المبحث الثاني
الليل في الفكر القديم

لا يخفى أن كلمة ليل تدل على عكس النهار واستمرت دون تحوير أو تبديل حتى وقتنا هذا.

هذه الكلمة تطورت من مدلولها المباشر إلى مدلولات أخرى اصطلاحية ونفسية ودينية. وهكذا فقد انسربت هذه الكلمة في نسيج ثقافي آخر لتبدأ في شغل مهام غير المدلول اللغوي.

الليل/الظلام–النهار/الضوء أو النور.

من أولى الاستعمالات الاصطلاحية للكلمة هو تحولها إلى رمز ديني ثقافي، بمعنى أن الليل هو الجانب الآخر من العالم، أو الجزء السفلي منه أو أنه عدو للنهار، وأن الأرواح الشريرة تظهر فيه وأنه يجب محاربته بالنور أو بالضوء، وهذا التقابل بين العتمة والضوء، وجد له تفسيرات عديدة، في أديان كبيرة، ومؤثرة[1] مثل الزردشته والمانوية، التي قسمت العالم إلى قسمين، مظلم ومضيء ولهذا فهناك آلهة للظلام أو الليل وآلهة أخرى للنهار وأن بينها حروبا أبدية لا تنتهي.

وكان العراقيون القدماء يعتقدون أنّ الإله الرئيس للمدينة، يختفي في الليل، ويواجه الخطر في محنة هي أشبه بالمخاض المؤلم قبل الولادة، تلك الفترة التي يختفي فيها هي دامس الظلام، وقبل بزوغ الفجر فيترك سكان مدينته في أشد حالات الحزن واللهفة عليه حيث يجدون أنفسهم من غير إلههم الحامي لهم، وسط موجات القلق والغم في مواجهة المصير المجهول مما بعث لديهم الشعور بالخوف من الليل الذي يفقدهم الأمن والطمأنينة[2].

ومن هنا يقول بعض القائلين إن الليل أنثى، بمعنى العودة إلى الداخل، والرجوع إلى الكهف أو سيادة المرأة وتنازل الرجل عن مهامّه النهارية. وهذا المفهوم يدفعنا إلى الكلام عن الفنون جميعاً باعتبارها أعمالاً ليلية أكثر ليونة وأنثوية من أعمال مثل البناء والحرب والزراعة...الخ.

---

[1] فراس السواح: مغامرة العقل الأولى، دار ابن رشد، 1975، ص100.

[2] د. نائل حنون: عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ط 1، عام2002، ص192.

لليل حضور كبير في الفكر القديم، فالفكر الفارسي اعتبر الليل عدواً يتربع عليه الإله اهريمان، وساعده في ذلك العديد من الأرواح الشريرة حتى هذه الأيام، فإن تلك الطوائف تلبس الثياب البيضاء هروباً من عتمة الليل .

واعتبر الليل في الفكر المصري الجزء السفلي للعالم، ولكن المصريين القدماء، اعتبروا أن هذا العالم فيه قوانين كثيرة تمنع الظلم والتعسف. (المصريون كانوا أكثر دقة في الكلام عن العالم الآخر المظلم). ولكنهم اعتبروا أن الأرواح الفاسدة تذهب إلى ذلك العالم المظلم ولا تعود منه إلا بعد أن تتطهر.

اعتبرت الحضارة الاغريقية أن الليل هو العالم السفلي، وأن ذلك الجزء مظلم ومعتمٌ وليس فيه ضوءٌ.

واعتبرت الكونفوشية والبوذية وجميع الديانات الشرقية الهندية والصينية واليابانية أن الضوء والذوبان فيه ما يعرف بالنيرفانا هو السعادة الكاملة، وبالتالي فان التخلص من الظلام والعتمة هو ما يحقق السعادة للإنسان.

وعبدت حضارات ما بين النهرين (السومرية والآشورية والأكادية)، الشمس كمصدر للإلهام والوحي والتشريع والخلق واعتبرت الظلام أو الليل موئل الأرواح الشريرة والناقصة، وكانت علاقة هذه الشعوب بالنجوم والقمر علاقة شديدة الرسوخ والقوة بحيث استطاعت أو عملت على عبادتها باعتبارها دليل النور في قلب الظلام. من تلك النجوم وعبادتها ظهرت علوم الفلك والحساب والنور والتنجيم والسحر والكهانة.

وهناك شعوب أفريقية كثيرة، عبدت القمر، وكذلك شعوب سامية أخرى منها الكنعانيون والفينيقيون، وفي قصة سيدنا إبراهيم دليل على عبادة القمر فعبده، (فلما أفل قال لا أحب الآفلين) [1].

نظر الإنسان القديم إلى الثالوث الإلهي نظرة تقديس فعبد القمر والشمس والزهرة، وعبادة الإله "القمر" كانت شائعة منذ القدم عند العرب بأربعة أسماء هي(المقّة) و(عم) و(ود) و(سن)، وأسطورة (ود) هي من أكثر الأساطير شهرة إذ قيل أن القمر (ود) ومعناها حب كان رمزا للحب الإلهي. ولقد تركت تلك الأساطير آثاراً في نفوس الناس. بدا لهم من خلالها أن للقمر أثراً في حياتهم حتى أن سلوك الناس والتنبؤ بمصيرهم، قد اقترن بحركات القمر وأوضاعه في السماء.

---

[1] الأنعام، آية 6.

فعند قدامى العراقيين كان خسوف القمر سيئا، ويعد مناسبة للقيام بطقوس لحماية المدينة من الشرور المرتبطة به[1].

إذ كانت تلك الظاهرة خاصّة بغضب الإله، وتقلب أطواره. وأما تصوير الشعراء لسادتهم ورجالهم بالبدر أو الهلال في المديح أو الرثاء، فما هو إلا لتعظيمهم للقمر، قد جسّدوا هذه النظرة بأن اتخذوا صنماً على شكل عجل يعبدونه ويسجدون له. والشمس قد نالت هي الأخرى من التعظيم والتقديس ما ناله القمر.

فاليونانيون عبدوا الشمس منذ القدم، وشادوا لها الهياكل والنُّصُبَ في كل أرجاء اليونان، أما الزهرة فهي ثمرة ذلك الزواج السماوي الأسطوري بين القمر والشمس. وتعتبر رمزاً لآلهة الجمال والحب، فعبدها البابليون، باسم عشتار، واليونانيون باسم "فينوس"[2].

وتبرز الأساطير القديمة التناقض بين الليل والنهار، وإذا كان النهار لا يوجد إلا بوجود الليل، فهو ضده، ومبدد عتمته والعكس صحيح، ومن هنا برز ما يسمى بشاعر النور وشاعر الظلمة[3].

والتتابع الزمني أو التناقض بين نظام النهار المضيء، ونظام الليل المعتم يشكل ثنائية، التتابع بين النظامين، النظام المضيء نظام العفة والصفاء والانتظام، في حين يعبر النظام الليلي عن الألم والحزن والفوضى[4].

ولقد كان مشهد الليل الجليل وقبة السماء الحالكة بنجومها، من أكثر المشاهد تأثيرا في نفس الإنسان القديم، فكان الليل بالنسبة إليه الأصل والنهار هو الفرع. الليل هو الأزلي، والنهار هو الحادث. عن عتمة الليل القديمة، أخذ الكون بالتمايز وعن العَمَاء الأول ظهرت الموجودات وترتبت كما تظهر نجوم السماء في كل يوم من جوف الليل، وعن الظلمة الخافية ظهرت المرئيات الواضحة، إذن فالخلق فعل سري يصدر عن الليل والظلمة، لا عن النهار والنور.

والعتمة هي الرحم البدائي الذي أنجب الكون. وتؤكد معظم أساطير الخلق والتكوين على ظهور النشأة الأولى من لجة الظلمة الأزلية.

ففي الأسطورة البابلية كانت "تعامة" هي الرحم المائي المظلم الذي نشأ عنه الكون والآلهة، وفي الأسطورة المصرية نجد (نون) العماء البدائي المظلم هو الذي أنجب أول الآلهة (رع) وعند الكنعانيين نجد أنه في البدء لم يكن هناك سوى ريح عاصفة وخواء مظلم، وفي

---

[1] د. أحمد اسماعيل النعيمي: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، سينا للنشر، القاهرة، ط 1، 1995، ص141.

[2] المرجع السابق، ص143.

[3] الحسين، قصي: انثروبولوجيا، الصورة والشعر العربي قبل الإسلام، ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، 1993، ص57.

[4] المرجع السابق، ص58.

التكوين التوراتي نجد أنه في البدء خلق الرب السموا ت والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية ومظلمة، وفي الأسطورة السومرية، تنبثق الأجرام السماوية من ظلمة العالم الأسفل"[1].

ونجد أن الليل تميز على النهار، فأولوية خلق الليل على النهار، تستدعي أولوية القمر سيد الليل على الشمس. وأسبقية الديانات القمرية على الديانات الشمسية، ويعتقدون أن نور الشمس وحرارتها قد استمدت من القمر، وخلاصة القول، إن الإنسان القديم نظر إلى الليل والظلمة، نظرة الخوف والتقديس ، فعبد كل ما يرتبط بالليل من مظاهر الكون، من قمر وكواكب ونجوم ليس حباً فيه فهو في حقيقة أمره شيء مخيف لطالما خافه الإنسان وهابه، وتمنى زواله.

من هنا تعمق الموروث في نفوس الشعراء خاصة فنظموا قصائدهم في الليل والقمر، لا تغنياً بهما، وإنما هي صلوات وتراتيل، يتقربون بها إلى هذين المخلوقين المخيفين لاتقاء شرهما، فالظلام مقيت، لا يسعد فيه الإنسان. وفي المثل: اتخذ الليل جَمَلاً [2]، يضرب لمن يعمل بالليل عمله.

يعتقد أن الإنسان، ومنذ فجر التاريخ طوَّر علاقة معقدة مع الليل، فهو من جهة يخاف منه لانعدام الرؤية وكثرة المخاطر، ومن جهة أخرى فإن الليل، وباعتباره ضرورة بيولوجية – يتميز بالعديد من الظواهر المبهرة والمحيرة مثل النجوم والقمر، وما يحملان من مفاجآت وتنبؤات. وهكذا تحول الليل من زمن مرعب إلى زمن ممكن التنبؤ فيه عن الأزمان المقبلة باعتبار أن النجوم والأقمار هي خريطة لما سيأتي من أيام. وهكذا تحول الليل في الذاكرة التاريخية إلى ما يشبه الزمن المقدس. حتى أن شعوباً كثيرة تقيس الزمن بالليالي فتقول مثلاً أربعون ليلة لأن الليل يحمل الخوف والرهبة وهما أساس التقديس والقدسية.

نزعت العقيدة الدينية الأنوثية النيوليتية (عصر المستوطنات الزراعية) نحو مظاهرها المعبرة عنها، وقد كان القمر من بين الكواكب التي عكست مظاهر الأنوثة أكثر من غيره من الكواكب، فكون المرأة بطبيعتها الفسيولوجية والسيكولوجية ذات طبيعة قمرية، فهي مرتبطة بدورة شهرية معادلة لدورة القمر، الذي يبدأ هلالا أول الشهر ليتلاشى في أخره.

وقد كان سكان بلاد الرافدين يعتبرون تمام البدر يوما تحيض به عشتار وتستريح من كل أعمالها، لذا فقد ارتبطت بهذا اليوم مجموعة من المحرمات كإشعال النار والشروع بالسفر، وأكل الطعام المطبوخ. وقد دعي هذا اليوم بيوم السبت أي يوم الراحة، ثم إن ارتباط

---

[1] فراس السواح: لغز عشتار، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1996، ص78.

[2] أنظر: الميداني، مجمع الأمثال، 135/1.

القمر بالخصوبة في الثقافات القديمة، لدليل على ارتباط القمر بالدورات الزراعية، والخصب والجدب. وهناك اعتقاد قديم بأن القمر هو الذي ينفخ الحياة في أرحام النساء[1].

واعتقد المصريون القدماء أن الشمس تموت كلّ يوم، وتقوم برحلتها الروحية تحت الأرض، لتولد من جديد في اليوم التالي، لذا كان مدخل العالم السلفي في نظر الإنسان القديم في الغرب، وخيل إليه، أنه يذهب بعد موته مع الشمس غربا ليعيش هناك. والعرب كغيرهم من الشعوب القديمة، ربطوا بين الغرب والموت وغياب الشمس والظلام.

[1] علي الماجدي: أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة العربية، 1997، ص124.

المبحث الثالث

الليل في الفكر العربي قبل الإسلام

تباينت نظرة الجاهليين لليل، من حيث الحب والكراهية، فكان الليل عند بعضهم يطول، وخاصة العاشقين منهم ويقصر معه صبرهم، فتبدو له النجوم بطيئة كأنها شدّت بحبل مفتول إلى جبل أصم، وفي ذلك يقول امرؤ القيس:

كأَنّ الثُّريا عُلّقتّ في مَصَامِها بأمراسِ كَتانٍ إلى صُمِّ جَنْدلَ[1] "الطويل"

والثريا هنا، تمثل الموعد الذي يلتقي فيه العاشق بالمعشوق، فلا يخافان أعين الحساد أو الوشاة فلطالما انتظرها العشاق، وترقبوا بزوغها. في المقابل نرى ليل المكروبين يطول، وتطول ساعاته، ولكن بوجه عام، ارتبط الجاهليون بالليل المقمر، فهو يفرح معهم، ويحزن لحزنهم، ويحرس العشاق مرة ويفضحهم تارة أخرى، حتى أنهم استبهموه واختلف أمره عليهم، فعبدوه رهبة منه أو رغبة في آلائه[2].

وخافوا على أنفسهم، لو ابتلع الغول قمرهم، فأثاروا الصخب بالغناء والرقص او الضرب على الأواني والصنوج إعتقاداً منهم بأن هذا يحميه.

بقاء النجم في السماء دليل على العتمة والوحشة، فإذا زال النجم زال الليل والخطر، وكثيرا ما وصف الجاهليون الليل بالثقل والطول، فكأن نجومه مقيدة بالجبال أو هي راكدة مثل قطيع من بقر الوحش، فكل الشعراء الجاهليين كانوا يطيلون الليل وينقصونه حسب حالهم العاطفي، فبعضهم كان إذا حل عليه الليل شعر بالحزن القاتم، وهيمنت عليه الأحزان، وبعضهم أحب الليل بقمره ونجومه لأنهما رقباء بلا حسد ولا ألسنة، فحينما يشتاق إلى حبيبته يتمنى ليلة لا يراهما فيها أحد، سوى الكواكب[3].

يقول أحيحه بن الجلاح:

يا ليتني إذا هجـــــع النـــاس ونام الكلابَ صاحِبُهـــــا "المنسرح"

في ليلة لا يُرى بهـــــا أحدٌ يسعى علينا كواكِبُهـــــا [4]

---

[1] أمرؤ القيس، الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل الراجم، دار المعارف في مصر، 1996، ص13.

[2] عبد الاله الصائغ: الخطاب الابداعي الجاهلي، والصورة الفنية، المركز الثقافي العربي، ط، 1، 1997 ص226.

[3] المرجع السابق، ص232.

[4] المفضل الضبي: الفضليات، دار المعارف، مصر، 1983،ص317.

وقد وصف العربي القديم الليل بطريقة حِسيَةٍ رائعةٍ. وتجاوزها إلى وصف تعبيري وجداني. يرى أن الليل يحمل معه أرواحاً قد يراها الإنسان، وأنه النصف السَّيء من العالم، فهذا طائر "الهامة" يصيح في الليل: (اسقوني، اسقوني).

فالليل عنده هو الوقت الأنسب لتلقي الرؤية. فقد ربطوا بين الموت وغياب الشمس والظلام[1].

وكان أُميّة بن أبي الصلت[2] من الأحناف قبل محمد صلى الله عليه وسلم، وكانوا – أي الأحناف – يتخذون السواد شعاراً لهم. فرفض أميّةُ الإيمان بالنبي، فالسواد هو بلون الليل الذي هو ليل الرؤية.

ثمة ألفاظ لا تستعمل إلاّ لليل، فهي خاصة به، ومنها: النفش[3]: وهو أن ترعى الغنم أو الإبل بالليل بلا راع. وقد ورد هذا في القرآن الكريم: (إذ نفشت فيه غنم القوم)[4].

وكذلك فقد ولع العرب الجاهليون بالنجوم، وهذا مرتبط عندهم بمفهوم الحياة، وحركات النجوم وأفعالها، وهي التي تحدد المواقيت، وتنبئ بنزول المطر، وهبوب الرياح. وتهدي المسافرين الى الجهات التي يقصدونها، وهي إلى ذلك تؤثر في الطالع والفعل، سعداً ونحساً حتى زعم المنجمون آنذاك أنهم يجدونها كتاباً يطالعون فيه أسرار الحاضر والغد، فعبدها بعض العرب لاتقاء شرها واستدرار خيرها[5].

ونرى أن الجاهليين قد ذكروا الليل في أشعارهم لأسباب إنسانية موجبة لهذا الذكر، من حيث:

أ – السهاد والأرق.

ب – مكابدة الحب والألم والعشق.

ت – باعتباره وقت ظهور الأرواح الرديئة.

ث – للتأمّل.

ج – امتداداً لرؤية الأمم السابقة له (بمعنى امتداد الرؤية المثيولوجية لليل).

ح – لإظهار تعب الشاعر للوصول الى الممدوح.

خ – لم يتوقف الشاعر عن وصف الليل حِسِّياً، وإنّما تعدّاهُ إلى التعبير الوجداني.

د – الليل في الشعر الجاهلي لم يكن موضوعاً فقط، بل ذاتاً أيضاً.

---

[1] أنظر الصائغ، عبد الإله، الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1977. ص226.

[2] الديك، د.إحسان، الهامة والصدى، مجلة جامعة النجاح– مجلد 13، العدد2/1992، ص25.

[3] أنظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة "نفش".

[4] سورة الأنبياء، الآية،78.

[5] أنظر: الصائغ، عبد الإله، الخطاب الإبداعي الجاهلي، والصورة الفنية، المركز الثقافي العربي، ط 1977،1، ص226.

ط- الشاعر الجاهلي وصف الليل بكل صوره الممكنة، فقد استعمل في ذلك التشبيه البليغ والتشبيه المرسل، والمجاز، والكناية، والاستعارة. فعرب الجاهلية هم الذين انحدرت إليهم كلمة (الليل) مع ما تحمل من ظلال ومفاهيم حضارية وأسطورية واجتماعية، فالليل بالنسبة للعربي القديم كان يشكلُ:

1 -تغيراً فلكياً.

2 -تغيراً نفسياً.

3 -تغيراً اجتماعياً.

4 -تغيراً جمالياً.

لذلك فقد انفعل العربي انفعالاً شديداً وذلك وضح فيما يلي: قدرة العربي على التمييز بين مختلف أوقات الليل بطريقة لا تكاد توجد في أي لغة من لغات العالم.

(الأصيل، الغسق، الوهن، الهزيع، الديجور، الحل، الغلس ... الخ).

ويقسم الجاهليون كّلاً من النهار والليل إلى أثني عشر قسماً، لكل قسم منها ساعة، فيكون مجموع ساعات اليوم أربعاً وعشرين ساعة، وساعتنا المعروفة، مأخوذة من الساعة السومرية البابلية، فقد قسم البابليون الليل والنهار إلى ساعات متساوية هي اثنتا عشرة ساعة لكل من الليل والنهار، وجرى الناس على هذا التقسيم حتى اليوم. وذكر بعض علماء اللغة أن الآناء) هي الساعات، وكان الجاهليون إذا شغّلوا إنساناً بالساعات قالوا لذلك (المساوعة)[1].

ويروي الإخباريون أن العرب وضعت لساعات النهار والليل أسماء غير مستعملة عندنا، فأما ساعات النهار فهي:

(الذرور) (الدرور) ثم البزوغ (البزاغ) ثم الضحى ثم الغزالة، ثم الهاجرة، ثم الزوال، ثم الدلوك، ثم العصر، ثم الأصيل، ثم الصبوب، ثم الحدود، ثم الغروب، ويقال فيها أيضاً البكور ثم الشروق ثم الإشراق ثم الرأد، ثم الضحى ثم الفنوع، ثم الهاجرة، ثم الأصيل، ثم العصر، ثم الطفل، ثم العشى، ثم الغروب[2].

ويقول أهل مكة بوجود فجرين، أحدهما قبل الآخر، فالفجر الأول هو الفجر الكاذب، ويسمى (ذنب السرحان) لدقته، والفجر الثاني هو الفجر الصادق ويقال له (المستطير). والمستطير، يريد المنتشر الضوء ومع طلوعه يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود.

وهناك شفقان، أحدهما قبل الآخر: الشفق الأحمر، والشفق الأبيض، وهو يغرب من نصف الليل.

---

[1] المخصص، (44/9).

[2] بلوغ الارب، (274/1)، صبح الأعشى، (348/2)، نهاية الارب، (147/1).

ويقال لليوم الذي يسبق اليوم الذي نحن فيه، يوم أمس، أو الأمس ونهار أمس، أما البارحة، فيراد بها أقرب ليلة مضت، أي الليلة الماضية وأما اليوم الذي يلي اليوم الذي نحن فيه فهو نهار الغد، والغد، وبكرة.

وذكر بعض أهل الأخبار أن العرب كانت تسمى الثلاث الأول من ليالي الشهر، فتقول: ثلاث غُرر، والثلاث التي تليها ثلاث سمر والثلاث التي تليها ثلاث زهر، والثلاث التي تليها ثلاث درر والثلاث التي تليها ثلاث قمر، وثلاث بيض وتقول في النصف الثاني من الشهر في الثلاث الأولى ثلاث درع. وفي الثلاث التي تليها ثلاثٌ ظلم. وفي الثلاث التي تليها ثلاث حناديس[1]. وفي الثلاث التي تليها ثلاث دواري، وفي الثلاث التي تليها محاق، وقيل إنه يقال لليالي الشهر، ثلاث هلل، وثلاث قمر، وست نقل وثلاث بيض، وثلاث درع، وثلاث بهم، وست حناديس وليلتان داريتان، وليله محاق[2].

أما اليوم، فقد حدد الجاهليون بدأه من وقت غروب الشمس وينتهي مع بدء الغروب التالي له. فصار اليوم عندهم بليلته من لدن غروب الشمس عن الأفق الى غروبها من الغد، فصارت الليلة عندهم قبل النهار ولهذا غلبت العرب الليالي على الأيام في التاريخ، لأن ليلة الشهر سبقت يومه، ولم يلدها، وولدته، ولأن الأهلة لليالي دون الأيام، وفيها دخول الشهر، والعرب تستعمل الليل في الأشياء التي يشاركه فيها النهار، فيقولون أدركني الليل بموضوع كذا، وصمنا عشراً من شهر رمضان، وإنما الصوم للأيام، ولكنهم أجازوه إذا كان الليل أول شهر رمضان[3].

أما اليونان فقد عدّوا مبدأ اليوم عند شروق الشمس، وأما منتهاه فابتداءً شروق آخر، وذلك بخلاف الرومان الذين عدّوا منتصف الليل هو ابتداء اليوم. ومنتهاه عند منتصف ليل تالٍ له، وقد عدّ التقويم العبراني (لُوَحْ) مبدأ اليوم من وقت غروب الشمس، وأما انتهاؤه فابتداء الغروب التالي له. ومنهم من يقدم النهار على الليل، فيفتتح اليوم بطلوع الشمس ويختتم كطلوعها من اليوم القابل، وهو مذهب الروم والفرس.

وذُكر أن العرب خصصوا من الشهر ليالي بأسماء مفردة لآخر ليلة منه، فإنها تسمى (السرار) لاستسرار القمر فيها، وتسمى (الفحمة) ايضاً لعدم الضوء فيها، ويقال لها البراء ،

---

[1] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، الجزء الثامن، دار العلم للملايين، بيروت– 1971،ص464.

[2] مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، مطبعة بولاق، (1283هـ)، (195/2)، وتختلف هذه التقسيمات باختلاف أهل الأخبار، وصبح الأعشى (370/2) وما بعدها.

[3] المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، د. جواد علي، ج8، دار العلم للملايين، بيروت، 171، ص464 .

ولآخر يوم من الشهر، فإنهم يسمونه النحير، وكالليلة الثالثة عشرة، فإنها تسمى السواء، والرابعة عشرة ليلة البدر[1].

واليوم في عرف علماء اللغة، من طلوع الشمس الى غروبها [2]. ولكنهم يتوسعون في معناه أيضاً، فيقصدون به معاني أخرى، مثل الدهر. أما في الاصطلاح فإنه جزء من أيام الأسبوع والشهر والسنة. وهو ليل ونهار، وهما مجتمعان يكونان اليوم فاستعمل اليوم على وجهين: أن يجعل اسماً للنهار خاصة، والوجه الآخر أن يكون اليوم اسماً للمدة الجامعة للزمانين جميعاً أعني الليل والنهار[3].

وقد عرّف اليوم بـــ(يوم) في نصوص المُسند كما وردت فيه لفظة (ليلم) أي ليل للتعبير عن الليل، أي اللفظة ذاتها التي تستعملها عربية القرآن، وردت فيها لفظة (صبحم) [4] بمعنى صبح وصباح، ولا بد أن تكون في لهجات العرب الجنوبيين مسميات لأقسام الليل والنهار على نحو نجده في عربية القرآن الكريم ولا يستبعد أن يظفر بها الباحثون بعد قيام العلماء بحفريات علمية منظمة في العربية الجنوبية.

وقد اختلف الناس في مدلول اليوم على مذهبين:

المذهب الأول:

(وهو مذهب أهل الهيئة) أن اليوم عبارة عن جامع لليل والنهار، مدّته بين مفارقة الشمس نصف دائرة عظيمة، ثابتة الموضوع بالحركة الأولى، الى عودها الى ذلك النصف بعينه، وأظهر هذه الدوائر الأفق وفلك نصف النهار.

والحُذّاق من المنجمين يؤثرون فلك نصف النهار على الأفق بسهولة تحصل بذلك في بعض أعمالهم لأن اختلاف دوائره في سائر الأوقات اختلاف واحد. وبعضهم يؤثر استعمال الأفق لأن الطلوع منه والغروب فيه أظهر للعيان وهو الموافق لما نحن فيه.

---

[1] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص465.

[2] اللسان، مادة "يوم"، (649/12)، وصبح الأعشى، مادة "يوم"، (37/2) وما بعدها).

[3] الأزمنة والأنواء، ابن الاجبالي، دمشق، 1964، ص28.

[4] لسان العرب، مادة "صبح".

ثم منهم من يقدم الليل فيفتح اليوم بغروب الشمس، ويختم بغروبها من اليوم القابل، وعلى ذلك عمل المسلمون وأهل الكتاب وهو مذهب العرب لأنَّ شهورهم مبنية على مسير القمر وأوائلها مقدّرة برؤية الهلال[1].

ويحكى أن الإسكندر سأل بعض الحكماء عن الليل والنهار أيهما قبل صاحبه، فقالوا: هما في دائرة واحدة، والدائرة لا يُعلم لها أول ولا أسفل.

المذهب الثاني وهو مذهب تبناه الفقهاء فيما بعد:

إن اليوم عبارة عن النهار دون الليل حتى لو قال لزوجته: أنت طالق يوم يقدم فلان فقدم ليلاً لم يقع الطلاق على الصحيح. ثم القائلون بذلك نظروا الى الليل والنهار باعتبارين، طبيعي وشرعي.

أما الطبيعي فالليل من لدن غروب الشمس واستتاره، إلى طلوعها وظهورها من الأفق، والنهار من طلوع نصف قرص الشمس من المشرق الى غيبوبة نصفها في الأفق في المغرب، وسائر الأمم يستعملونه كذلك، وأما الشرعي فالليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني وهو المراد بالخيط الأسود من قوله تعالى: "حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر".[2]

والنهار من الفجر الثاني الى غروب الشمس.

ويرى العلماء إن للشمس حركتين: سريعة وبطيئة.

أما السريعة فالحركة الفلكية بها في اليوم والليلة من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق وتسمى الحركة اليومية.

قال تعالى: "رَبُّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ" [3] أي جهة الشروق وجهة الغروب في الجملة إلا أن الشمس لها غاية ترتفع إليها من الشمال ولتلك الغاية مشرقٌ ومغرب، وهو مشرق الصيف ومغربه. وهو مشرق الشتاء ومغربه، ومطلعها حينئذٍ بالقرب من مطلع بطن العقرب وهذان المشرقان والمغربان هما المراد بقوله تعالى: "ربُّ المشرقين وربُّ المغربين) [4]، وبين هاتين الغايتين مائة وثمانون مشرقاً ويقابلها مائة وثمانون مغرباً ففي كل يوم تطلع في مطلع من المشرق غير الذي تطلع منه بالأمس وتغرب من مغرب غير الذي تغرب فيه بالأمس.

---

[1] صبح الأعشى: في صناعة الانشا، أبي العباس احمد علي القلقشندي، الجزء الثاني، المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص339.

[2] سورة البقرة، جزء من الآية 187.

[3] "رب المشرق والمغرب". الشعراء آية 26، والمزمل، آية9.

[4] سورة الرحمن، آية5.

وذلك في قوله تعالى: "ورب المشارق" [1] ونقطة الوسط بين هاتين الغايتين وهي التي يعتدل فيها الليل والنهار ويسمى مطلع الشمس فيها مشرق الاستواء ومغرب الاستواء ومطلعها حينئذٍ من مطلع السماك (اسم النجم).

وقيل إن النهار عبارة عن الوقت الذي تظهر فيه الشمس على ساكن ذلك الموضع من المعمورة.

والليل عبارة عن الوقت الذي تخفى عنهم منه، فإنه يوجد وقت الصبح في موضع طلوع الشمس في موضع آخر، وفي موضع آخر وقت الظهر، وفي موضع آخر وقت المغرب. وفي موضع آخر وقت نصف الليل.

---

[1] سورة الصافات، آية5.

الـفـصل الـثـانـي

أماكن ورود الليل في الشعر الجاهلي:

- المبحث الأول: ليل المحزونين والمكروبين.
- المبحث الثاني: ليل العاشقين.
- المبحث الثالث: الليل والخوف.
- المبحث الرابع: الليل والصعاليك.
- المبحث الخامس: الليل والطيف.
- المبحث السادس: الليل والنجوم.
- المبحث السابع: الليل والمطر.

نحاول في هذا الفصل رصد ظاهرة الليل في الشعر الجاهلي، وكيف تحوّل نصف الزمن المعتم هذا إلى كلمة معبرة تكشف الواقع وتوظفه وتحيله إلى واقع معاش أو مستساغ.

المبحث الأول:

ليل المحزونين والمكروبين

في الليل، ومع الوحدة، وغياب الأنيس، والجليس، يحضر الحزن، ويسيطر على الروح، ويتحول الى سكين يغوص عميقاً في الوجدان.. وفي الليل، تتضخم مشاعرنا وتتمدد حتى نكاد نلمسها لمس اليد، ولهذا كان الشاعر الجاهلي يعبر عن ألمه وحزنه على حلول الليل باعتباره الوقت المناسب للتنفيس عن مشاعره الحبيسة.

يقول امرؤ القيس مستشعراً ثقل الليل وفظاظته ورعبه أيضاً، ليس لطوله فقط، وإنما لما يكابده من إحساس بالضياع والحزن:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرخَى سُدُولَــهُ عَلِيَّ بأَنْواعِ الهُمومِ لِيَبْتَلـــــي "الطويل"
فَقُلْتُ لَهُ لَمّا تَمَطَّىَ بِجـــــــوْزِهِ وأَرْدَفَ أَعجازاً وَناءَ بِكَلْكَـــلِ
أَلا أَيُّها اللَّيْلُ الطَّويْلُ أَلا انجلَـــــي بِصُبْحٍ ومَا الإِصْبَاحُ منكَ بِأَمثلِ
فَيا لَكَ منْ لَيْلٍ كَأَنَّ نجومَـــــــــهُ بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُـــلِ
كَأَنَّ الثُّرَيّا عُلِّقَتْ في مَصامهـــا بأَمراسِ كَتّانٍ إلى صُمِّ جَنـــدَلِ (1)

فهذه صورة مبدعة كاملة الأوصاف. وإذا كان امرؤ القيس، وصّافاً للخيل، فإنه في هذا الوصف لعتمة الليل، قطع قول كلّ خطيب، فالليل الذي صارت عتمته كموج البحر، "لنلاحظ اتساع البحر، كاتساع الليل"، يتحول إلى عملاق جبّار يلقي بثقله على كل شيء، صورة بزّ الشاعر غيره من الشعراء في وصفها. وتبدو معها الهموم ثقيلة، حتى أن القارىء ليشعر بثقل تلك الهموم من خلال رصده وملامسته لتضاريس تلك الكتل المتراصة الثقيلة في الأبيات الشعرية.

وها هي صاحبة عدي بن زيد التي لم تجد غير الليل لتلوم زوجها وتعنّفه على تهوره وتسرعه، فيما يسميه هو، شجاعة وكرما، ومروءة":

وعـــاذَلَةٍ هَبّت بِلَيْلٍ تَلومُنِـــــي فَلَماغَلَتْ في اللَّومِ قلْتُ لها اقصـــدِي "الطويل"
أعاذِلُ إنَّ اللَّـــوَمَ في غَيْرِ كُنْهِهِ عَلَيَّ ثَنَـــى مـــــــنْ غَيِّكِ المُتَـــرَدّدِ
أعاذِلُ إنَّ الجَهْـــلَ من ذلّة الفَتَى وإنَّ المنايـــــا للرّجـــــالِ بمَرْصـــدِ

---

(1) ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطابع دار المعارف بمصر، ط2، 1974، ص16.

أعاذِلُ ما أدْنّى الرَّشادَ مِنَ الفَتَى وأَبْعـــدَهُ منـــهُ إذا لـــم يُســـــــــدَّدِ
أعاذِلُ مَنْ تُكْتَـــبْ له النَّارُ يَلقَها كِفاحاً ومن يُكْتَبْ له الفـــــوزُ يَسْـــعَدِ
أعاذِلُ قد لاقَيْـــتُ ما يَزَعُ الفَتَى وطابَقْتُ في الحِجْلَيْنِ مَشْـــــيَ المُقَيـــَّدَ
أعاذِلُ ما يُدرِيـــــكِ أَنَ مَنِيّتي إلى ساعةٍ في اليَومِ أَوْ في ضُحى الغَدِ (1)

الليل هنا يذكّر الشاعر بالموت، لأن كل ليلة تنقضي ينقص العمر فيها. وقد سبقه إلى ذلك طرفة بن العبد في حساب العمر بالليالي، عندما قال في معلقته الشهيرة الممتلئة بالحكمة، وقد تبدو هذه الحكمة مستغربة لشاب لم يبلغ سن الحكمة في الثامنة والعشرين من عمره، يقول:

أرى العمرَ كَنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ وما تَنْقُصُ الأَيّامُ والعمرُ يَنْفَـــــدِ (2) "الطويل"

ويبرز، السؤال حول سبب ربط طرفة "كنز الدهر" بالليالي، فالليل مرتبط بالنوم، والنوم موت... فيما يلاحظ الباحث دقة الشاعر في تفريقه بين الزمن (الأيام) والعمر الذي سماه (الدهر). وهذه زوجة عروة بن الورد تجد الليل مناسبة للوم.. لوم زوجها، فيقول متضايقاً من لومها، كاشفاً عن مكنون نفسه أمام الليل ومخاطباً لها: إمّا أن تنامي، وهذا غالباً ما يكون في الليل، وإما أن تسهري، وهذا لا يكون إلاّ في الليل، وأبياته:

أَقِلّي عليَ اللومَ يـــا بْنَتَ مُنْذِرِ ونامي، وإن تشتهي النوم فاسهري"الطويل"
ذريني ونفسي، أمَّ حسان إنني بها قبلُ أن لا أمْلِكَ البيع مشتـــري
ذريني أُطوّف في البلاد لعلّني أخَلِّيكِ أو أُغنيكِ عن سوء مَحْضري
فإن فازَ سهمٌ للمنيةِ لم أكـــــن جزوعاً، وهل عن ذاك من متأخَّرِ (3)

هكذا، فإن حلول الليل بالنسبة للشاعر، وضعه أمام مشكلة اجتماعية، ووجودية، فهو يقرر أنّ نفسه أُعطيت له دون استشارته، أي أن حياته أعطيت له ولا دخل له في ذلك،

وهذا سويد بن أبي كاهل يستثقل الليل، وهو ليلٌ يسحب النجوم ببطء شديد، ليس كليل امرىء القيس المقيد بأمراسٍ من كتان، ويقول:

---

(1) ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق وشرح د. حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1957، ص58.
(2) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، دمشق، 1975، ص36.
(3) ديوان عروة بن الورد، دار الكتب العلمية ــ تحقيق أسماء أبو بكر محمد ، بيروت، ص 67.

يَسْحَبُ الليلُ نُجوماً طُلّعـــاً فَيُواليها بطيئاتِ التبـــــعْ [1] "الرمل"

أما حاتم الطائي فيصف الليل بالطول الممل، وكأن شمسه لا تطلع:

أبى طول ليلِك إلاَّ سُهــوداً فما إنْ يَبينُ لصبحٍ عمــودا [2] "المتقارب"

أما المثقب العبدي الذي ضاق بالليل ذرعاً، فيعتقد أن النجوم حيارى لأنها ما إن تغب حتى تظهر، في حركة حيرى تثير الضيق:

كأَني أُقاسي مِنْ سَوَابِقِ عَبْرَةٍ وَمِنْ لَيْلَةٍ قَدْ ضَافَ صَدْرِي هُمُومُها "الطويل"

تُرَدُّ بِأَثْناءٍ كَأَنَّ نُجُومَهـــــا حَيَارَى إِذَا ما قُلْتُ: غَابَ نُجُومُها [3]

أما المهلهل بن ربيعة، ذو الشهرة الواسعة باسم الزير، فقد نسج علاقة خاصة مع الليل، فهو قد يبكي من الليل القصير، وهو لا يعرف النوم إذ أنه لا يصحو لأنه ببساطة لا ينام، يقول:

أليلَتَنا بذي حُسُمٍ أنيـــــري إذا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فلا تَحوري "الوافر"

فإِن يَكُ بالذنائبِ طالَ ليلـــي فقد أَبْكِي من الليلِ القَصيــرِ

وأنقذَني بياضُ الصُّبح مِنها لقد أُنْقِذْتُ مِنْ شَرّ كبيـــــــر [4]

وهكذا نلاحظ أن الصُبحَ قد أنقذ الشاعر من شرٍ كبير، وهو الليل، وهذا يضفي معانٍ جديدة. وهذا ليل الأعشى الذي ربط النجوم إلى صخور، وهو المعنى الذي طرقه امرؤ القيس قبله، فارتباط النجم بالصخر يحمل دلالة توقف الوقت، إذ ليس هناك ما هو أكثر رسوخاً وجموداً من الصخر، يقول الأعشى:

فبتُ بِليلةٍ لا نوم فيهـــــا أكابدها وأصحابـــــي رقودُ "الوافر"

كأن نُجُومَها رُبِطَتْ بِصَخْرٍ وأمراسٍ تدور وتستزيـــــدُ

إذا ما قُلْتُ حَانَ لها أُفُــولٌ تَصَعَّدَتِ الثُّرَيّا والسعـــــودُ

فَلأَيّاً ما أَفَلْنَ مُخوِّيـــــاتٍ خُمودَ النارِ وأرفضّ العَمُودُ [5]

وهذا المرقش الأصغر يكابد ليلة نام فيها السليم–الملدوغ– فيما لم يستطع هو النوم:

---

[1] البيت ورد في كتاب الأمالي للقالي وأورده الدكتور عبد الإله الصائغ في كتابه "الخطاب الإبداعي الجاهلي الصورة الفنية، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997، ص232.

[2] الصانع، ديوان حاتم الطائي، دار صعب، دار بيروت، 1980، ص73.

[3] ديوان المثقب العبدي، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، ط1، 1971، ص101

[4] ديوان المهلهل بن ربيعة، تحقيق وشرح انطوان محسن القوّال، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995، ص112.

[5] ديوان الأعشى ميمون بن قيس، شرح وتعليق محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، مصر، 1974، ص37.

ولَيلَةٍ بِتُها مُسْهِرَةٍ قد كَرَّرَتْها عَلى عَيْنِي الهُمُومُ "مجزوء البسيط "
لم أغْتَمِضْ طُولَها حَتَّى انْقَضَتْ أَكلؤُها بَعْدَما نامَ السَّليمْ [1]

لنلاحظ كلمة "أكلؤها" التي قصد بها الشاعر، كأنني أرعاها مكلفاً بحراستها خوفا عليها. والمرقش هنا يتماثل مع حال الأسود بن يعفر النهشلي التميمي في مكابدته ليلة هم طويلة، يقول:

نام الخليّ وما أُحسُّ رُقادي والهمّ محتضر لـــديَّ وسادي [2] "الكامل"
من غيرِ ما سَقَمٍ ولكن شَفَّني همٌّ أراه قد أَصـــــاب فؤادي
ومن الحوادث لا أبالك أنني ضُرِبَتْ عليَّ الأرض بالأسداد
لا أهتدي فيها لموقع تَلْعَةٍ بين العراق وبَيْن أرضِ مرادِ [3]

وهذا امرؤ القيس يعود مرّة أخرى الى التشكي من الليل، حيث تفيض مشاعره بالحنين إلى أهله الذين تركهم أثناء ترحاله الطويل والصعب، يقول: (راجزاً):

تطاوَلَ اللّيْلُ عَلَيْنا دَمُّـــونْ دَمّونُ إنّا معشرٌ يمانـــونْ
وإنّنـــا لأهْلِنـــا مُحَبَّونْ [4]

والنابغة الذبياني له حكاية أخرى مع الليل، فقد اجتمع الليل والهم ليزيدا من ألمه ووحدته: ""[5]:

كليني لِهَمّ يا أُمَيْمَةَ ناصـــبِ وَلَيْلٍ أُقاسيه بَطيءِ الكَواكِبِ "الطويل"
تَطَاوَلَ حتى قُلْتُ ليسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ الذي يَرْعى النّجومَ بآيـــبِ
وصدرٍ أراحَ اللّيلُ عازِبَ هَمِّهِ تضاعَفَ فيه الحزْنُ من كلّ جانب

---

[1] ديوان المرقشين، تحقيق كارين صادر، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1998، ص95.
[2] المفضليات، 445/2.
[3] المصدر السابق، ص362.
[4] امرؤ القيس، الديوان، دار الفكر، بيروت، 1968، ص10 ودمون من أرض اليمن.
[5] ديوان النابغة الذبياني، دار صادر، ص9، بيروت.

أما قيس بن الخطيم، فهو يسهر الليل وقلقه شديدٌ على أهله المنقسمين على أنفسهم وظلمهم بعضهم بعضاً:

تَقُولُ ابنةُ العَمْرِيِّ آخِرَ لَيْلِهـــا عَلامَ مُنِعْتَ النّوْمَ لَيْلَكَ ساهرُ[1] "الطويل"
فَقُلْتُ لها: قَوْمي أَخَافُ عَلَيْهِمُ تَبَاغِيَهُمْ لا يُبْهِكُمْ ما أُحـــاذِرُ

ومعنى كلمة يبهكم كما قال محقق ديوان الشاعر مبهمة وغامضة، ولكنها تفهم من سياق المعنى المقصود، فهنا بمعنى "لا يسركم، أي لا يفرحكم هذا الأمر الذي أُحاذرُ".

أمّا الشنفرى في لاميّته فيقاسي ليلة طويلة شديدة البرد من "الطويل":

ولِيلَةِ نحْسٍ يصْطَلي القوسَ رَبُّهَا وأَقطُعَهُ اللائي بها يَتَنَبَّلُ [2]

ويقول عدي بن زيد العبادي واصفاً قلقه وهمومه في الليل:

وكأَنَّ اللَّيْلَ فـــيــه مِثْلُـــــــهُ وَلَقِدْماً ظُنَّ باللَّيْلِ القِصَـــــرْ "الرمل"
لم أُغَمِّضْ طولَه حتى انقَضى أتمَنَّى لو أرى الصبحَ جَشَرْ
شَئِزٌ جَنْبِي كأَنـــــّي مُهْـــــدَأٌ جعلَ القَينُ على الدَّفِ إِبـــرْ
غيرَ ما عِشْقٍ ولكـــــن طارقٌ خَلَسَ النَّوْمَ وأجْداني السَّهَرْ [3]

فموقف الشعراء من الليل ليس متماثلاً تماماً، لكنه في معظمه متبرّم منه، فبعضهم يراه مدعاة للسأم والألم بطوله وذلك لأنه يستجمع فيه معاناته وأحزانه، وبعضهم الآخر يتشكى عدم تمكنه من النوم لقلقه على أهله أو لوعته على بعد حبيب، وآخرون يتشكون من تكرار تعاقبه.

---

[1] ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ط 1، 1962، ص208.
منعت النوم: ضبطت في المطبوعة الأوروبية بفتح الميم والنون وسكون العين وفتح التاء، ولها وجه حسن. فكأن الشاعر أراد أن يقول على لسان هذه المرأة: ما منعك من النوم ؟ فلم يتفق له: فقال: علامَ منعت النوم ببناء منعت على ما سمي فاعله.
يُبْهِكِمْ: يفسد أمركم (وقوله لا يُبْهِكُمْ ما أحاذر (دعاء) فكأنه يطلب من الله أن لا يقع ما يحذره فيفسد أمرهم.

[2] ديوان الشنفرى، تحقيق محمد نبيل الطريفي، دار الفكر العربي، بيروت، ط 1، 2003، ص32 و 52. ، وهو توفي 20 ق.هـ(الزركلي)،
والنحس هنا: البرد الشديد، وإذا اصطلى الأعرابيّ قوسه، فليس وراء ذلك في الشِّدة شيء. وأَقطُعَهُ: أجزاؤه ونصلُهُ. فالشاعر يعاني البرد حتى نعته بالبرد الشديد.

[3] عدي بن زيد العبادي،دراسة تحليلية لشخصيته ولشعره بقلم محمد علي الهاشمي ــ المكتبة العربية ــ حلب، ط 1 ،1967 ص 120
جشر: طلع. شئز: قلق. ومهداً من أهدأت المرأة الصبي إذا جعلت تضرب بيدها عليه رويداً لينام، أي إذا ربّتَتْ لهُ، والدف: الجنب.

والحديث عن الهموم والأحزان والمتاعب والسهاد والسهر، أمر يفرض نفسه في الوقت الذي يقضيه المرء بعد يوم طويل قضاه في العمل والكدّ، حتى يهدّه السهر والفكر، فيقع فريسة النوم.

غير أن الأمر يختلف قليلاً عند الصعاليك، فلهم فيه مواجهة مباشرة، السَّماء غطاؤهم غالباً، والأرض فراشهم، والطبيعة الخارجية تؤثر فيهم تأثيراً مباشراً قاسياً في معظم أحايينهم.

المبحث الثاني:

ليل العاشقين

ليل العاشقين مليء بالغزل من نسيب وتشبيب، أي من غزل عفيف وغزل صريح حسّي، ولا يخلو من ذكر اللهو مع النساء، ومن إبراز عاطفة الحبّ للمرأة التي أسرته بجمالها وصفاتها.

والشعراء ليسوا سواء في رقة غزلهم وحديثهم عن العشق. وقد ذكر ابن سلاّم الجمحي أَنّ أمرأ القيس سبق العرب إلى أشياء ابتدعها.. منها رقة النسيب[1].

يقول امرؤ القيس عن صاحبته:

تضيء الظلام بالعشاء كأنّهـــا منارةُ مَمْسَى راهبٍ متبتّـــــلِ [2] "الطويل"

فصاحبته مشرقة الوجه وضاءة، وكأن إشراقتها منارة راهبٍ أضاء مصباحه للصلاة.

ويقول المرقّش الأكبر أنَّ الخمرة المصفّاة، ذات الرائحة الطيّبة، مهما بلغت من طيب الرائحة ليست بأطيب من رائحة فمها وقت زيارته لها ليلاً:

ليست بأطيب من فيها إذا جئتُ طارقاً مِنَ اللّيلِ، بل فوها ألذُّ وأنصَحُ [3] "البسيط"

وأمرؤ القيس ثانية، يقول:

كأَنّ المُدامَ، وصوبَ الغمامِ وريحَ الخُزامـــــى، وذوبَ العَسَل "المتقارب"

يُعَلُّ بـــــهَ بْردُ أنيابِهـــــا إذا النجمُ وســـْـط السَّماءِ استقلْ [4]

ففمها باردٌ لذيذ الطعم ليلاً، فكأنه خُلطَ بريقها خمرٌ وماء باردٌ لهبوب الريح المحملة برائحة الخزامى وكذلك كأن العسل مذابٌ بهذا الريق.

وأوس بن حَجَر:

كأَنّ ريقَتها بعد الكرى اغتبَقَت من ماءِ أدكنَ في الحانوت نضّاح[5] "البسيط"

وريق صاحبة أوس عند النعاس مشبع بما يشبه الخمر.

---

[1] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، مطبعة السعادة بمصر، أنظر: ص 27.

[2] ديوان امرئ القيس، دار الفكر، بيروت، 1968، ص35.

[3] جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي طالب القرشي، المطبعة الرحمانية بمصر، 1345هـ، 1926م، ص211.

[4] ديوان امرئ القيس، شرح الأستاذ السندوبي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، الطبعة الثانية، ص 171.

[5] ديوان أوس بن حجر، مطبعة فينا، ص3. اغتبقت: مزجت ، أدكن: مخبّأ، معتق .

وعنترة، عنده أنّ الليل استمد جماله من شَعْرِ عبلة، يقول:

خَطَفَ الظلامُ كسارقٍ من شعرِها فكأَنّما قَرَنَ الدجـــــــى بدياجي [1] "الكامل"

والشنفرى يقول:

إذا هو أمسى آبَ قُرَّةَ عينه مَآبَ السّعيــدِ لم يَسَلْ أين ظَلَّتِ [2] "الطويل"

وعبيد، وقد تَبَرَّمَت منه زوجه: فأكثرت من التشكي ليلاً:

أَلا عتَبَتْ عليَّ اليومَ عِرسِـــــي وقد هَبّتْ بليْـــلٍ تشتكينـــــي [3] "الوافر".

والليل وقت المتناقضات، وكسر المألوف، وهو وقت الوجدان، والمشاعر الخبيئة والحبيسة، فهذا الليل يأتي بالمعبودات جميعاً وفي مقدمتها القمر، ثم النجوم، وهي آلهة عبدت منذ فجر التاريخ[4] وللقمر تأثير هائل على الأرواح ولهذا فإن الليل يصلح للهو والعبث والحنين للأحبة، والتماسهم والتقرب منهم، ولم يشذ الشاعر الجاهلي عن ذلك، بل اعتبر أن الليل مناسبة مثالية للالتماس والقرب يقول طرفة بن العبد، متخيِّلاً أو ناظراً لا ندري:

جازَتِ البيــدَ إلى أُرحُلِنـــــا آخِرَ اللَّيْلِ بِيَعْفـــــورٍ خــَدِرْ "الرمل"

ثمّ زارَتني وَصَحْبي هُجَّـــعٌ في خَليطٍ بَيْنَ بُـــــــردٍ ونَمِرْ

تَخْلِسُ الطَّرْفَ بِعَيْنَيْ بَرْغَزٍ وبِخَدَّيْ رَشـــــأٍ آدَمَ غِرّ [5]

طرفة يحكي عن امرأة تزوره آخر الليل، بينما صحبَه نائمون، وهم يلبسون ثياباً ملونة، ومن ثم فهي جالسة، وهي خائفة، عيونها كعيون ولد البقرة الوحشية وخدودها كخدود ظبي أبيض البطن وأسود الظهر، صغير، ضعيف.

ولكن الأعشى يزور بيت حبيبته ليلاً رغم المخاطر، يقول:

غَشِيتَ لليلى بليلٍ خــُدوراً وطالَبتَها وَنَذَرْتَ النُّـــــذورا "المتقارب"

وبانَتْ وقد أورثتْ في الفؤا دِ صَدْعاً على نأيها، مستطيراً

مُليكِيَةٌ جاوَرَتْ بالحجـــا زِ قَوْماً عُداةً و أَرضاً شطيراً [6]

---

[1] ديوان عنترة، دار صعب، بيروت، 1980، ص68.

[2] ديوان الشنفرى، تحقيق محمد نبيل طريفي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، سنة2003، ص37.

[3] ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح د. حسين نصار، ط1، 1957، ص133.

[4] أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، خزعل الماجدي، دار الشروق، عمان، 1997، ص25.

[5] ديوان طرفةِ بن العبد، شرح الأعلم الشنتمري وتحقيق درية الخطيب لطفي الصّقال 1975 ص52.

جازت: قطعت، اليعفور: الظبي، البرد والنمر: ثوبان فيهما وشي، الخدِرْ: الفاتر العظام، والمعنى أن هذه المرأة التي تشبه الغزال قطعت الصحراء قاصدةً موضع إقامتنا. والبرغز: ولد البقر، الرشأ: الظبي، الأدم: الأبيض، الغر: حديث السن.

[6] ديوان الأعشى، ص143، غشيت: قصدت، الخِدر: كل ما يواري الانسان من بيت وفجوة، ويحتوي على فتاة مخدرة، وإلاّ فهو "سَتر"، بانت: بعدت، صدع مستيطر: أي تصدع من أوله لآخره، واستطار: تفرق وانتشر، الشطير: البعيد الغريب.

أما امرؤ القيس، فإنه يسهر ليله يستذكر صاحبته البعيدة، يقول:

فَبِتُّ بِلَيْلَةٍ بَثَّتْ هُمُومـــــــي بها من طولِ حالِكةِ السّوادِ [1] "الوافر"
رَعَيْتُ نُجُومَها حتَّى استَقَلَتْ تَواليها بِغَيْرِ سِيـــــاقِ حادِ
أُشَبِّهُها مَقاوِلَتِي وقومـــــــي إذا لَبِسوا السّنَوَّرَ لِلجِـــــلادِ
وأَحزانُ المحِبِّ طَرَقْنَ وهْناً وأَحْزانِي الَّتي طَرَقَتْ وِسَادِيْ
أمِنْ طَلَلٍ لأُمِّ الجَهْمِ عَافٍ يَلُوحُ كَرَقَمِ أَجْنِحَةِ الجَرادِ
بِخَيْفِ مِنَىً فأبكاني عَلَيْهِ بكاءٌ مِنْ حَمَامَةِ بَطْنِ وَادِ [2]

ويقف امرؤ القيس على أطلال صويحباته، فيتذكر أيام الهوى ولياليه، فيصيح متألماً محزوناً:

لِمَنْ طَلَلٌ أَبصرتُه فشجانـــي كَخَطِّ زَبورٍ فـــي عَسيبِ يمانِ "الطويل"
ديارٌ لهندٍ والرَّبابِ وَفَرْتَنَـــى لياليَنا بالنَّعْـــفِ مـــن بَدَلانِ
لَياليَ يَدْعونِي الهَوَى فأجيبُه وَأَعيُنُ مَنْ أَهْوَى إليَّ رَوانِ [3]

وامرؤ القيس شاعر متهتك وحسي وصريح صراحة محرجة، فهو يقص علينا إحدى مغامراته لإثبات رجولته، وأنه لم يبلغ بعد سن العجز:

ويا رُبَّ يومٍ قد لهَوْتَ وليلـــة بآنِسةٍ كأنها خط تمثـــــال "الطويل"
لطيفةُ طيِّ الكشح غيرُ مُفاضةٍ إذا انفتلت مرتجَّةٌ غيرُ متفال
إذا ما الضَّجيع ابتَزّها من ثيابها تميل عليه هونة غير مجبالِ [4]

وعلى عكس امرئ القيس يقدم لنا أوس بن حجر صورة مختلفة تماماً، فهو يقول إنّه لا يستغل الليل للفواحش:

وَلَيْسَ بِطَارِقِ الجارات مِنّي ذُبابٌ لا يُنيمُ ولا يَنـــــامُ "الوافر"

---

[1] ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر .ط 3 ص388، العداد: الذي يعتاده الغم، حالكه: شديدة السواد، رعيت: أي يطلع نجم كذا وكذا، المقاول والمقاولة: الملوك من حمير، السنور: الدروع، وهنا: يعني بعد نومه، وهجعة الليل، الرقم : النقش.

[2] ديوان امرئ القيس، ص85.
شجاني: أحزنني، خط زبور: أي درس وخفيت آثاره، عسيب يماني: أي إشارة إلى أن أهل اليمن كانوا يكتبون عهودهم على عسيب النخيل، والنعق: ما انحدر من الجبل وارتفع من الوادي، وبدلان: اسم موقع وروان: دائمات النظر في سكون.

[3] المصدر السابق، ص30–31، خط تمثال: أي نقش صورة، الكشح: ما بين الخاصرة والضلوع، المفاضة: العظيمة البطن، المتفال التاركة للطيب، ابتزها: جردها، المجبال: عظيمة الخلق الثقيلة.

[4] المصدر السابق، ص 47. الكشح: الخضر / مفاضة: بدينة / متفال: جامدة / مجبال : ثقيلة متدافعة

وَلَسْتُ بِأَطْلَسِ الثوبين يُصْبِي حَلِيلَتَهُ إذا هَجَعَ النِّيـــام [1]

أما المرقش الأكبرُ فيرى حبيبته سليمى بعين الوهم ليلاً، إنّهُ يستحضرها على البعد والفراق:

سَرى لَيْلاً خَيالٌ مِنْ سُلَيْمى فَأَرَّقَني وأَصْحابي هُجُــودُ "الوافر"
فَبِتُّ أَديرُ أَمرِيَ كلَّ حالٍ وأَرْقُبُ أَهْلَها وَهُمُ بعيـــدُ
فما بالي أَفيِ ويُخانُ عَهْدِي وما بالي أُصادُ ولا أَصِيدُ [2]

ولكن زهير بن أبي سُلْمى على ما عرف عنه من فضائلَ يعترف بأنه يزور حبيبته مبكراً، وأنَّ طيف حبيبته يأتيه حتى بعدِ أن يأوي إلى فراشه، يقول:

نَالَتْ بعاقِبةٍ كأنَّ نوَالَهــا طَيْفٌ يَشُقُّ على المُباعَد مُنْصِبُ "الكامل"
في كُلِّ مَثْوَى لَيْلةٍ سارٍ، لها، هادٍ، يَهيجُ بِحُزْنِه، مُتـــــأوبُ [3]

وهذا الشنفرى يقضي ليلته مع صاحبته في بيت كأنّه أحيط بسور لكنه لم يمنع عنه البلل بالندى، يقول:

فبِتْنا كأَنَّ البَيْتَ حُجِّرَ حَوْلَنا بِرَيْحانَةٍ رِيْحَــتْ عِشاءً وَطُلَّتِ [4] "الطويل"

أما أحيحة بن الجلاّح، فينتظر الليل حيث لا رقباء ولا ألسنة، ليدفعه الشوق إلى حبيبته فلا يراهما غير الكواكب:

يا لَيْتَني إذا هَجَع النــاسُ ونامَ الكـــلابَ صاحِبُهـــا " المنسرح "
في ليلةٍ لا يُرى بها أحــدٌ يَسعـــى علينا كواكبُهـــا [5]

ويجمع عبد الله بن عَنْمة بين الهمّ والهوى في الليل، وذلك على البعد والنوى فيقول:

---

[1] ديوان أوس بن حجر تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم، دار صادر، 1967، ص115، الذباب: يعني بها السوء والفاحشة، أطلس الثوبين: يعني الطلسة التي تختفي في الظلام ولو كان أبيض اللون لانكشف، وقيل أنه أراد بالطلسة دنس الثياب الذي هو كناية عن ارتكاب الفواحش.

[2] ديوان المرقشين، تحقيق كارين صادر، 1998، ص51، سرى: أي قدم، هجود: نيام.

[3] ديوان زهير، ص205، نالت: جادت، العاقبة: عاقبة أمرها أي آخر ما كان منها الينا، والطيف: ما طاف من خيالها في النوم، الباعد: المنصب، المتعب، الساري: الطيف يسير في الليل، الهادي: البصير بالسبل والطرقات، المتأوب: الطائف في الليل.

[4] ديوان الصعاليك شرح د. يوسف فكري ــ دار الجيل ــ بيروت 1994 ص17، حجر: أحيط، ريحت: عقبت بها الروائح تحملها الرياح، عشاءً: مساءً فالنسيم عند العشاء يكون بارداً منعشاً، طلت: رُشَت بالطل أي بالندى، المعنى: بِتنا وكأنَّ البيت أحيط بريحانة تعقبق رائحتها مع نسائم المساء.

[5] ابن الجلاح: أحيحة، حسن باجوده، الطائف، 1979، ص103.

أشَتَّ بلَيّلي هَجْرُها وبُعادهـــــا بما قد تواتينا وينفع زادُهـــا [1] "الطويل"
سنلهو بليلى والنوى غيرُ غربةٍ تضمنها من راحتين جمادها
ليالِيَ ليلى إذ هي الهمّ والهَوى يريد الفؤادُ هجرَها فَيَصادُها

والمزرد بن ضرار يقول:
وبيضاءَ فيها للمُخالِم صبوةٌ ولهوٌ لمن يرنو إلى اللهو شاغلُ [2] " الطويل "
ليالي إذ تُصبي الحليم بِدَلّها ومشيَ خزيلِ الرَّجع فيه تَفاتِل

وتأبط شراً يقول:
إني إذا خُلّةٌ ضنَّت بنائِلهـــــا وأمسَكتْ بضعيف الوصل حَذّاقِ [3] " البسيط "
نجوت منها نجاتي من بُجيلة إذ ألقيتُ ليلةَ خَبْتِ الرهط أوراقِي

---

[1] المفضليات، تحقيق شاكر وهارون، دار المعارف، القاهرة 2003، ط4، ص379.

[2] المفضليات، تحقيق شاكر وهارون، دار المعارف، القاهرة 2003، ط4، ص94.
للمخالم: المصادقة والمغازلة. الخزيل: المنقطع.

[3] المفضليات، ط7، 3/1–6.

المبحث الثالث:

الليل والخوف

يصدر الليل والخوف فيه على وجه الخصوص ،من هذا الغياب وهذا الخفاء، وهذا الستر،وليس من قبيل الصدفة أن يقول العرب لوصف قدوم الليل :جن الليل أي غطى وستر، وأخفى أو أن الليل هو الوقت الذي يظهر فيه الجني،وهو المخفي المستور، والفعل جن بمعنى التغطية،والستر والإحاطة،والشمول، ذهب إلى مقاصد عديدة ،ومختلفة، فمن الجني المستور إلى الجنة والجنة، والجنين، والجنان، والجنون، ما نقصده هنا، أن هذا الليل الذي يخفي، ويستر، ويغطي، ويغيب، ويفقد الإنسان القدرة على تحديد الاتجاهات، والقدرة على تحديد الأمكنة، والأشياء، أي أنه يسلبه علمه،ومعرفته،وأدوات قياسه المعهودة، الليل يترك الإنسان وحيدا، وغير قادر، ومشلولاً.

هذا الوقت المخيف،والغامض، وغير المتوقع،يدفع الإنسان دفعا إلى الهواجس والأخيلة،والأوهام وهي آليات دفاع معروفة للتكيف والانسجام والحماية.

إن هذه الآليات المختلفة هي أساس المثولوجيا بمختلف أنواعها وأشكالها،الدينية والأسطورية، التي تشكل الثقافة الروحية والوجدانية لأي جماعة من الجماعات.

فالخوف يدفع إلى التوهم ، ويدفع إلى التآلف مع المخيف لاستيعابه أو دفع شره،أو استجلاب منفعته أو لاستئناسه في هذا الواقع المخيف حضاريا وهو الدافع الأول لبدء الحضارة بكافة أشكالها المادية والمعنوية.

وكلما كان الخوف أكبر، واعمق، وأشمل، كلما كانت الأوهام والهواجس،والأخيلة، أشد شرا وتأثيرا، هذه هي الحال التي نجدها في الشعر الجاهلي الذي عبر عن خوف الجاهلي من الليل، وعن تلك العلاقة المركبة بينه وبين العتمة المخيفة التي فيها ما فيها من وحوش وحيوان خرافي، وكائنات غير مرئية، وظواهر عصيَّة على الفهم.

فقد كان الليل، هو وقت استيقاظ الميت والنائم والراكد،وظهور المستتر، وحركة الراقد، وهو وقت الأصوات، والحركات، واللمعان، والاضطراب، والتردد. وقت التشكل والظهور بصور مختلفة(لنلاحظ من صفات الجن، التشكل والظهور بأشكال مختلفة).

والليل يختصر المسافات ويذيب الأمكنة ويغيرها،ولهذا أو بسبب من هذا، فإن روح المرء تتغير، ووجدانه يختلف، ويصبح مؤهلا لقبول ما لا يقبل، وتصديق ما لا يصدق، وتصبح الأوهام تشبه الحقائق إن لم تكن هي الحقائق ذاتها. الوهم المتحول إلى حقيقة هو طريقة من طرق اجتياز الليل بسلام، أوهو جزء من ثقافة أيضا تشكلت بفعل الزمن لتجعل من المجتمع مستقرا صاحب طقوس وتقاليد وعادات.

الوهم المتحول إلى حقيقة، والحقيقة التي تتحول إلى تقليد والتقليد الذي يتحول إلى سلوك عادي هو تماما ما يجعل من المجتمع مجتمعا ذا ميزات وخصائص.

لم تكن علاقة الجاهلي بالليل، لتختلف كثيرا عن علاقة الثقافات الساميّة المجاورة، وشكّل هذا الليل محورا هاما أو رئيسا من مصا در الأوهام او الأخيلة التي تتحول إلى ثقافة معيشية، فمثلا، ارتباط الليل بظهور حيوان معين، وأصوات معينة، دفع بالشاعر الجاهلي إلى الانتباه إليها، ومن ثم تسجيلها، وخاصة طائر البوم الذي ارتبط صوته وظهوره بالخرائب والدمار، والهجران. لنلاحظ هنا أن الصدى أيضا: العطش، أي دليل غياب الماء، ولهذا دلالة سنشير إليها.

يقول المرقش الأكبر، مقارنا بين صوتين وحالتين ومكانين:

وَتَسْمَع تَرْقاءً منَ البومِ حَوْلَنا كما ضُرِبَتْ بعدَ الهُدُوءِ النّواقِسُ [1] "الطويل"

يشبه الشاعر صوت البوم المتوحش المخيف، "الظامئ" الذي يخرق هدوء الصحراء في الليل، بصوت نواقيس الكنيسة التي تضرب الهدوء، معلنة الدعوة إلى الصلاة، أو دليل الوقت، الفرق بين الصوتين، يتعدى الإيقاع إلى الأمكنة، فالخرائب لا تشبه بالكنائس، والوحشة لا تشبه الألفة. إن صوت البوم يدفع الشاعر إلى تذكر الناس، والأمكنة العامرة ووجود الماء، أي أن خوفه من صوت البوم في الليل يدفعه بسرعة إلى تذكر مناطق الأمان والدفء والماء. ارتباط البوم، بالخراب، والوحشة، والظمأ، يوجب استدعاء نقيض ذلك كله.

الشاعر عبيد بن الأبرص يرغب بأن تكون البومة بعيدة جداً إلى درجة لا يمكن أن "تضر" أو أن تكون قريبة من الحي وهي بعيدة، ويرغب الشاعر أن تظل بعيدة تماماً، فيقول:

أَوَصِرْتُ ذا بُومَةٍ في رَأْسِ رَابيَةٍ أوْ في قَرَارٍ مِنَ الأرضينَ قِرْواحِ [2] "البسيط"

البومة ليست قريبة أبداً، هي على رأس رابية أو في "باطن الأرض" البعيدة، حيث الوحشة والأرواح الرديئة، وهي لا ماء، ولا شجر، ولا إنسان حولها ، هي بعيدة كل البعد عن الشاعر وأهله.

---

[1] ديوان المرقشين، تحقيق كارين صادر ــ دار صادر ــ بيروت 1998 ص57.

[2] ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح، محمد يوسف نجم، دار صادر– بيروت، 1957، بيروت.

صرت ذابومة: أي إذا قُتلتُ فخرج من رأسي بومة تصيح: اسقوني، إلى أن يؤخذ بثأري "كانت العرب تعتقد أن الأرواح تنقلب بعد الموت بُوماً، رابية: تلة، قرواح: ظاهر، المعنى: يُصر على استرساله بعادته الحسنة ولو سببت له القتل.

فصوت البومة المخيف، والموحش، والمرتبط بالخراب والدمار، والهجران، والعطش، يخلق صورة فعلية تجد لها تعبيرات اجتماعية وثقافية، إذ اخترع الجاهلي طائراً شبيهاً بالبومة، يطلق أصواتاً في الليل تعبر عن "العطش"، يعيش في الخراب، والظلام، يذكر بالموت، وطلبه، هذا الكائن الخرافي هو الهام، والهام هو التائه، والعطشان والمهجور، والضال، ومن هنا كانت الصحراء "مهامة".

اختراع كائن ليلي يشبه البوم، في أصواته، وأماكن عيشه، ورغبته في الحصول على الماء، ألا وهو الهامة أو الصدى تحول في وجدان الجاهلي تحول إلى روح القتيل الذي لم يؤخذ بثأره، فهذا القتيل الذي لم يؤخذ بثأره، ترك دون حماية، ودون ماء، ترك وحيداً دون أهل، ودون مساعدة، ولهذا تتحول روحه إلى طائر شبيه بالهامة، يصيح في الليل، طالباً الماء، والماء دليل اجتماع الحي، والأهل، والإنقاذ، واسترداد الحياة والكرامة، أمّا ارتباط الصوت بالماء، فقد وجد تعبيراً حقيقياً تمثل في سلوك فعلي، حيث كان هؤلاء يذهبون إلى بئر ماء قديمة مظلمة القعر، في ليلة ظلماء ينادون فيها، يا فلان ثلاث مرات، حيث يتوهمون سماع صوته[1] "صوت القتيل" الذي يجب أن يسمع في الليل، وهو ما عبر عنه قس بن ساعدة الإيادي:

أُقيمُ على قبريكما لستُ بارحـــاً طوال الليالي أو يُجيبُ صداكما [2] "الطويل"

صورة القتيلين، أو صداهما، يجب أن يسمع في الليل، وليس في النهار، ذلك أن الصوت الجارح المطالب بالماء، الحامل للفاجعة والكارثة يسمع في الليل، وليس في النهار، فأرواح القتلى تذهب إلى قرار الأرض، حيث الظلمة، والوحشة، والخراب (تماماً كالبوم)، وعلى هذا يمكن اعتبار البومة وصوتها طقساً دينياً، ولهذا أيضاً قد نفهم لماذا اقترن صوت البومة، بصوت ناقوس الكنيسة في ما قاله الشاعر عبيد بن الأبرص– أحد الشعراء الجاهليين:

دَعَوْتُ أبا المغوارِ في الحفرِ دعوةً فما آض صَوْتِي بالذي كنتُ وافياً "الطويل"

أَظُنُ أبا المغوارِ في قعرِ مُظْلِـمَ تُجَرُّ عَلَيهِ الذاريـــــــاتُ السّوافيـــا [3]

أبو المغوار، إذن في قعر مظلم تماماً، وحيداً، مهجوراً، تذرو الرياح قبره، والأرواح تذهب إلى حيث الخراب والبرد والريح، والمكان المناسب لذلك هو البئر العميقة المظلمة، يقول شاعر جاهلي آخر، وهو تأبط شراً:

وكم ناديتُه والليـــل ســاجٍ بعاديَّ البِئارِ فما أجابـــــــا [4] "الوافر

---

[1] الهامة، والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي. د. إحسان الديك، مجلة جامعة النجاح للأبحاث المجلد، رقم (13)، العدد2، سنة 1999م، ص16.

[2] قس بن ساعدة الإيادي، حياته، خطبه، شعره، د. أحمد الربيعي، مطبعة النعمان، النجف، 1974، ص130.

[3] الآلوسي، بلوغ الأرب، 30/3.

[4] الآلوسي، بلوغ الأرب، ¾.

الشاعر هنا يبحث عن صديقه في الآبار، البعيدة، والعميقة، والمظلمة، وهو يتوقع أن يسمع صوته في الليل الساجي فقط.

" فقد قدس العرب مواطن الماء القديم واعتقدوا فيها أسراراً غامضة وأضفوا عليها من القوى الخفية ما لم يضفوه على غيرها من الاماكن، حتى كان اذا غم عليهم امر جاءوا الى بئر قديمة بعيدة الغور، ونادوا يا فلان او ابا فلان ثلاث مرات فاذا كان ميتا لم يسمعوا في اعتقادهم صوتا" [1]

إنَّ ارتباط ظهور الأموات، أو أصواتهم في الليل، مسألة عميقة وضاربة في الإرث الإنساني، القديم، والحديث، على حد سواء، وقد اعتقد الجاهليون أن "الصدى" بمعنى العطش والرغبة في المساعدة، الألفة، الدفء، استرداد الحياة، والكرامة، مرتبط بالليل، ارتباطاً وثيقاً، وكأن هذا "الصدى" نوع من الضمير أو كأنّه تنبيه إلى قيمة معينة يجب الإيفاء بها، والالتزام بقوانينها[2] .

لماذا كان الصدى حزيناً، أليس لأن الصدى تذكير بقيمة الثأر والوفاء والالتزام بشروط الانتماء للقبيلة. أليس لأن الصدى تذكير بضياع قيم واختفاء مواثيق!

أليس لأن الصدى يصدر عن روح مغدورة ومتروكة وتشعر بالوحدة والخوف والنكران.

أليس لأن الصدى يتردد في الصحراء المقفرة، بعيداً عن العمران والماء! والاغتراب يعبر عنه الشاعر ربيعة بن مقروم بطريقة تقشعر لها الأبدان:

في مَهْمَهٍ قَذِفٍ يُخْشى الهلاكُ به أصداؤه ماتني بالليل تغريبا [3] "البسيط"

الشاعر الذي يسير في "مهمة قذف" يخشى على نفسه الهلاك، فهو يسمع صوت الهلاك، بأذنيه من خلال "الأصداء".

والصدى: هو صورة الإنسان في صوته، أي أنه مرآته الصوتية. والشاعر، يسمع أصوات القتلى التي تتردد في الصحراء، هو يسير عملياً بين الموتى، ولهذا يخاف على نفسه، أن يتحول إلى واحد منهم، هو لا يرغب أن يتحول إلى مرآته، هو لا يريد أن يتحول الى مثال، بل إلى صورة نفسه. والسيرُ في الصحراء، في بهيم الليل، يدفع الإنسان إلى أن يواجه الموت، من خلال الآخرين الذين تحولوا إلى أمثلة، وهو بسيره في تلك الصحراء، إنما يواجه الموت، ليس من خلال أوهام وإنما من خلال أصوات الموتى، هذه هي قمة الخوف، وربما

---

[1] القبر في الشعر الجاهلي رسالة ماجستير– اعداد روحي ثروت –جامعة القدس – كلية الدراسات العليا – 2001ص 74–75

[2] الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي .د. إحسان الديك، مجلة جامعة النجاح للأبحاث ، مجلد 13 العدد الثاني.

[3] الآلوسي، بلوغ الأرب، 2/ 218 والمفضليات 443/2.

كانت العرب تطلق على الصحراء كل أسماء الحياة (كالمفازة مثلاً) لشدة الخوف من الصحراء المهلكة، وكان الشاعر الجاهلي خير من عبر عن تلك المخاوف وخاصة في الليل.

الهامة التي تستيقظ في الليل فقط، وكأنها الضمير الفردي والجمعي معاً، أو كأنها مثاله المكتمل أو صوت الناس الذين يرغبون في ترسيخ قيمة الثأر، هذه الهامة لها صوت يدوِّي في الليل، مخيفاً ومهلكاً ويطلب استحقاقاً ليس سهلاً يعبر عن ذلك الشاعر مغلس الفقعسي:

وأن أخاكم قد عَلِمْتُم مكانـــه بسفح قبا تسفي عليه الأعاصر "الطويل"
له هامة تدعو إذا الليلُ جَنّها بنى عامرٍ هل للهلاليِّ ثائرُ [1]

الهامة لا تستيقظ إلا إذا "جنها الليل" وكأن الليل هنا هو الوقت المناسب للصدمة، والدهشة، وقوة التأثير، لماذا الليل بالضبط؟!

يبدو أن الليل، بالنسبة لكل ثقافات الأرض تقريباً، هو المقابل للعالم الآخر المظلم والسفلي، نجد هذا لدى المصريين القدماء واليونان وحضارات ما بين النهرين، وكذلك لدى الشعوب البدائية في إفريقيا وآسيا[2].

هذا العالم المظلم، والسفلي، يضطرم، ويزدحم بالأرواح الرديئة القادرة على ارتكاب الشر، وفعله، وترى هذه الأرواح، أن الليل هو الوقت المناسب للظهور، للإيذاء أو لإرسال الرسائل أو التأثير على حياة البشر، هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى، فإن لليل تأثيراً خاصاً على النفوس والأرواح، حيث تكون أقرب الى التوهم، والتخيل، وبالتالي التصديق.

هذا النابغة الذبياني يعبر عن معتقد جاهلي أن الجن يتلبس شكل الأفعى في الليل، وأن خير وسيلة لاتقاء شرْ هو لبس الذهب حيث يكره الجن الذهب، يقول هذا الشاعر:

فَبِتُّ كأنّي ساوَرَتْني ضَئِيلَةٌ من الرُّقْشِ، في أَنيابِها السُّم ناقِعُ "الطويل"
يُسَهَّدُ، مِنْ ليلِ التَّمامِ سَليمُها لِحَلْيِ النّساءِ، في يَديهِ، قَعاقِعُ [3]

في الليل يخرج الجن على شكل أفعى ضئيلة من الرقش، تحمل السم والشر، والشاعر يخاف لذلك جداً، ولهذا لا بد من التصدي لها بحلي النساء التي تصدر قعقعة يخشى منها هذا الجن.

---

[1] الآلوسي، بلوغ الإرب، 312/2.

[2] هذا ما أشار اليه كل من خزعل الماجدي في كتابه "أديان ومعتقدات قبل التاريخ" صادر عن مكتبة الشروق، عمان، عام 1997م. وكذلك مأ أشار إليه فراس السواح، في كتابه مغامرة العقل الأولى، الصادر عن دار علاء الدين في دمشق عام 1996م، الطبعة الحادية عشرة.

[3] ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر، ودار بيروت، لبنان، 1963، ص80.

ضئيلة: أفعى دقيقة اللحم، ساورتني: واثبتني، الرقش: الواحدة، رقشاء: التي فيها نقط بيض وسود، الناقع: القاتل، الثابت، يسهد: يمنع من النوم، ليل التمام: ليالي الشتاء الطوال، السليم: الملدوغ تفاؤلاً له بالسلامة، قعاقع: أصوات كانوا يجعلون الحلي والخلاخل في يد الملدوغ ويحركونها لئلا ينام، فيدب السَّم فيه.

ظهور الجن أمام النابغة الذبياني ليلاً، لا يشبه ظهور الغول، أمام تأبط شراً ذلك الشاعر الصعلوك الذي هجر كل شيء وصادق حيوان البَراري ووحش الصحراء، وهو نفسه الذي تحول إلى كائن ليلي ينام في النهار ويصحو في الليل، وقد رصد تجربته في شعره الذي يكاد يكون شعراً ليلياً، وعلى عكس كثيرين فإن هذا الشاعر لم يعبر عن خوفه من الليل ومن كائنات الليل بل على العكس من ذلك تماماً، فقد تحدث عن شجاعته في مواجهة مخاطر ذلك الوقت المخيف وهنا يتحدث عن ظهور الغول أمامه، فماذا كانت النتيجة؟ يخبرنا الشاعر عن ذلك بالقول:

أَلا مَنْ مُبلغٌ فِتْيانَ فَهْـــمٍ بما لاقَيْتُ عندَ رَحَى بِطـــانِ (1) "الوافر"
وإني قد لَقيتُ الغولَ تَهْوِي بِسُهْبٍ كالصَّحيفةِ صَحْصَحَان (2)
فَقُلْتُ لها: كلانا نِضْوُ أَيْنٍ أَخو سَفَرٍ فخلِّي لي مكانـــي (3)
فَشَدَّتْ شدَّةً نحوي فَأَهوى لها كَفّي بِمَصقولٍ يمانـــي (4)
فَأضرِبُها بلا دَهْشٍ فَخَرَّتْ صريعاً لليدينِ وللجـــرانِ (5)
فَقالَت: عُد. ْ فقلتُ لها: رُوَيْداً مكانَك! إنَّني ثَبـْتُ الجَنـــانِ (6)
فلم أَنْفَكَّ مُتَّكِئَاً عليهـــا لأَنظُرَ مُصْبِحَـــاً ماذا أتاني (7)
إذا عينانِ في رأسٍ قبيـحٍ كرأسِ الهِرِّ، مشقـــوق اللِسانِ
وَساقا مُخْدَجٍ، وسواةُ كلبٍ وثوبٌ من عباءٍ أو شِنـــانِ (8)

هذا الشاعر، لا يخاف، ولكنه لم يجد سوى الليل ليلتقي بالغول لأنه يعرف أن "فتيان فهم" لن يصدقوه لو قال لهم إنه التقى ذلك الكائن المخيف في النهار ذلك أن الليل هو الوقت الملائم لظهور البوم، والهامة والصدى، والجن، والغيلان، وهو الوقت الملائم للروح، والنفس، أن تكون في حالة هشة من الرغبة في التخيل والتوهم، والتصديق.

---

(1) ديوان الصعاليك، شرح د.يوسف شكري فرحان، دار الجبل، بيروت، 1992، ص171–172.

فهم: هي قبيلة الشاعر، ورحى بطان، قطعة من الأرض مشرفة لا يعلوها ماء وهو اسم المكان الذي لقي فيه الشاعر الغول.

(2) السهب: هو المستوي البعيد من الأرض، السهب: الفلاة، الصحصحان: الأرض المستوية.

(3) النضو: المهزول لكثرة السفر، الأين: التعب.

(4) مصقول يماني: السيف منسوب إلى اليمن.

(5) الجران: مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره.

(6) ثبت الجنان: ثبت القلب.

(7) مصبحاً: اسم فعل من أصبح وهو حال.

(8) مخدج: الولد الناقص. الشن: القربة البالية. والسُّوأة ــ هي السوأة أي العورة.

غير أن عروة بن الورد الفارس الشجاع الكريم، يخاف الليل، ولكن أيَّ ليلٍ هذا الذي يخافه، إنه يقول:

أليسَ ورائي أن أدُبَّ على العصا فَيَشمت أعدائي، ويسأَمني أهلي [1] "الطويل"
رهينة قعر الليل كـــــــل عَشِيّةٍ يطيف بي الولدان أهدُجُ كالرّألِ

هذا ما يخشاهُ عروة، أن يتحول إلى عجوز خِرف يضيق به أهله، وأن يظل حبيس البيت كل ليلة يطوف به الصغار، ويتعثّر في مشيه كفرخ النعام الضعيف.

وطائر العنقاء الوهمي الخرافي، الذي يذكرونه لدى تعرضهم لما يُسمع ولا يُرى، ويحضرونه في أذهانهم وأقوالهم لدى المصيبة، وقد ورد ذكره عند الحارث بن حلزة اليشكري، حيث يقول:

فلو أنَّ أُمّي لم تلدني لحلَّقت بها المُغرِب العنقاء عند أبي كلب [2] "الطويل"

وهكذا نجد في الشعر الجاهلي أن الليل ، هو وقت الخوف من كل شيء ، من الإغارة، ومن الأرواح الرديئة، ومن الأصوات المخيفة التي تدعو إلى تنفيذ الاستحقاقات الاجتماعية، وهو وقت الجوع، ووقت السهاد، ووقت الإحساس بالوحدة والعزلة. كل هذا ظهر في شعر الجاهليين، وهو ما نحن بصدد رصده والإشارة إليه.

---

[1] عروة، الديوان، تحقيق أسماء ابو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص89. يهدج: يسير على غير هدى، والرّال: النعام

[2] ديوان الحارث بن حلّزة وعمرو بن كلثوم، دار الجيل، بيروت، والعنقاءُ المُغرب هي ذلك الطائر الوهمي الخرافي، ص 101.

المبحث الرابع:

ليل الصعاليك

لليل مذاق خاص بالنسبة لأولئك الشعراء الذين ثاروا على النظام العام السائد، أو لم يجدوا لهم مكاناً فيه، إذ أنهم اصطدموا بالقوانين أو المعايير السائد آنذاك.

أياً كان الأمر، فإن هؤلاء الشعراء الذين أطلق عليهم "الصعاليك" شكّلوا ظاهرة فريدة في عصرهم، لأنهم ليسوا "ثواراً" بالمعنى الكلاسيكي للكلمة، ولكنهم "غير منتمين" إنهم خارج النظام، ولكنهم يريدون إصلاحه، فثورتهم عليه بيان لعيوبه وتصويب لأخطائه.

"وكانت الحرب بالنسبة لهم مصدرا من مصادر الرزق، اذ ان حياتهم كانت تعتمد على النهب والسلب وليس هذا بعجيب، فان الحياة الجاهلية كانت تفرض على ابنائها اداب الفروسية وتقديس البطولة " [1]

ولليل عند هؤلاء الشعراء مذاق خاص، وطقوس خاصة أيضاً، فالليل مرعب وموحش، وصديق، وستار وفضاء لإظهار البطولة والشرف، واكتساب الرزق أيضاً.

" فهم لم يتركوا فجا من الفجاج الا ارتادوه غير هيابين، حتى يرفعوا عن كواهلهم اعباء الفقر وقلة اليد، وكيف يهابون وقد اضطرتهم قسوة الحياة الى اكل خشاش الارض، واستفاف التراب حفاظا على حياتهم "[2]

لنستمع إلى هذه القصيدة التي يصف فيها الشنفرى حياته في الليل وهي قصيدة تعكس تماماً حياة التشرد والصعلكة والفقر، والشرف أيضاً:

ومرقبةٍ عنقـــاء يقصر دونهـــا أخو الضرورة الرَّجُلُ الحَفِيُّ المُخفَّفُ [3] "الطويل"

نُميتُ إلى أعلى ذُراها وقد دنـــــا من الليل ملتفُّ الحديقةِ اَسِـــــدَفُ

فبتُ على حَدِّ الذراعيـــــن مُحْدِبَاً كما ينطوي الأرقمُ المتعطَّـــــــف [4]

---

[1] الحرب وادواتها في شعر شعراء المعلقات /رسالة ماجستير /اعداد الطالب محمد مرعي الهدروسي /اشراف: الاستاذ عفيف عبد الرحمن –جامعة اليرموك /كلية الاداب/ 1997ص11

[2] عروة بن الورد /حياته وشعره– أ.د ابراهيم الخواجه –منشورات مطبعة النصر التجارية ومكتبتها– نابلس ص 10–110ط1987/2

[3] ديوان الشنفرى، تحقيق نبيل طريفي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، ص57.

المرقبة: مكان المراقبة، عنقاء: طويلة. يقصدونها: يعجز عن بلوغها. أخو الضروة: أي الصياد، والضروة أي التدريب. الرجل الحفي: الرجل غير المنتعل. نميت: نظرت. أسدف: مظلم. مجذباً: منتظراً على قلق. ينطوي: يلتف. الأرقم: ذكر الحية. والبيت في الأغاني، دار الفكر، بيروت، ج21، ص91، ولكن بقوله: الخفي المخفف.

[4] عجز البيت في المصدر السابق: كما ينطوي الأرقش المتقصّفُ

وليس جِهازِي غير نعلين أسحقت صدورهما مخصورة لا تخصـــف
وَضبيَةِ جَرْدٍ وأخلاق ريطـــــــة إذا أنهجت من جانب لا تُكَفَّـــفُ
وأبيضَ من ماءِ الحديد مهنـــــدّ مجدٌّ لأطراف السواعد مُقْطِـــف
وصفراءَ من نبع أبي ظهيـــرةَ ترنُّ كإرنان الشجيِّ وتهتِـــــفُ

في هذه الأبيات ينقل إلينا الشنفرى، مقطعاً من حياته المضطربة والشائكة. فهو يقول إنه صعد إلى مكان عالٍ جداً لا يستطيع وصوله الرجل غير المنتعل، وأنه هناك، على ذلك المكان العالي (الآمن)، وضع رأسه على ذراعيه ليحاول النوم، ولكن كيف ينام؟ فهو قلق ومطارد، ولهذا فهو في ضجعته تلك، على ذلك المكان العالي، يشبه الثعبان المتلوي، ورغم ما يحيط به من ظروف الطبيعة القاسية، فإن الشنفرى كان لا يملك إلا حذاء غير مخصوف، ولا يلبس إلا فرقة بالية لا تكاد تغطيه، ولكنه يحمل سيفاً صقيلاً من ماء الحديد وقوساً مصنوعة من شجر النبع لها صوت كأنين الحزين، فأي ليل يقضيه الشنفرى وهو على هذه الحال؟ ما الذي يدعوه إلى مثل هذه الحياة الصعبة، القاسية، المضطربة.

من الواضح أنه على خلاف شديد مع قومه إلى درجة أن يطلب منهم أن لا يدفنوه في مقابرهم، ولنسمع إليه يقول بعنف شديد وغضب عارم:

فلا تقبروني إن قبـــــري محـــــرم عليكم ولكن أبشري أم عامر [1] "الطويل"
إذا احتملوا رأسي وفي الرأس أكثري وغودر عند الملتقى ثَمَّ سائري
هنالك لا أرجو حياةً تسرنـــــــــي سمير الليالي مُبْسَلاً بالجرائـــر

إنه يحرم جثته على جماعته، ويقدمها للضباع، وهو يشير إلى أن خلافه مع جماعته، هو خلاف وعي وفكر، لنتأمل هذه الكلمة (وفي الرأس أكثري) أي أنه يختلف عنهم بما يحمل في رأسه، إذن فحياة الليل التي يقضيها على رأس "مرقبة عنقاء" لها ما يبررها، والشنفرى واضح في خلافه، واضح في رسالته، واضح في مضمونه، وهو يعلن صراحة انفصاله عن جماعته وهو يدعي أنه يفعل ذلك فراراً للحفاظ على كرامته وشرفه ومبادئه بقوله:

أقيموا بني أمي صُـــدور مَطيّكـــم فإني إلى قـــــــومٍ سواكم لأَميلُ [2] "الطويل":

---

[1] ديوان الشنفرى، تحقيق محمد نبيل طريفي، ص23 و52 و53. ديوان الصعاليك، شرح يوسف شكري فرحات، دار الجليل، بيروت، 1992، ص29. والأغاني، ص89، ج21.

أبشري أم عامر: كناية عن الضبع ويعني ذلك أن جثته ستأكلها الضباع. واحتملت: أي جزت أو قطعت. سمير الليالي: أي أنه لا يرجو حياة مهما طال الليل. ومبسلاً بالحرائر: مسلماً بالذنوب والجرم، إشارة إلى أنه سلم عدوه أعماله.

[2] ديوان الشنفرى، ص64–65. وفي ديوان الشنفرى، ص54، لامية العرب.

أميل: اسم تفضيل من حال–يخاطب الشنفرى قومه ليستعدوا للرحيل، أما هو فيطلب صحبة غيرهم. حمت: تهيأت. الطيات: الحاجات جمع طية. مطايا وأرحل: نياق مجهزة للرحيل. القلى: البغض والعداوة. لعمرك: ولعمري ولعمر الله: ألفاظ تستعمل للقسم إذا دخلتها اللام ترفع ابتداءً وتكون اللام للتوكيد وإلا تنصب نصب المصادر. السيد: الذئب. العملس: القوي.

فقد حُمَّت الحاجات والليـــــــيل مُقْمِرٌ وشدت لطيَّات مطايا وأرحـــــلُ
وفي الأرض منأًى للكريم عــن الأذى وفيها لمن خاف القِلـــــى مُتعزَّلُ
لعمرك ما بالأرض ضيق على امرىء سَرى راغباً أو راهباً وهو يعقلُ
ولي دونكم أهلون: سِيد عَمَلَّـــــــــّس وأرقطُ زُهلولٌ وعَرفاءُ جَيْـــألُ

الشنفرى يرغب بصحبة الوحوش، ويفضلها على صحبة أهله، موقف عنيف وصلب وفريد، هذا الموقف كان لا بد له من ثمن، وهو ثمن باهظ وثقيل، والشنفرى يعترف بما فعل، فيقول:

فأيمت نسواناً وأيتمتُ إلدَةً وعدت كما أبدأتُ والليل اليـــــل [1] "الوافر"

وهو شديد الهداية إلى الطريق ليلاً:

ولستُ بمحْيَار الظَّلام إذا انتحت هدى الهَوْجَلِ العِسِّيف يَهماءُ هوجل[2] "الطويل"
يَسَير مثل الأحمق المتسرعَ الذي لا يعرف أين يتجه في الفلاةِ ،

أما ليل عروة بن الورد، وهو صعلوك آخر، فإن ليله مختلف عن ليل الشنفرى الذي يعترف بجرائمه وذنوبه، عروة يسخر من زوجته التي تنام في الليل ويعلو شخيرها فيما هو مشغول بإطعام الجائعين، يقول:

تَبيتُ على المرافِـــق أمُّ وهْبٍ وقد نامَ العيونُ لها كتيـــــــتُ [3] "الوافر"

ليل عروة بن الورد، ليل قاسٍ أيضاً، ولكنه قاسٍ بسبب طلب الرزق وإلا فالموت أفضل يقول:

فقلت لقومٍ في الكنيف تروَّحوا عشيَّةَ بتنا عنـــــد ماوانَ رُزَّحِ [4] "الطويل"
تنالوا الغنى أو تبلغوا بِنفوسِكم إلىُ مستراحٍ من حِمـــــــامٍ مُبَرِّحِ
ومن يكُ مثلي ذا عيالٍ ومقتراً من المالِ، يطرح نفسه كل مطرحِ

---

[1] الديوان، ص75 وديوان الصعاليك، ص47، وديوان الشنفرى، ص57.
أيّمت نسوانا: أفقدتهنَّ أزواجهنَّ. اليل: اشد ظلمة.
[2] ديوان الشنفرى، ص63
والمحيار: شديد التحيّر. والهوجل: آخر الوعر وتعني هنا البليد. العِسيف: السائر على غَير هدى.
[3] ديوان عروة بن الورد، دار الكتب العلمية، بيروت، ص48.
المرافق: الواصل بين الساعد والعضد، الكوع. أم وهَب: زوجته.. الكتيت: صوت غليان القدر. مسنده أي تنام أم وهب مسندة رأسها على ذراعيها ولها صوت.
[4] المصدر السابق، ص51.
الكنيف: السترة، الحمايةوهي حظيرة للإبل . تروحوا: ساروا بالرواح بالمساء. ماوان: واد فيه ماء. رزح: أي سقطوا من التعب.

عروة بن الورد رجل مسؤول عن عياله، ويأخذ ذلك في غاية الجد والاهتمام وهو دائم البحث عن الرزق، ولهذا فهو يشير إلى تقلبات الدهر، يقول:

ولكنها، والدهرُ يـــــومٌ وليلةٌ، بلادٌ بها الأَجنـــــــاءُ، والمتصيّدُ [1] "الطويل"

وهكذا يقضي أوقاته، وفي الجملة فهو كريم .

عروة الكريم وإن كان ينتسب إلى الصعاليك، فإنّه يفرق بين صعلوك وصعلوك، ويضع المعايير الأخلاقية والمجتمعية لمعنى الصعلكة الحقيقي، وخاصة إذا جنّ الليل، والليل هو مِسَنُّ التجربة وحجر المحك للصعلكة الحقيقية يقول عروة:

لحى الله صعلوكاً إذا جَنَّ ليلُهُ، مُصافي المُشَاشِ آلفاً كلَّ مجزرِ [2] "الطويل"

يَعُدُّ الغنى من نفسه، كلَّ ليلةٍ، أَصابَ قِراها من صَديـــــقٍ ميسَّرِ

ينامُ عِشاءً ثم يُصْبحُ ناعساً، يَحُتُّ الحَصَى عن جنبِـــــهِ المُتَعفِّرِ

يُعينُ نِساءَ الحَيّ، ما يَسْتَعِنَّهُ، ويُمْسي طَليحاً، كالبعيـــر المُحَسَّرِ

يضع عروة الفروق والمعايير بين صعلكةٍ وصعلكة، فالصعلوك المرفوض هو ذلك الذي إذا أقبل الليل عليه أقبل على الأكل وظل يراقبُ موضع نحر الإبل ليأكل اللحم القريب من رأس العظم الطري، ثم ينام وقت العشاء (وفي ذلك تعريض بعدم السهر والقلق والجبن والقعود) لأنه ببساطة حصل على طعام ليلته من صديق له غني، وإذا أصبح هذا الصعلوك فهو يستيقظ ناعساً، ولا يفعل شيئاً سوى أنه ينفض الحصى عن ثيابه التي التصق بها التراب (كناية عن عدم شرفه فهو يقبل أن ينام على التراب، "ولنقارن بين نومة هذا ونومة الشنفرى على مرقبته العنقاء"، وهو رغم كسله وخموله، إلا أنه يساعد جاراته إذا طلبن منه ذلك، ورغم أن هذا الصعلوك لم يفعل شيئاً فإنه يمسي تعباً منهكاً، "وهذا يدل على أن هناك صعاليك أساءوا لفكرة الصعلكة وأهدافها البعيدة والنبيلة. وإن ما وصلنا من شعر صعاليك معدودين هو ذروة تلك الظاهرة وتجلياتها الرفيعة"، أما الصعلوك المعدود فهو صعلوك له وجه منير (مقابل عتمة الليل) لطلبه الرزق من أعدائه الذين لا يستطيعون رده أو الانتصار عليه وإذا لقي هذا الصعلوك حتفه في أثناء ذلك فموته كريم شريف، أما إذا ما انتزع قوته واغتنى فإن

---

[1] ديوان عروة بن الورد ، ص60.

الأجناء: الثمار من الشجر والكلأ من الأرض والعسل من النحل. المتصيّد: من الصيد أو ما يصاد.

[2] المصدر السابق، ص44. وديوانه بتحقيق أسماء أبو بكر ص37.

لحا يلحو فلانا: شتمه، ولحا الله: عبارة للذم والشتم واصل الفعل للوم. الصعلوك: الفقير. جن الليل: أظلم. مُصافي: اسم الفاعل من أصفى. الشيء: أخذه كله. المشاش: جمع مشاشه، العظمة الدسمة. الهشة– آلفاً: من ألف الشيء، اتصل به. المجزر: موضع نحر الابل– وفي رواية مضى في المُشاش في موضع مصافي المشاش.

هذا الغنى جدير به، وفي النهاية يقرر عروة، أنه صعلوك لا يقبل أن يندب أفراد قبيلته بل سيسبقهم إلى الموت، أي أنه من الشجاعة بحيث لن يبقى حياً إذا أهلكوا، وعلى هذا فهو رجل لا يجمع إبله من المرعى، وإنما يجمعها له الأيتام والأضياف، ليذبح منها لهم فيأكلوا، فهذه هي مبادئ الصعلكة الأخلاقية الرفيعة على الأقل كما يحددها عروة بن الورد في قصيدته تلك.

التقابل الذي يقدمه لنا عروة في قصيدته السابقة، بين صعلوك ينام الليل كله معتمداً في طعامه على أصدقائه الأغنياء، إنما يفرض في المقابل نوعاً آخر، من الصعلكة، "الأخلاقية" التي مجالها الليل، وساعتها العتمة، ذلك أن الرزق المنتزع من العتمة هو الرزق الأكثر صدقاً وشرعية، ولهذا فإن عروة يقابل بين صعلوكين وبين ليلين ليل الدعة والتراخي، والكسل، وليل الهمة والنشاط والقوة، عروة بن الورد هذا الرجل المشغول بتأمين الرزق له ولعياله ولمن يحميهم ويعولهم لا يترك فرصة في الليل والنهار لطلب الرزق وها هو يعيب على رجل من بني أكثم من أنمار أنه لم يعطه لا ليلاً ولا نهاراً، فيقول:

ولَقَدْ أتيتكُم بِلَيلٍ دامــسٍ، ولقد أتيتُ سُراتكُم بِنَهـــــارِ [1] "الكامل"
فوجدتُكم لِقَحاً حُبِسنَ بِخُلَّةٍ، وحُبِسنَ، إذ صُرّينَ، غيرَ غِــزار

ولأن لا أحد يعطيه من بني أنمار، فهم كالنياق المحبوسة، المليئة باللبن. فإن عروة لا بد سيأخذ بحد السيف فيقول:

أبلغْ لديكَ عامراً إنْ لقيتَهـــا، فقد بَلَغَتْ دارُ الحِفاظِ قَرارَها [2] "الطويل"
رحلنا من الأجبال أجبال طّيءٍ، نسوق النساءَ عُوذَها و عِشارَها
تَرى كلَّ بيضاءِ العوارضِ طَفْلَةٍ تُفَرّي، إذا نال السِّماكُ، صِدارَها
وقد عَلِمَتْ أن لا انقلاب لِرحلِها إذا تركت، من آخر الليل، دَارَها

يريد عروة هنا أن يهين قبيلة عامر، فيقول إنها بلغت الحضيض، وأنها ضيعت الحسب والحزم، إذ إنه سَبى نساءهم بما فيهن والحوامل والمرضعات، وهن نساء جميلات جداً، لن يعدن أبداً إلى أزواجهن وذويهن، وقد لا نفهم ذلك الآن، ولكن هذه هي القيم التي

---

[1] الديوان، تحقيق أسماء ابو بكر محمد ص75 وديوان الصعاليك، ص89.
ولقد أتيتكم: أي طلبت معروفكم في الليل وفي النهار، فلم أصب منكم خيراً. اللقح: الواحدة لقحة:الناقة الغزيرة اللبن. الخلة: نبات تأكله الابل فتكون قليلة اللبن. صرت من صرى الناقة: لم يحلبها حتى يمتلىء ضرعها لبناً.

[2] الديوان، تحقيق أسماء ابو بكر محمد،ص76، وديوان الصعاليك ص90–ص91.
دار الحفاظ: من المحافظة على الحسب والمحارم. قرارها: مستقرها. عوذها وعشارها: العائذ هي الناقة الحديثة النتاج أو العشار هي التي اقتربت أن تضع، والمعنى أن النساء منهن حوامل ومنهن مراضع. العوارض: الأسنان البيضاء الضواحك. الطفلة: الرخصة. تفري: تشق. إذا نال. السماك: إذا ارتفع النجم. الصدار: قميص تلبسه المرأة على صدرها. (وقد علمت) أي أنها علمت أن لا عودة إلى الديار، بعد ما سُبيت في آخر الليل ذلك أن الغارة إنما تكون في وجه الصباح.

كانت سائدة، وهي لذلك مجال افتخار. يخاطب عروة زوجه سلمى لتسأل عنه الضيف الذي يأتي مضطرباً متردداً بطلب القرى لحماً مطبوخاً من قدر عروة ومن مكان النحر، وفيه يقطع اللحم من الجزور مباشرة.

والليل عند عروة كغيره من الشعراء الجاهليين، معناه أن يطعم الناس، رغم كل شيء وهذا يشقُ على الصعلوك المتشرد، يقول عروة:

سلي الطارقَ المعتَرَّ يا أُمَ مالِكٍ، إذا ما أتاني بينَ قِدْري ومَجْزِري "الطويل"

والسؤال الذي كلّفت به أم مالك : أن يسأل ضيفه: هل يتهلل وجه عروة لدى رؤيته الضيف فيلاقيه بالبشاشة والترحاب، وبذلك يكون القرى فد بدأ. وهل يقدّم له عروة كل معاملة حسنة فيكرمه ويحسن صحبته ويتحاشى أن يريه ما يكرة ؟

أيُسفِرُ وجهي، أنَّه أوَلُ القِرى، وأبذُلُ معروفي له دونَ مُنكري [1]

وليل تأبط شراً لا يختلف عن ليل الشنفرى ولا ليل عروة، فقد خطب تأبط شراً امرأةً من هذيل فرفضته لطبيعة حياته المضطربة فقال:

وقالوا لها لا تنكحيه فإنَّهُ لأولِ نصلٍ أن يُلاقِيَ مَجْمَعاً [2] "الطويل"

فلم تَرَ من رأيٍ فتيلاً وحاذرت تأيُمها من لابسِ الليلِ أروعا

قليلُ غرارِ النّومِ أكبرُ همَّه دمُ الثأر أو يلقى كَمِيَّاً مُقنّعا [3]

هنا لا يعتب تأبط شراً كثيراً على من رفضته، بل بالعكس من ذلك، فهو يفتخر بحياته، ويعتبر أن رفضها له وسامٌ على صدره، فهو رجل يلبس الليل ولا ينام ويطلب ثأره ويقاتل الفرسان، ولهذا فمن حق تلك المرأة أن ترفضه فهو لا يطيقُ العيش مع الناس ويقول عن نفسه:

يَبيتُ بمغنى الوَحشِ حَتّى ألفنه ويصبح لا يحمي لها الدهر مرتعا "الطويل"

أي أنه يفترش بين الوحوش أو يطردها حتى لا تجد لها مرتعاً، هذا الليل يذكرنا بليل الشنفرى، فتأبط شراً. رثى الشنفرى وأقسم أن يثأر له من قاتليه [4] ويتشابه الاثنان "تأبط شراً والشنفرى "في خشونة الأخلاق والاعترافات المحرجة".

---

[1] ديوان عروة ــ تحقيق أسما أبو بكر محمد ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت 1998 ص 78 وديوان الصعاليك، ص92.

سلي: اسألي. الطارق: الآتي ليلاً طالباً الضيافة. المعتر: طالب المعروف. المجزر: مكان النحر (المسلخ)، حيث يعطى اللحم بيئاً أي إذا أتاني طالب المعروف أعطيته إما لحماً، وإما طحيناً. يسفر: يشرق. المنكر: ضد المعروف.

[2] ديوان الصعاليك، ص93.

[3] المصدر السابق، ص138.

فتيلاً: بديلاً. تأيمها: فقدها الزوج. الكمي: الفارس البطل.

[4] المصدر السابق، ص134.

وليل تأبط شراً مليء بالمعارك والدم، والمطاردات، وها هو يحكي إحدى وقائعه في ليلة من تلك الليالي التي نجا فيها من أعدائه، فقال:

نَجَوْتُ مِنْها نجائي مِنْ بُجَيْلَةَ إذْ أَلْقَيْتُ لَيْلَةَ خَبْتِ الرَّهْطِ أَوْراقي [1] "البسيط"
لَيْلَةَ صاحُوا وأَغْرَوا بي سِراعَهُمُ بالعَيكَتَيْنِ لَدَى مَعْدَى ابْنِ بَرّاق

وها هو يحكي عن ليلة أخرى جرى فيها ما جرى، فقال:

أَبَعْدَ قتيلِ العَوْصِ آسى على فتىً وصاحبِه أو يأمَلُ الزّادَ طارِقُ "الطويل"
أطْرُدُ نَهْباً آخِرَ الليل أبتَغي عُلالَةَ يَوْمٍ أو تَعُوقُ العَوائِقُ [2]

وفي ليلة أخرى يقتل فيها رجلاً ويخطف امرأته يقول:

بِحلْيَلَةِ البُجَلِيّ بِتُّ بليلِها بين الإزارِ وكشحِها ثَمَّ الصَق "الكامل"
بأَنيسةٍ طُويَت على مطويها طَيَّ الحَمالَةِ أو كَطيِّ المِنْطَق [3]

ويبدو أن ليل هذا الشاعر ليل صاخب جداً، وها هو يصف إحدى لياليه أيضاً:

وقلتُ له كنْ خَلْفَ ظهري فإنَّني سأفديكَ وأنظُرْ بعدُ ما أنت فاعل [4] "الطويل"
فَعاذ بحد السيف صاحبُ أَمرِهم وخلّوا عنِ الشيء الذي لم يُحاولوا
وأخطَأهم قَتْلي ورفّعتُ صَاحبي على الليل لم تُؤْخَذ عَليَّ المخاتل

يقصد الشاعر بتعبير "تؤخذ على المخاتل" أن مكيدة أعدائه لم توقعه في حبائلها.

---

[1] ديوان الصعاليك، ص144.

نجوت منها: الضمير العائد إلى الورطة والمكيدة. بجيلة: اسم القبيلة التي كمن أبناؤها للشاعر. الخبت: اللين من الأرض. الرهط: اسم موضع. الأرواق: الأحمال، ويقال: ألقت السحابة أرواقها إذا صبت ماءها. أغروا: هاجوا. العيكتين: اسم موضع. معدى ابن براق: العدى هو المكان الذي منه كان عدو ابن براق.

[2] ديوان الصعاليك، ص149.

آسى: أحزن. طارق: سائر في الليل. علالة: بقية. الأزار والكشح: الخصر. الحمالة: علاقة السيف. المنطق: ما يتمنطق به.

[3] المصدر السابق، ص151.

[4] المصدر نفسه، ص165.

عاذ بحد السيف: لجأ إلى السيف واعتصم به. وخلوا عن الشيء: وتركوا الشيء الذي من أجله أتوا. لم تؤخذ على المخاتل: لم تنجح حيلتهم ولم توقعني مراوغتهم.

أما ذروة الليالي التي يقضيها تأبط شراً فهي تلك الليلة التي التقى فيها الغول وهي من القصائد النادرة، بمعناها ومبناها وفريدة في ادعائها أيضاً، وواضح أن تأبط شراً يحاول أن يحيط نفسه بهالة من الغرابة والأسطورية.

أما صعلوكنا الأخير فهو السُّليك بن السَّلكة ولياليه لا تختلف عن ليالي زميله تأبط شراً فهي ليالٍ تزدحم بالمعارك والمطاردات وانتزاع الرزق بحد السيف، يقول السُّليك:

ولَيلةِ جابانٍ كَرَرْتُ عَلَيْهِمُ على ساعةٍ فيها الإيابُ حبيبُ [1]"الطويل"
عَشِيّةَ ضَلَّتْ للحَرامِيِّ ناقَةٌ بَحَيْهَلا يدعو بها فتُجيبُ
فَضارَبْتُ أُولى الخَيْلِ حتى كَأَنَّما أُحيلَ عليها أيْدَعٌ وَصبيبُ

يخبرنا السليك أنه هجم ذات ليلة في جابان، حيث عاد الرعاة والناس إلى بيوتهم ومضاربهم، وحيث كان رجل من بني حرام يدعو ناقته الضالة لتعود إلى حظيرتها، هجم السليك على أولئك القوم، ولما تصدت له خيولهم وفرسانهم، أغرقها بالدم، الدم الذي انتشر وفشى كالحناء.

تلك هي ليالي الصعاليك، ليالٍ صعبة قاسية، والموت فيها لا يبعد عنهم كثيراً، فلم يبق إذن سوى النوم على مرقبة عنقاء كما قال الشنفرى.

ولا يكاد يختلف ليل الصعاليك عن ليل بقية الشعراء إلاّ اختلافات بسيطة، وهذه مصدرها أن هؤلاء المنبوذين المشردين أثرت فيهم الطبيعة القاسية خارج مجتمعهم. وهذا انعكس على نظرة العامة إليهم التي كانت تختلف عن نظرتهم للشعراء العاديين، ولذلك كانت العامة تتوقع من الصعاليك شعراً مختلفاً، وأحاسيس مغايرة، وهذا تبيّن في مشاعر هؤلاء الصعاليك.

وليس لنا أن نغفل أن حياتهم هذه مرجعها إلى الخلاء والوحدة، ووحشة الفيافي والقفار، وانعدام وسائل التسلية إلا من أمور أهمها التلهي بالشعر ليلاً، كل هذا تسبب في تلك الحياة. " فالطعن والضرب وتفليق الرؤوس واقتحام الموت وغمرات الموت وارخاص النفوس والحديد، من سيوف ورماح ودروع ،والكر والفر وملازمة ظهور الخيل وتشمر الحرب عن ساقها ،وعضت الحرب عضها، الفاظ تشكل المعجم الشعري الذي تقوم عليه قصيدة الحرب، وتتشكل منه ورة البطل ". [2]

---

[1] ديوان الصعاليك، ص185.

جابان: اسم موضع. الحرامي. نسبة إلى بني حرام. حيهلا: دعوة إلى الإسراع. أيدع وصبيب: الحناء والدم.

[2] صورة البطل في كتب الحماسة /رسالة ماجستير / اعداد صادق الشيخ خريوش محمد – اشراف الاستاذ محمود السمرة الجامعة الاردنية –كلية الدراسات العليا 1990–1991–ص149

المبحث الخامس:

الليل والطيف

لا بد لطيف المحبوبة من أن يزور صاحبها في خياله أثناء صحوه، أو في أحلامه وقت نومه.

إنّ الحبيب المحروم البعيد متلهف إلى رؤية من يحب، فيعاودهُ خيالها أو طيفها بإطلالاته الحبيبة.

وأسلافنا الجاهليون كانوا بعيدين عن تعقيدات الحضارة. ولذا فقد احتل طيف الحبيبة أو خيالها مساحة كبيرة من الشعر الجاهلي يشابه في حجمه المقدمات الطللية في ذلك الشعر، وقليلون هم أولئك الشعراء الذين لم يزرهم طيف الحبيبة.

وذكر النقاد العرب القدامى أن أول شاعر نطق بوصف الطيف في الليل هو عمرو بن قميئة حين قال:

نأتك أُمامهُ إلاّ ســـــــؤالاً وإلاَّ خيالاً يُوافـــي خَيَالاً [1] "المتقارب"
يُوافي مع الليـــــلِ ميعادُها ويأبى مع الصُّبح إلاَّ زيالا
فَذاك تَبَذُّلُ من وُدِّهـــــــــا ولو شهِدتْ لم تُواتِ النَّوالا

أراد الشاعر بهذا القول أن الخيال الذي يأتي ليلاً ويتمثل للراقد يأبى أن يزور العاشق النحيل المدنف الذي صار خيالاً هو الآخر لشدة نحوله.

أما أبو صخر الهذلي فيخلط بين (السقام) و (الطيف) و (رقية السحر) لترويض الجِنّيّة لتنام على وسادة الشاعر:

أَلا يا لقومٍ للسَّقَـــامِ المُعـــــاود نِكاساً وطيفاً من رُقيَّة عامدِ [2] "الطويل"
يهاجمني ليلاً وذلك لا يُـــــرى نهاراً إذا ما كنتُ لستُ براقِدِ
أهاويل ومن جنيّةٍ كُلَّ ليلـــــــةٍ تُرافقني بالليلِ فوقَ الوسِائِـــدِ
وتْكُنُد إحساني إذا هي أصبحت فيا حبذا من طيفِ سَارٍ وكانِدِ

وأوس بن حَجَر زاره طيف حبيبته آخر الليل وليس أوله، فقال:

أَلَمَّ خيالٌ مَوْهِناً من تُماضِرا هُدُوّا ولمْ يَطْرُقْ من اللَّيْلِ باكِرا [3] "الطويل"

---

[1] ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق وشرح د.خليل إبراهيم العطية، ط1، بيروت، ص54.
الزيال: الفراق.

[2] شرح أشعار الهذليين، د. عبد الستار، فراج، الدار القومية، القاهرة، 1965، ص279.

[3] ديوان أوس بن حجر، ص33. الموهن: نحو من نصف الليل، وهدوا: أي بعد هدأة من الليل.

أما عبيد بن الأبرص فإنه يحتفل ابتهاجاً بزيارة خيال الحبيبة دون سابق وعد، ويتساءل عن كيفية الوصول إليه واجتيازه الصِحاري المهلكة، فيقول:

طافَ الخيالُ عَلَيْنا لَيْلَةَ الوَادي لآلِ أسمّاءَ لَمْ يُلْمِمْ لميعاد [1] "البسيط"

أنّى اهتَديْتِ لركبٍ طالَ سَيرُهُمُ في سَبْسَبٍ بينَ دَكْداكٍ وأَعقادِ

وهذه صورة جديدة وفاتنة يرسمها الحارث بن حِلِّزَة إذ يقول فيها إنَّ حبيبتهُ لم تستطع أن تزوره ليلاً فبعثَت بخيالها فقط، يقول الحارث:

طَرَقَ الخيالُ ولا كَلَيْلَةِ مُدلِجٍ سَدِكاً بأرْحُلنَا ولَمْ يَتَعـــــرَّجِ [2] "الكامل"

أَنَّى أهتَدَيْتِ وكنتِ غَيرَ رَجيلةٍ والقومُ قد قطعُوا مِتانَ السَّجْسَجِ

وهذا سبيع بن الخطيم يتألم للبعد والنأي حتى من طيف الحبيبة بعد أن تركته إلى آخر، يقول.

بانَت صَدوف فقلبُه مَخْطوف ونَأتْ بجانبها عليك صَدُوفُ "الكامل"

واستودَعَتْكَ من الزّمانة أنها مما تزورُك نائماً وتطـــوف

واستبدَلت غيري وفارق أهلها إنَّ الغنيَّ على الفقير عَنيف [3]

وبهذا الصدد، يعتقد الدكتور حسن البنا عز الدين، أن الطيف والخيال ارتبط لدى الشعراء الجاهليين بمشكلة المصير، واستند في ذلك إلى أن كلمة الطيف مأخوذة من الطواف حول الكعبة، "وتلبس مادة الطيف في اللغة العربية بمكان مقدس أيضاً هو الكعبة التي طافَ حولها العرب قبل الإسلام، وبعده"[4].

ويتمنى المرقش الأصغر أن يبقى خيالُ الحبيبةِ الزائر ليلاً حتى الصباح، يقول:

بِكُلِّ مَبيتٍ يَعْتَريـــــنا ومَنْزِلٍ فَلَوْ أَنَّها إذ تُدْلِجُ اللَّيْلَ تُصْبِـــــحُ "الطويل"

---

[1] عبيد بن الأبرص، الديوان، ص62،

لم يلمم: لم يرتب. مصارع ألم به:أتاه وزارة، وقوله لآل أسماء في شعراء النصرانية: من أم عمرو أي التقينا على غير ميعاد. أنَّى: كيف. الدكاك: الأرض فيها غلظ (ويروى: طال ليلهم والسبب ما استوى من الأرض. والدكاك: السهولة. والأعقاد: رمال متراكمة واحدها عقد.

[2] الحارث بن حلزة، الديوان، جمع وتحقيق د. اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ص 42. والطروق يكون بعد الهدوءأي بعد نوم الكثيرين.

المدلج: الذي يسير في الليل كله أو في آخره. السَّدك: الملازم. لم يتعرج: لم يقم. يقول: أم كليلة أدلجها الخيال من هولها وبعدها منا. الرجيلة: القوية على المشي. المتان: جمع المتن وهو صلب من الأرض وارتفع. السجسج: الأرض الواسعة وقيل هي الأرض التي ليست بسهلة ولا صعبة.

[3] المفضليات، ط1، القاهرة.

[4] الطيف والخيال في الشعر العربي القديم، د. حسن البنا عز الدين، دار المناهل، بيروت، ط 3، 1994، ص23.

فَوَلَّتْ وقد بَثَّتْ تباريحَ ما ترى ووجْدِي بها إذْ تَحْدُرُ الدَّمْعَ أَبْرح [1]

أما عنترة الفارس الفحل، فإنه يرى طيف عبلة في الليل، يقول:

أتاني طيفُ عبلة فَي المَنامِ فقبّلني ثلاثاً فـــــــــي اللثامِ "الوافر"

وودَّعني فأودعني لهيبـــــاً أستّرهُ ويُشعِل في عظامـــــي [2]

ولا يزال يراوح بين الحلم والواقع، بين الجسد والطيف ، في أبيات تداخلت فيها الصورة الحسية بالصورة المعنوية، يقول عنترة:

كم ليلةٍ عانقت فيهـــــا غادة يحيا بها عِندَ المنَام ضَجيعُها [3] "الكامل"

شمسٌ إذا طَلَعت سَجَدْتُ جَلالة لجمالها وجلا الظلامُ طلوعَها

ويعود عنترة مرة أخرى للخلط بين الحلم والواقع بين الخيال والحقيقة:

اشاقك من عَبلُ الخيالُ المُبهّجُ فقلبكَ منه لاعجٌ يتوهَّجُ [4] "الطويل"

إلى أن يقول:

أُراعي نجوم اللَّيل وهي كأَنَّها قواريرُ فيهـــا زئبق يترجرجُ "الطويل"

وتحتيَ منها ساعدٌ فيـــه دُمْلُجٌ مضيء وفوقـــي آخرٌ فيه دُمْلُجُ

والصورة عند تأبط شراً واضحة جداً إذ يقول:

يا عَينُ مالك من شَوقٍ وإيراق وَمَرِّ طيفٍ على الأهوالَ طرّاق [5] "البسيط"

يسرِي على الأين والحيّاتِ محتفياً نفسي فداؤُكَ من سارٍ على ساق

ونخرج بمفهوم الخيال والطيف عند الجاهليين من أشعارهم. ورؤية الطيف، وإن كانت لا تغني عن رؤية المحبوب واقعاً، إلاّ أنها تخفف لواعجَ الاشتياق قليلاً، فالفقير المعدم يحلم بجمع المال.

"وبصورة عامة نرى المعاني التي طرقها الشعراء عند حديثهم عن الطيف تكاد تكون واحدة الا انهم يختلفون احيانا في اطالة المشهد او تقصيره فبعضهم يسهب في وصف صاحبته، بينما يجمل اخرون، وقد يتحدث بعضهم عن طيف صاحبته من خلال علاقته مع قبيلته " [6]

---

[1] ديوان المرقشين، ص88.

يعترينا: يصير إلينا. تدلج: تسير ليلاً. بثت: فرقت. التباريح: الشدة.

[2] ديوان عنترة بن شداد، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق، 1870، ص175.

[3] ديوان عنترة، دار صعب، بيروت، 1980، ص .

[4] المصدر السابق، ص81.

[5] المفضليات، ط7، ص1–2.

[6] صورة المرأة عند شعراء البحرين واليمامة في العصر الجاهلي –رسالة ماجستير –اعداد سالم حامد السالم العمري –اشراف د عمر الاسعد– جامعة اليرموك 1986ص65

الليل والنجوم

اهتم العرب بالكواكب والنجوم في حياتهم، وأكثر من ذكرها شعراؤهم لأنها تقودهم إلى مواضع حاجاتهم، كما وأنها تشعرهم بالوقت ليلاً حسب طلوعها وأفولها.

وقد وردت كلمتا النجوم والكواكب في الشعر الجاهلي دون أن يتم التفريق بينهما. وقد تعامل الشعراء معهما باعتبارهما رموزاً ودلالات تكتسب معاني سحرية وطقوساً روتينية. وازدحم الشعر الجاهلي بأسماء بعض النجوم والكواكب، كان أشهرها الثريا وهي تصغير الأثرى للمرأة المتحولة. ومنه الثريا للكواكب السبعة التي في عنق الثور وسميت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحل، ومنها الثريا التي تعلق في البيوت للمشابهة بينها وبين الأثرى وهو كثير المال أيضاً، والأنثى ثرواء، وقد ذكر الأعشى الثريا للدلالة على سأمه وضيقه من الليل الطويل المؤرق، فقال:

إِذا ما قُلْتُ حانَ لها أفـــــولٌ تَصَعَّدَتِ الثُّرَيّا والسّعـــــودُ [1] "الوافر"

أما امرؤ القيس فينتظر ظهور الثريا لزيارة صاحبته حيث لا رقيب، يقول:

إذا ما الثُّرَيَّا في السماء تَعَرَّضَتْ تَعرُّضَ أثناءِ الوشاح المفَصَّلِ "الطويل"
فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لنومٍ ثيابَهـــــا لَدَى السِّتْرِ إلاَّ لبسةَ المتَفَضِّلِ [2]

والثريا في حالة أخرى تبعث على السأم والضّيق لدى امرىء القيس:

كَأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ في مصامِهَا بأَمراسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَندلِ [3] "الطويل"

وها هو قيس بن الخطيم يأخذ الثريا من عليائها ويصوغها عقداً على جيد صاحبته لكي يتوهج في العتمة، يقول:

وجيد كجيد الرِّئم صافٍ يَزينُهُ تَوَقُّدُ ياقوتٍ وفَصْلُ زَبَرْجَد [1] "الطويل"

---

[1] ديوان الأعشى، شرح وتعليق محمد حسين، دار صادر ودار بيروت، القاهرة، 1966، ص371.

[2] امرؤ القيس، الديوان، ص14.

يقول: تجاوزت هذه الأهوال والأمراس، حيث تصوبت الثريا للمغيب وذلك أن الثريا تستقبلك بأولها حين تطلع، فإذا أرادت المغيب تعرضت أي أرتك عرضها أي ناحيتها فشبهها بالوشاح المفصل إذا تلقّاك بناحيته، والمفضل: الذي جعل كل حرزتين فيه لؤلؤة، وقال بعض أهل المعاني: أراد بالثريا الجوزاء، لأن الثريا لا يتعرضن وجعله مثل قول زهير (كأحمر عاد) وإنما أراد أحمر ثمود. معنى نصيت: نزعت. لبسة: هيئة اللباس. المتفضل: اللابس ثوباً واحداً.

[3] امرؤ القيس، الديوان، ص19.

المصام: مكانها الذي لا برح فيه كمصام الفرس، وهو مربطه والأمراس: جمع مرس وهو رباط الخيل: يقول كأن الثريا أثافي مضروبة في الأرض فهي لا تبرح.

كأَنّ الثريا فوق ثُغْرَةِ نَحــرها تَوَقَّدُ في الظلماء أيَّ تَوَقُّــدِ

وذكر العرب الجوزاء التي ارتبطت بامتلاك المجد، هذا المهلهل يقول:

كَأَنَّ كواكبَ الجَوْزاءِ عودٌ مُعَطَّفَةٌ على رُبَعٍ كَسيـــــرِ [2] "الوافر"

أي أن كواكب الجوزاء نوقٌ حديثات النتاج عطفت على وليد جديد مكسور فهي لا تتركه وهو لا يقدر على النهوض، وهذا المعنى نجده لدى النابغة الذبياني الذي قال:

كَأَنَّ رَحْلي وقد زالَ النَّهارُ بنــا، ومَ الجليـــــلِ، على مُسْتَأنِسٍ وَحِدِ [3] "البسيط"

من وَحْشِ وَجْرةَ مَوشِيٌّ أُكارعُهُ، طاوي المصير، كسيفِ الصّيقل الفَردِ

سَرَتْ عليه، من الجوزاء، ساريةٌ، تُزجي الشَّمالُ عليهِ جامِـــــدَ البَرَدِ

وهنا يشبه الشاعر ناقته بثور الوحش الذي يرتسم الذعر في عينيه ويرتسم الجوع على مصيره المطوي، وإمعاناً في الذعر تمطره الجوزاء وترشقه بالثلج.

وكذلك كان للقمر حضور في الشعر الجاهلي، وهذا أمية بن أبي الصلت يتعرف على الذات الإلهية من خلال الآيات التي تظهر في الليل والنهار، فيقول:

وسَوّاها وزَيَّنَهـــــا بنُورٍ مِنَ الشَّمْـــسِ المُضيئَةِ والهِلالِ [4] "الوافر"

وها هو الأعشى يصف ممدوحه قائلاً:

فتىً لو ينادي الشمس ألقت قناعها أو القمر الساري لألقى المقالدا [5] "الطويل"

والليلة القمراء الباردة هي الوقت المناسب لشن الغارات على الأعداء، وإذلالهم كما يقول، أبو بثينة العاهلي:

كأَنَ القوم من نُبْل بْن رَوْحٍ لدى القمراءِ تلفَحُهُم سَعيراً [1] "الوافر"

---

[1] الرئم: ظبي خالص البياض، قيس بن الخطيم، الديوان، ص125.

يقول حليها يلوح (فوق نحرها) كما تلوح الثريا، والثغرة واللبة واحد.

[2] ديوان المهلهل بن ربيعة، حياته وشعره، دراسة وتحقيق نافع نجل شاهين، الجامعة المستنصرية، 1986، ص56.

والعود هي النوق، وهنا عطفت على صغارها الضعاف.

[3] ديوان النابغة، ص31.

زال النهار: انتصف. الجليل: واد قرب مكة. المستأنس: الذي ينظر بعينه لأنه أحس أنسيا. وحد: منفرد. وجرة: مكان بين مكة والبصرة فيه وحوش كثيرة. موشى الأكارع: هنا الأكارع: هو الأبيض في قوائمه. نقط سود. الطاوي: الضامر. المصير: واحد المصران: وكنّى به عن البطن: كسيف الصقيل: أي يلمع. والصقيل: الذي يجلو السيوف. الفرد: الذي لا مثيل له.

[4] أميه بن الصلت، الديوان، ص447.

سواها: جعلها متساوية متماثلة، وفي سورة نوح ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً. وفي سورة الحجر، "ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين".

[5] شرح ديوان الأعشى، شرح وتعين محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية 1974 ص 110.

والسحاب الأبيض الذي يمتص لونه من ضوء القمر يسمى أقمر (صيغة أفعل)، وذلك كما جاء في بيت الشعر لعبد بن حبيب:

كَأَنَّ القومَ إذ دارت رَحَاهُمُ هدوءاً تحت أقمرَ ذي جَنُوبِ [2] "الوافر"

ويبدو أن العرب لم تكن تفرق بين الكواكب والنجوم، وهذا ما نلمحه مما قاله عامر المحاربي:

وكنا نجوماً كلّما انقضّ كوكبٌ بدا زاهر منهنَّ ليس بأقتما [3] "الطويل"

ويبدو كذلك أن الشعراء كانوا على علم بحركات النجوم والكواكب وذلك مما نراه في قول لبيد بن ربيعة:

والنجوم التي تُتَابع بالليـــــل وفيها ذاتَ اليمين أزورارا "الخفيف"

دائبٌ مورُها يصرّفُها الغَــوْا رُ كما تعطِفُ الهجانُ الظُّؤارا [4]

وقال الأعشى راصداً ذات الحركات:

فأَمّا إذا ما أدْلَجتْ فَتَرَى لهــا رَقيبَيْنِ (جَدْياً) لا يغيبُ (وفرْقَدا) [5] "الطويل"

وفيها إذا مــا هُجِّرَتْ عَجْرَفِيّةٌ إذا خِلْتَ حِرْباءَ الظّهيرةِ أصيَدا

ويستأنس امرؤ القيس بالنجوم في الليل الطويل ويعتبرها أقباساً ومشاعل، فيقول:

تِلْكَ النُّجوم إذا حانت مطالِعُها شَبَّهتها في سواد الليل أقباساً [6] "البسيط"

ويعود امرؤ القيس إلى هذا التشبيه مرة أخرى، ولكن هذه المرة النجوم مصابيح في أديرة:

نظرتُ إليها والنجـــومُ كأنَّها مصابيحُ رُهبـــانٍ تُشَبُّ لِقَفّال [7] "الطويل"

---

[1] شرح شعر الهذليين، تحقيق عبد الستار فراج، الدار القومية، القاهرة، 1965، ص227.

[2] المصدر السابق، ص229.

[3] المصدر نفسه، ص300.

[4] ديوان لبيد بن ربيعه، تحقيق د. احسان عباس، سلسلة التراث العربي، الكويت.

[5] ديوان الأعشى، ص185.

الأدلج: سير الليل كله. الجدب: نجم إلى جنب القطب يدور مع بنات نعش تعرف به القبلة. الفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي يُهتدى به.

[6] ديوان امرئ القيس، ص461.

[7] المصدر نفسه، ص171.

يقول نظرت إليها: أي نظرت إلى هذه النار تشب لقفال ليلاً والنجوم وكأنها مصابيح رهبان.

وامرؤ القيس يسأم لكثرة همومه وللثأر الذي يطلبه ولهذا فقصته مع النجوم طويلة، فيقول في إحدى لحظات سأمه:

وقد ركدت وَسْطَ السماء نجومـــــها ركود فؤادي الرَّبْربِ المتورِّق [1] "الطويل"

والخنساء هي الأخرى تضيق بالليل لهيجان عواطفها على شقيق روحها، صخر، فتقول:

فَبِتُّ ساهرةً للنَّجمِ أرقُبُـــــــهُ حتى أتى دون غَوْرِ النجمِ أستارِ [2] "البسيط"

إني أرقتُ فَبِتُّ الليلَ ساهـــرةً كأنما كُحِلَتْ عَيْنـــــــي بِعُوّارِ

أرعى النجومَ وما كُلّفتُ رِعْيَتَها وتارةً أتغشّى فَضل أطمـــاري [3]

أما عبيد بنُ الأبرصِ فيتحدث عن الهزيمة أمام الزمن، وتحكم النجوم في مصير الإنسان فيقول:

فَنيتُ وأفنَانِي الزَّمانُ وأصبْحَتْ لِدَاتي بنو نَعْشٍ وَزُهرُ الفَراقِدِ [4] "الطويل"

وما كان ذلك ليكون لو لم تتحكم النجوم في مصير عبيد.

وعبيد بن الأبرص يقف طويلاً أمام النجوم وتحكمها في مصير الإنسان واضطراب الزمان، ولهذا فهو يقول متأملاً:

ولتَأتيَنْ بعدي قُرُونٌ جَمـــــةٌ، تَرْعى مَخــَارِمَ أيكةٍ ولُدودا [5] "الكامل"

فالشَمسُ طالعةٌ ولَيلٌ كاســفٌ والنَّجْمُ تَجْري أنحُساً وَسُعُودَا

حَتّى يُقالَ لمــنْ تَعَرَّقَ دَهْرُهُ ياذا الزَمانَةِ هَلْ رأيتَ عَبيداً؟

---

[1] ديوان امرئ القيس، ص171.

ركدت: أي سكنت، بعني النجوم كأنها لا تسير. النوادي: أوائل الوحش ها هنا. الربرب: القطيع من البقر الوحشي، ويقال النوادي منها هي المجتمعة الواقفة كأنها جالسة في اجتماعها. المتورق: (متفعل) من أكل الورق.

[2] ديوان الخنساء، ص49.

أراقبه: أترقبُهُ حتى يصبح لعل في ذلك فرجاً. غور النجم: سقوطه.

[3] ديوان الخنساء، ص58.

العوار: القذى، أتغشى. الأطمار: واحدها طمر: الثياب الرثة.

[4] ديوان عبيد بن الأبرص، ص71.

لدات: الواحدة لدة: من ولد معك. بنو نعش والفراقد: نجوم.

[5] ديوان عبيد بن الأبرص، ص69.

المخارم: الواحد مخرم: منقطع أنف الجبل. الأيكة: مكان ملتف بالشجر وقوله: ولودا لم نجد في المعاجم معنى لهذه اللفظة يوافق معنى البيت. تعرق العظم: أخذ ما عليه من اللحم بأسنانه نهشاً. استعيرت للدهر، ولعل الصواب تعرقه دهره على أن الدهر فاعل، أي لم يبق على علمه لحماً، لامتداد عمره، فحذف المفعول به حماية للوزن بدليل وصفه إياه الزمانة أي تعطيل القوى. النصية: النقية.

مائَتَيْ زَمانٍ كامــلٍ ونَصيّةً عِشْرينَ عِشْتُ مُعَمَّراً مَحْمودَا

وقال الطفيل الغنوي:

على إثرِ حيّ لا يرى النجم طالعاً من اللّيل إلاّ وهــو بادٍ منازله [1] "الكامل"

أي أنَّ من ظهر في هذا الوقت لا يرى الثريا [2] من أول الليل إلاّ وهو مغادر الحضر إلى قفر البادية.

وبشر بن أبي خازم:

فبتُ مُسَهَّداً أرقــــــاً كأنّي تمشَّتْ في مفاصِلِـــــي العُقار [3] "الوافر"

أُراقبُ في السَّماء بناتِ نعشٍ وقد دارت كما عطف الصِّوارُ

وعاندت الثُّريّا بعـــــد هَدْءٍ معاندة لها العيُّوقُ جـــــــارُ

والأسود بن يعفر النهشلي، وهو يرى نفسه منحوساً، وقد ولد بغروب نجم وطلوع آخر، وكلاهما منحوسان، فيقول:

ولدتُ بحادي النّجم يحرق ما رأى وبالقلبِ قلب العقرب المتــوقّد [4] "الطويل"

فقد ربط ما يلاقيه في حياته من المصاعب وما يعانيه من مصائب بالنجوم وحالها.

بعد هذه الاستشهادات الشعرية، لا بد من الإشارة إلى الأسس الميثولوجية والأسطورية التي كانت سائدة في ثقافة العرب الجاهليين، فقد أشار بعض الباحثين إلى أن العرب اليمانيين جنوب الجزيرة كانوا يعبدون الإله "القمر". حيث عرف لديهم بأربعة اسماء أو صفات هي: المقه عند السبئيين و (عَمْ) عند القتبانيين و (وُدّ) و (سِنْ) عند الحضارمة.[5]

ولعل أسطورة (وُدّ) هي أكثر الأساطير شهرة، ورجح آخرون أن (دوار العرب) أو طوافهم بهذا الإله، أي الإله (وُدّ) كان له صلة بشعيرة الحب المقدس [6] ذلك أن هذا الإله كان رمزاً للحب الإلهي ضد الحب الجنسي، وأشار مؤلف كتاب الأسطورة في الشعر العربي إلى أن الدكتور عادل البياتي، استقصى تطور لفظة (ود) إلى (الحب) من أول ورودها في الكتب الثمودية، مروراً بكون (ود) صنماً من أصنام الجاهلية، وانتهاء بالقرآن الكريم ليثبت صراحة، وظيفة هذا الاله وعلاقته بالحب، وفي بلاد العرب الشمالية نجد من أسماء القمر، (كهل)

---

[1] الطفيل الغنوي، الديوان، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، طبعة 1، 1968، ص83.

[2] التاريخ العربي القديم، د. ديتلف نيلسون، ترجمة د. فؤاد حسنين، مكتبة النهضة المصرية 1959،ص60.

[3] الديوان ــ تحقيق د. عزة حسن. ط2 وزارة الثقافة 1972 ص 65.

[4] الأسود بن يعفر، الديوان / صنعه د. نوري حمودي القيسي ــ وزارة الثقافة والإعلام ص 34.

[5] ابن قتيبة، الأنواء، ص38.

[6] الأسطورة في الشعر العربي، قبل الإسلام، د.أحمد إسماعيل النعيمي، ابن سينا للنشر، 1995، ص141.

بمعنى كاهل، وهو رئيس القبيلة، والصفة الأخيرة تنزع إلى "العصر الذهبي لعبادة الأفلاك عندما كان أبو القبيلة هو إله القمر[1] واعتقد العرب أيضاً أن خسوف القمر أو كسوف الشمس، نتيجة لغضب الآلهة، وتقلب أطوارها، كما في المرثيّة التي قالها أوس بن حجر، في رثاء فضالة بن كلدة، مفصحاً من خلالها عن غضبة الآلهة (بكسوف الشمس والبدر والكواكب).

وإلهة العرب (العزى) هي إلهة الخصب والجمال، لدى العرب ومن طيورها، وحيوانها الحمام، والغزال. والعزى هي كوكب الزهرة[2] ويذكر الآلوسي أن المرأة عند العرب إذا عسر عليها خاطب النكاح، نثرت جانباً من شعرها، وكحلت إحدى عينيها، وحجلت على أحدى رجليها، ويكون ذلك كبيراً، وتقول يا لكاح، أبغي النكاح قبل الصباح [3] أي أنها تريد المخالطة الجنسية. وعبد العرب الشمس، وكانت تسمى إلهة، وذات حجم وذات حمم، والحمى الموضع الذي يحمي، و ذلك يتطابق مع شريعة العرب في عبادتها، باتخاذهم صنماً لها ولَدٌ ليتخاطب بنوه باسمه[4].

ويبقى أن نذكر أن العرب بوجه عام اهتموا بالنجوم والكواكب وبمطالعها وأماكن أنوائها، وأوقات ذلك كله لأنها تقودهم إلى مواضع حاجاتهم داخل الفيافي والقفار التي تندر المعالم فيها وتحوج العرب إلى الاستعانة بها، وتعينهم على معرفة الوقت لخبرتهم بمواقيت طلوعها وأفولها.

---

[1] التاريخ العربي القديم، مرجع سابق، ص210.

[2] بلوغ الأرب، الألوسي، مرجع سابق، ص230.

[3] المصدر السابق، ص231.

[4] مادة: شمس في لسان العرب، القاموس المحيط.

المبحث السابع:

الليل والمطر

كانت صورة المطر في الشعر الجاهلي، أكثر من ضرورة فنية ودينية للتعبير عن حاجات الأرواح العطشى لرحمة السماء. فحياة البدوي وسط الطبيعة المجدبة، والتقاؤه بها مباشرة لآماد طويلة، دون أن تحجبه عنها جدران أو يستره عنها ستر، ومعايشته لها واختياره لظواهرها، وتعبده لمظاهرها، كل ذلك كان وراء محاولاته المستمرة، لإخضاع حياته لظروفها، وإخضاع ظروفها لحياته، بشتى ضروب المعرفة البدائية، ووسائلها، لذلك فقد ارتبطت صورة المطر في ذهنه، وهو عماد الحياة في البادية، بممارسات سحرية شتى استدعاء للخصوبة، في مجتمع يسيطر عليه القحط، والجفاف، على غرار ما كان يفعل الإنسان القديم، حين كانت تداهمه المظاهر الكونية[1]. وقد عرفت المجتمعات القديمة (طبقة من السحرة يتولى أفرادها مهمة تستند غالباً إلى مبدأ السحر التشاكلي أو المحاكاة، فإذا أرادوا مثلاً أن يسقط المطر، قاموا بمحاكاة سقوطه برش الماء [2]. وفي الشعر العربي الجاهلي، اقترنت صورة الخيل المندفعة بالمطر، وكانت العرب، إذا تتابعت عليها سنوات الجدب، قامت بطقس الاستسقاء، إلى ذلك فإن المطر له مكانة بارزة في الشعر الجاهلي تتمثل بصورة البرق، والسيل والنبت الذي أطلق عليه اسم "الغيث" لأنه ينتج عن الغيث كما أطلق عليه اسم الربيع لأن ما ينتج عنه من النبت يشتد سواده في الربيع.

مثل هذه الصورة كثيرة الوقوع، في قصائد الشعراء الكبار الجاهليين من أمثال امرىء القيس والأعشى، وزهير، وأوس بن حجر، والنابغة، وفي الشعر الجاهلي، تمت الإشارة إلى الملوك أو الكهان أو الشيوخ الأجواد الذين لهم دالة عند الله على إنزال المطر، فقد قال النابغة في أحد ملوك الغساسنة:

جرَّبْتُ أبيضَ يُستسقى الغَمامُ به من آل جَفْنَةَ في عِزٍّ وفي كرمْ [3] "البسيط"

أي يدعون اللّه أن يسقيهم ، إذا طلبوا ذلك أجل مثل هذا الملك.

والأعشى يمدح هوذة بن علي الحنفي:

أغرُّ أبْلَجُ يُسْتَسقَى الغَمَامُ بِهِ لَو صَارَعَ الناسَ عَنْ أَحلامِهِمْ صَرَعَا [4] "البسيط"

واعتقد العرب، أيضاً بقدرة القبور، وعظام الموتى، على إنزال المطر، ولهذا فقد مارسوا بعض الطقوس السحرية، على عظام الموتى وقبورهم.

---

[1] انثروبولوجيا الصورة والشعر العربي قبل الإسلام، د. قصي الحسين، بيروت، دار النشر، 1993، ص334.

[2] المطر في الشعر الجاهلي، د. أنور ابو سويلم، دار عمار ودار الجيل، عمان، بيروت، 1987، ص104.

[3] ديوان النابغة، ص94.

[4] ديوان الأعشى، ص113.

ولعل أبرز شاعرين وصفا الليل والمطر والبرق هما لبيد بن ربيعة وامرؤ القيس اللذين قدما لوحات رائعة مدهشة لكل واحدة منها لون خاص، ومذاق مميز، لنستمع إلى قول لبيد:

أصاحِ ترى بُرَيْقاً هَـــبَّ وَهناً كمِصبـــاحِ الشُّعيلة في الذُّبالِ "الوافر"
أرِقْتُ له وأنجدَ بعـــــد هَدْءٍ وأصحابي علـــى شُعَبِ الرحالِ
يضيء ربابُهُ في المزن حُبْشاً قِياماً بالحِـــــــراب وبالإلالِ
كأن مُصَفَّحاتٍ فـــــي ذراهُ وأنواحـــــــــاً عليهن المآلي
فبات السيلُ يركبُ جانبيـــه من البَقَّارِ كالعَمَـــــــدِ الثِّقال
وحطّ وحوشَّ صاحةَ من ذراها كأن وعولَها رُمْكُ الجمـــــالِ
أقولُ وصوبُه مني بعيـــــد يحطُّ الشَّتَّ من قلل الجبـــــالِ
سقى قومي بني مَجْدٍ وأَسقـــى نُمَيْراً و القبائلَ من هِـــــــلالٍ
رَعَوْهُ مَرْبَعَـــــــاً وتصيّفوهُ بلا وَبَإٍ سُمَيَّ ولا وَبَـــــــالِ (1)

فلبيد لا يصور البرق وحده، وإنما يذكر السيل وما أعقبه من آثار نتيجة لانهمار المطر بشكل كبير. ويوفر لصورته كل أسباب الكمال، فهو يحدد الزمن بعد هدوء من الليل حين نام أصحابه على شعب رحالهم، فهم على هذا في قافلة راحلة، وهو ينظر إلى جوف الليل، وقد سهر لهذا البرق المصاحب بالمطر الغزير، وصوبه نحو نجد. ولبيد وصحبه فيما يبدو في تهامة، من أرض الحجاز، حيث يرسم لبيد صورة دقيقة رائعة حين يضيء البرق فيسطع ضوؤه على صفحة السحاب الأسود الكثيف المتدلي، وكأن الرائي يرى أحباشاً محاربين شديدي السواد شاهرين حراباً بيضاء ساطعة، ويستعير لبيد للرعد من الإبل رغاءها حين تُعْزَل عن صغارها، وتمنع منها فتحن إليها هادرة، ويستعير من النساء النائحات نواحهن، وندبهن وهن يحركن خرقاً سودا يندبن بها، وقد لاحظ في ذلك لون قطع السحب السود حين تتحرك في كبد السماء، ولا يترك لبيد هذه الصورة دون أن يحققها ويستكمل جوانبها، فقد

---

(1) ديوان لبيد، ص264.

هب: لمع وأضاء. وهناً: بعد ساعة من الليل. أنجد: ارتفع وأخذ البرق إلى ناحية نجد. شعب الرحال: عيدانها. الرباب: السحاب الذي تراه كأنه متدلٍ كأنه أعناق النّيام. الآلال: الحرب وأحدها آلة. المصفحات: الإبل التي قد صفحت عن أولادها أي عزلت عنها. الأنواح: النساء ينحن. المالي: المزق التي تكون مع المرأة تحركها تندب بها. وقيل المصفحات: السيوف. البقار: جبل وقيل واد. العمد: الذي يشتكي سنامه. الشت: شجر من شجر السراه. الوبا: المرض سميّ: هنا ترخيم أسماء.

هطلت الأمطار في موضع من ديار بني عامر من هذه السحب المتدلية التي يسطع فيها البرق فتبدو كأنها خيلٌ فيها لونان أسود وأبيض.[1]

يرى الباحث أن الإحساس بغزارة المطر يكاد يكون طاغياً في أبيات لبيد، ويبدو البرق وكأنه نتاج حرب "قياماً بالحراب".

وهذا امرؤ القيس يقول:

أَحارِ تَرَى بَرْقاً كأَنّ َوَميضَــهُ كلَمْـــــعِ اليَدَيْنِ في حَبِيٍّ مُكَلَّل [2] "الطويل"

يُضيءُ سَنَاهُ أو مصابيحُ راهبٍ أَهانَ السّليطَ في الذُّبال المفتَّلِ [3]

قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ حامــرٍ وبـــــــين إكامٍ بُعْدَ ما مُتَأَمَّلِ

وَأَضْحَى يَسُحُّ الماءَ عَنْ كلِّ فَيقَةٍ يكُبُّ على الأَذْقانِ دَوْحَ الكنَهبلِ [4]

وألقى بِبيُسانٍ مع الليـــــل بَرْكَهُ فأنزل منه العُصْمَ من كل منزِلِ

وهكذا يفاجئنا أمرؤ القيس بصورة البرق الذي يشبه لمعان اليدين في سحاب أسود متراكم، ويفاجئنا رغم سرده العجيب للعاصفة بأنه قعد يتأمل كل ذلك.

وعند شعراء آخرين يترافق البرق والمطر والأرق، لنلاحظ التشابه اللفظي بين أرق وقلق، فهذا الشاعر والكاتب والمثقف الرفيع الذي عاش في الحيرة معززاً مكرماً في بلاط المناذرة وبلاط الفرس ونهايته كانت فاجعة، عدي بن زيد العبادي يقول:

أرقت لمكفهِـــــــرٍ بات فيـــــه بوارق يرتقين رؤوس شيب [5] "الوافر"

ويختلط الأمر على عبيد بن الأبرص بين ضوء البرق وضوء الصباح، فيقول:

يا من لبرقٍ أبيتُ الليل أرقبه من عارضٍ كبياضِ الصبحِ لَماحِ [6] "البسيط"

وللنابغة الذبياني صورة رائعة يجمع كل شيء فيها بتناسق عجيب، فيقول:

أصاحِ ترى برقاً أريكَ وَميضهُ يُضيءُ سنـــــاهُ عن رُكامٍ دوافِعِ "الطويل"

---

[1] ديوان لبيد بن ربيعة، مصدر سابق، ص264–265.

[2] ديوان امرىء القيس ص24–25.

الوميض: لمع البرق، وقوله (كلمع اليدين) شبه انتشار البرق وتشعبه بحركة اليدين وتقلبهما. الحبي: ما حبأ من السحاب أي ما عرض لك وارتفع ويقال هو المتداني. المكلل: الذي في جوانب السماء كالإكليل. ويقال: هو الذي بعضه على بعض.

[3] السناء: الضوء. السليط الزيت، ويقال: هو دهن السمسم وهو الجلجلان. الذبال: الفتائل، وقوله: (يضيء سناه) ورد على البرق وقوله مصابيح راهب. مردود على قوله: كلمع اليدين ومعنى أهان السليط أي كثر منه. قعدن له: يعني البرق، أنظر اليه من اين يجيء. حاجز: موضع وقوله بعد ما متأمل: يريد بعدما تأمله، أي تأملته من بعيد المكان. الفيقة: ما بين الحلبتين، يريد أن السحاب يسح المطر، ثم يسكن شيئاً ثم يسح وذلك أغزر له، فجعل ما بين الحلبتين بمنزلة الفيقة، وهو أن تحلب الناقة ثم تترك شيئاً، ثم يعاد إلى حلبها، فما بين الحلبتين فيقة وفواق. الكهنبل: ما عظم من شجر العيضة، والدوحة: الكثيرة الورق والأغصان فيقول: قلع السيل الكهنبل من أصله فألقاه على وجهه وضرب الأذقان مثلاً. واهن: ها هنا بمعنى بعد.

[4] ديوان امرئ القيس، ص24–25.

[5] الأغاني،ص23، ج2.

[6] ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق حسين نصار، مصر، ط، 1957.

يَجِدُّ فَيَسْتَشْري كأنَّ وميضـــــهُ وميضُ سيوفٍ، في أَكُفّ، قواطعِ [1]
قعدتُ له ذاتَ العِشاء فلم أنـــــم لدى مَرقبٍ من هُضبِ نخلةَ فارِعِ

وتميم بن مقبل العامري يأرق هو الآخر، ولكنه يصف لنا ما الذي حدث بعد البرق، فيقول:

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ آخر الليـــــلِ، دونَهُ رِضامٌ، وهَضْبٌ دونَ رَمَّانَ، أَفيحُ [2] "الطويل"
لِجَونٍ شآمٍ، كلَّما قلتُ: قد مضى، سَنا، والقواري الخُضْرَ في الماءِ جُنّحُ
فأضْحى له جَلْبٌ بأكنافِ شُرْمَةٍ، أَحَشُّ، سِماكيٌّ، مـــــن الوبْلِ أَفضَحُ

وكذلك حسان بن ثابت الذي يفاجأ بالبرق والمطر بينما كان يلهو.

أرِقْتُ لِتَوْماضِ البُرُوقِ اللَّوامِعِ، ونحنُ نَشاوَى بينَ سَلْعٍ وفارِعِ [3] " الطويل"
أَرِقْتُ لَهُ، حَتَّـــى عَلِمْتُ مَكانَهُ، بِأَكْنافِ سَلْعٍ والتِّلاعِ الدَّوافِـــعِ

ونخلص إلى القول، إنّ المطر والظواهر المتعلقة به، إنما هي ترداد أصيل، وحقيقي، ونابع عن بيئة وثقافة كانت ترى في المطر سر الحياة، وعمادها، ولهذا اتخذ كل هذه البنية الثقافية العميقة، والسحرية، الطقوسية التي شملت أنشطة الإنسان الجاهلي، في بحثه العميق عن الأمن والأمان والدفء والحنان، فرأى في الملوك والعظام، والمرأة، والفرس، والليل، مناسبة لتأكيد علاقة التشبك مع هذه الظاهرة التي تنتج منها الحياة صورة المطر وطقوس الاستسقاء في القصيدة لدى الجاهليين التي تعتبر امتداداً لأغاني الاستسقاء التي عرفت عند بدو سيناء، وبدو الجزيرة العربية[4]، بحيث تتحول القصيدة حقاً إلى تعويذة سحرية لها امتداداتها العميقة في الأساطير القديمة في الكيفيات والهيئات اللازمة لإنزال المطر. "وقد وقف اغلب الشعراء امام المطر فتاملوه ووصفوه وصفا يدل على تعلقهم به، واهتمامهم بنزوله ،حيث وصفوا الرياح وهي تلقح السحاب وتسوقه كما وصفوا البرق والرعد، وذكروا الاماكن التي جاءها المطر ونزل عليها ،وقد اكثر الشعراء من الحديث عن السحاب والرياح التي تدفع السحب والامطار والسيول، التي تقتلع الاشجار وتحطها من الاماكن المرتفعة" (5)

---

[1] ديوان النابغة، ص197.والركام: ما تجمع وتراكم من الغيوم. والدوافع : المتدافعة

[2] مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، ص198.الرضام : الوهاد والسفوح. أفيح : واسع.

[3] ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار صادر، بيروت، ص147.جون الشآم: الأسود الآتي من ناحية الشمال والذال على غزارة المطر

[4] انثربولوجيا الصورة، ص404.

[5] الجبل في الشعر الجاهلي– رسالة ماجستير– اعداد محمد سمارة محمد صالح– اشراف د احسان الديك –جامعة النجاح كلية الدراسات العليا– قسم اللغة العربية نابلس– 1999–ص86–89.

الفصل الثالث

صورة الليل في الشعر الجاهلي

- الوعي
- الخيال

الفصل الثالث

صورة الليل في الشعر الجاهلي
دراسة فنيّة

تقوم الصورة الشعرية على ركيزتين هما:

1 #الوعي.

2 #الخيال[1]

الصورة الشعريّة تعبير أو رؤية للعالم، وهي قادمة من جهة الخيال، وهي رسالة الشاعر الفكرية، ولكن بأسلوب خيالي يقوم على تقديم العالم من جديد، بصورة مدهشة، مبتكرة، تُعمّقُ إحساسنا بالأشياء أو تنبهنا إلى ما كنا غافلين عنه.

الصورة الشعرية بهذا المعنى، "هي منهج لتبيان الأشياء دون اتباع المنطق في تبيان تلك الحقائق" كما يقول مصطفى ناصف[2].

الشاعر يقفز عن الحقائق، لأنه يرى المشهد بطريقةٍ مختلفة، يرى العادي فيجعله غير عادي، والمبتذل فيحيله إلى مدهش.

فالصورة الشعريّة تقوم على التشابه بين الأشياء، ثم تتجاوزها إلى ما هو أبعد من مجرد التشابه، فهي ليست مجموع المشبّه والمشبّه به، إنها سياق آخر، ومن هنا تدهشنا الصورة الشعرّية المبتكرة.

وفي الشعر الجاهلي نجد أَنَّ الشاعر القديم استعملها ليس بقصد تبيان الشبه أو وجوهه، وإنّما أراد من وراء ذلك خلق وقائع جديدة، تكون انعكاساً مبدعاً، وخلاّقاً، وفاعلاً لواقع فقير مدقع.

إنّها تتخيل ذلك النسق الثقافي، والنفسي والاجتماعي لهذا الواقع، لتكشف عن مخاوفه وهواجسه، ودوافعه العميقة، ورؤاه النهائية والغايات القصوى له.

ولهذا، فإنَّ الصورة الشعرية محكومة بسياقات محددة لتخلقها، وتشكلها، نوردها كالآتي:[3]

أولاً: الخيال: وهو المسؤول عن صياغة الصورة وتلاحم أجزائها.

---

[1] أنظر: "مع الشعر العربي، أين هي الأزمة" جودت نور الدين، دار الأدب، بيروت، 1996، ص32.

[2] قراءة ثانية لشعرنا القديم، د. مصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، ص97.

[3] مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 2001، ط3، ص217.

ثانياً: الصورة ذاتها: وهي صورة جزئية ينسجها العقل ليعبر فيها عن تمثل "الذات" للموضوع أو جزء منه، وهي ما ينتجه انفعال الداخل أمام الخارج.
ثالثاً: الرمز: وهو الكهف الذي يضم الطلاسم، والخازن لكنز المعاني، الكامن وراء ظاهر التطورات والمخبوء داخل خلايا القصيدة، والحامل لمكونات النفس، دون أن يبيح للوعي حق إبرازها، ودفعها إلى السطح.
رابعاً: الموقف أو الحالة، وهي الصورة التي تتواكب فيها جملةٌ من الأفكار الجزئية، أو الصورة الصغيرة التي تكونت عبر الانفعال لترقى بالعقل، إلى مستوى من مستويات الإدراك.
خامساً: الإحساس: وهو مرتبة شعوريّة واعية يتفوّق فيها العنصر الخيالي، على العنصر العاطفي.

نقدم هذا، للإجابة على سؤال مفاده: إلى أي مدى أسهمت الأخيلة، والصورة في صياغة الموقف، أو الحالات، وخاصة فيما يتعلق بصورة الليل، وإلى أي مدى أسهمت هذه العناصر في تشكيل المعنى؟ على أن نكون آخذين بالاعتبار، أن الوعي الجاهلي كان يعبر عن ذاته داخل القصيدة بالدرجة الأولى.

فوظيفة الصورة الشعريّة تتعدى الوظيفة التوضيحيّة في تقريب التجربة الشعريّة من الواقع، وتحريك مشاعر القارئ، أو السامع، وإنماء عقله – إلى وظيفة بنائية[1] من حيث إنشاء أو إعادة العلاقات بين الأشياء، وإلى الوظيفة الكونية أيضاً، بمعنى تحول الصورة إلى رؤية هذه الوظائف – إذا صح تسميتها وظائف– متداخلة فيما بينها، ولا يمكن وضع حدود واضحة بينها، وهذا ما سوف نراه في صورة الليل كما عبّر عنها الشاعر الجاهلي، إذ أن هذا الشاعر – الذي اعتمد الصورة الشعرية في شعره كلِّه، اعتمد التشبيه، والاستعارة والمجاز، والكناية في الصورة المبتكرة. وقد ركز في بعض الأحيان، على عناصر اللون، والحركة والصوت، والزمان، والمكان، الأمر الذي أغرى بالقول، إنّ الشعراء الجاهليين متشابهون في صورهم ومقلدون لبعضهم.

والاستعارة، ألصق بالشعر من التشبيه، ذلك أن التشبيه يفيد الغيريّة، أما الاستعارة فتوحّد بين المتشابهين في الصفات، دون الإشارة إلى مشابهة بينهما.

أما إذا أردنا أن نستعمل مصطلحات البلاغة الحديثة، فالمجاز هو ما يمكن اعتباره انزياحات لمعاني الكلمات من حيث موقعها في النَّص، والاستعارة هي ما يمكن اعتباره "التشخيص"[2].

---

[1] بنية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية لدى امرىء القيس، د. ريتا عوض، دار الأدب، بيروت، ص172–175.

[2] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، القاهرة، دار المعارف، 1973، ص192..

ويمتاز الشعر الجاهلي بخاصيتين هامتين هما:[1]

أ -**الإيجاز**: الذي يتمثل في الاقتصاد الشديد في استخدام المفردات اللغويَّة، في التعبير من خلال الصورة الشعريَّة، وهو إيجاز يكاد يبلغ حد الاستغلاق في بعض الأحيان، ولكن قارئ هذا الشعر لا يلبث أن يكتشف من وراء هذا الإيجاز اللغوي كنوزاً من المعاني التي يدعو بعضها بعضاً من خلال هذا العدد المحدود من الكلمات.

ب **غلبة المجاز على لغة هذا الشعر وصوره الفنيَّة**، ولقد كان لقدرة الشاعر الجاهلي على استخدام اللغة هذا الاستخدام المجازي الواسع، أثره في أن يغلب التعبير الرمزي، على التعبير المباشر، وأن يعلو الفن الشعري، تبعاً لذلك على الواقع الحقيقي، ليصبح من خلال هذه الرموز بناءً مجازياً يعبر فيه الشاعر عن قضايا ومواقف من الحياة، والناس من حوله، تعبيراً رمزياً ممتعاً. تجب الإشارة هنا إلى ما أشارت إليه الباحثة ريتا عوض عما أسمته "الوحدة البنائية" للقصيدة الجاهلية اعتماداً على الفكرة السابقة في أحد أوجه نقاشها للمسألة[2].

فالقصيدة الجاهلية، المليئة بالانزياحات أو المجازات، ما هي إلا رمز كبير يُفتت إلى صور جزئية يراها الشاعر الجاهلي، وكذلك سامعها تتناول موضوعاً واحداً ليس إلاّ.

وعلى هذا كيف يرى الشاعر الجاهلي الليل؟

بصورة عامة، فإن الليل، بالنسبة لهذا الشاعر مخيفٌ ومرعب، فهو الوقت الذي تستيقظ فيه الأرواح الشريرة طالبةً الثأر، وتجوب فيه الوحوش الصحاري، والوديان، وهو وقت الجوع ووقت الهموم، ووقت النجوم. وهو وقت التأمل، والشكوى، وهو الوقت الذي تتبدّل فيه الدنيا، وتتغيّر، فكل شيء مريب، ومفاجئ، ولا يمكن الوثوق به. هو الوقت الذي تظهر فيه النجوم، والجن، والغيلان وكذلك الفوارق الطبقية (الأغنياء والفقراء) والفوارق الفردية (الشجاعة والجبن) ويندر أن نجد شعراً يمدح الليل أو يستطيبه إلا في حالات زيارة الحبيب أو طيفه – باعتبار الليل ستّاراً من جهة، وباعتباره وقتاً تحدث فيه المعجزات من جهة أخرى.

---

[1] قضايا الشعر في النقد الأدبي، د. ابراهيم عبد الرحمن، دار العودة، بيروت، ط2، 1986، ص64-65.

[2] بنية القصيدة الجاهلية، مرجع سابق، ص177.

لنتأمل هذه الصورة الشعرّية لليل في قول امرئ القيس:

وليلٍ كموجِ البحر أرخى سدوله عليَّ بأنـــــواع الهموم ليبتلي [1] "الطويل"

يشبه الشاعر الليل بموج البحر الذي يرخي سدوله وأطرافه على قلب الشاعر ليبتليه.

الليل موج بحر، تشبيه ساحر، وترك للقارئ، أو السامع أن يجد أوجه الشبه بين سعة الليل، وظلمته، وثقله وبطئه، وبين موج البحر في كثافته، وعتمته وبطء حركته.

ولكنَّ الشاعر لم يكتفِ بذلك، بل أضاف القول "أرخى سدوله" مجازٌ جميل، وعجيب أيضاً فالليل لم يعد وقتاً أو ظرفاً بل "يرخى" أي تحوّل إلى شخص يرخي شعره مثلاً، وهكذا فإن فعل "أرخى" انزاح في معناه ليعطي الليل صفة الإنسان الذي يرخي ستائر من العتمة بدلاً من شَعَره– ولنلاحظ أنَّ الشَّعْر أسود، وكذلك الليل، ولكن الشاعر لم يكتفِ بذلك، بل قال إن الليل لم يرخِ ستائره فقط، إنما هذه الستائر كانت ستائر من أنواع الهموم المختلفة من أجل ابتلاء الشاعر.

إذن، الليل لم يعد ظرفاً زمانياً، وإنما أصبح شخصاً يسدل على الشاعر ستائر من الهموم ليبتليه ويمتحنه. استعمل الشاعر مجازات رائعة، وجميلة، ليصبح البيت الشعري مجازاً هو الآخر، مجازاً كبيراً، ورائعاً. فالليل هو الزمن، والزمن هو الذي يمتحن الشاعر بالهموم، والمصائب. إذاً الشاعر يصارع الزمن ليس إلا.

إن كلمة "أرخى" و "يبتلي" بما منحتا من مجاز حوّل هذا البيت إلى بيت شعري خالد.

فالمفارقة الجميلة، والمدهشة هي ما نشعره، ونتذوّقه في الفرق بين الفعل الماضي "أرخى" والفعل المضارع "يبتلي" فصراع الشاعر مع الزمن كان في الماضي، وهو مستمرٌ في الحاضر.

الشاعر في البيت السابق، لا يصوّر، وإنما يرمز، وكان المجاز وسيلته إلى الاختصار، وإلى هذا التكثيف المعجز.

امرؤ القيس الذي رأى في الليل شخصاً يصارعه، يخاطبه مباشرة بقوله:

فقلتُ لـــه لما تمطّى بجوزه وأردف أعجازاً وناء بكلكـــــلِ [2] "الطويل"

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبحٍ وما الإصباح منك بأمثلِ

---

[1] ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، مطابع دار المعارف بمصر، ط1، 1974، ص16.

[2] المصدر نفسه ص 18.

يخاطب الشاعر الليل بقوله "فقلت له" مجاز آخر تتعزز فيه صورة الليل كشخص عنيد، له قدرة هائلة على الإطالة، والإملال، والصورة هنا ما تزال جزئية – ونعود هنا إلى ما ذكرته ريتا عوض التي أشارت إلى أن وحدة البيت الشعري الجاهلي شبيهةٌ بوحدة أحجار البناء الواحد".[1]

فالحوار بين الشاعر والليل هو رغبة الشاعر الدفينة في الحوار مع الزمن أو القدر.

"الصورة الشعريّة لدى الشاعر الجاهلي تعبير عن روح جماعية، وماضٍ، يشكل عقائديةً واسطورية معروفة مسبقاً لدى جمهور المتلقين"[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى ما أشار اليه الناقد يوسف اليوسف عن هذه الصورة الشعرية بالذات، "إنها تتمتع بحركية داخلية"[3]. هذه الحركة الداخلية نستشعرها بالأفعال "تمطى" و "أردف" و "ناء".

إنّ امرأ القيس بالذات هو أكثر الشعراء الجاهليين، قدرةً على تصوير الحركة، وصولاً إلى التصوير "الدرامي" الذي تتحول فيه الأشياء إلى أرواح، وأشخاص حيّة تتحرك، ولها مشاعر وأحاسيس فيندمج القارئ أو السامع بها أيّما اندماج.[4]

ثقل الليل وطوله، وإملاله، باعتباره وقتاً كريهاً، يعبر عنه عنترة في قوله:

أُراعي نجوم الليل وهي كأنَّها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرَجُ [5] "الطويل"

الصورة هنا تقوم على التشبيه أو "الغيريّة" بتعبير د. جابر عصفور، بمعنى أن التشبيه هنا توضيحي، نجوم الليل تشبه القوارير المملوءة بالزئبق المترجرج، جمالية هذه الصورة تأتي من تلك الظلال التي تشع من كلمة "يترجرج" فهذه الحركة التي نستشعرها مع هذه الكلمة تعيد، أو تصور لنا النجوم غير ثابتة، وإنما هي دائمة الحركة والاهتزاز.
الصورة التوضيحية في هذا التشبيه جميلة، وجميلة جداً، ذلك أنها لم تتوقف عند حد التماثل بين صورتين، وإنما تعدتها إلى حركة، واهتزاز، وتعدتها أيضاً إلى ما حملته من رموز، إذ أن جوهر القيمة الفنية لا يتحقق فيما تؤديه وظيفة التشبيه فقط، وإنما في الوقوف على جملة الرموز التي تتخايل إلينا في أثنائها، فما هي علاقة النجوم بالقوارير المملوءة بالزئبق الرجراج ؟! ماذا تثير هذه الصورة في وجدان الجاهلي القديم؟!

---

[1] بنية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية، ص392.

[2] عبّر عن هذا الراي كل من الدكتور قصي الحسين في كتابه "انثروبولوجيا الصورة الشعرية قبل الإسلام"، وكذلك مصطفى ناصيف في كتابه "قراءة ثانية لشعرنا القديم" وكذلك د. حسن البنا عز الدين في كتابه "الطيف والخيال في الشعر العربي القديم".

[3] مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 2001، ص232.

[4] النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق ذكره، ص123.

[5] ديوان عنترة بن شداد، تحقيق محمد سعيد مولودي، المكتب الإسلامي بدمشق، 1970، ص175.

ماذا تعني له القواوير المملوءة بهذا المعدن الأبيض النادر والسام، والذي لا يمكن الحصول عليه بصورة نقية إلاّ بصعوبة؟ إذن المسألة أعقد بكثير من التشبيه التوضيحي، الشاعر يبدو هنا وكأنه لا يوضح، وإنما ينقل صورة قادمة من أعماق اللاوعي ليضعها، على مستوى الوعي، هذا الأمر نراه في قول امرئ القيس:

إذا ما الثُّريا في السَّماءِ تَعَرَّضت تَعَرُّضَ أَثناءِ الوشاحِ المفصّل [1] "الطويل"

هذه الاستعارة العميقة، والبعيدة، بالغة الجمال والإدهاش، فالثريا التي تظهر في السماء، هي وشاح، وبسرعة تستدعي كلمة الوشاح المرأة بكامل بهائها، وسطوعها، وإثارتها، فالثريا امرأة، والمرأة، دائماً كانت مدار الخصوبة، والكثرة (والثريا من الثراء، والكثرة، والخصب)، هذه الاستعارة الذكية، والبعيدة جميلة عندما نكتشفها، مدهشة عندما نتذوقها.

ولكن الليل أيضاً وقت الإحساس، بالفوارق الطبقية والفردية، ووقت الهم، والجوع، والخوف، والحذر، والإحساس بانعدام الأمان. الليل لدى الجاهلي وقت كريه، فيه ما لا يخطر على بال.

يقول الشنفرى عن ليله [2]:

ومرقبةٍ غَيطاءَ يقصرُ دونهـــا أخو الضرورةِ الرَّجُلُ الحَفيُّ المخففُ "الطويل"

نُميت إلى أعلى ذراها وقد دنا من الليــل ملتف الحديقـــة أســدفُ

فبِتُّ على حدِّ الذراعين مُحْدِباً كمــا ينطــوي الأرقم المتعطّـــف

الليل الذي "يدنو" بمعنى يحل، أو يشتمل أو يغطي أو يستر – هذا الليل هو ملتف، وصاحب سُدُف، الليل الذي "يدنو" ليلٌ يحمل معه أغطيته الكثيفة، والغليظة، وبهذا الانزياح الجميل يتحوّل الليل إلى شيء حي يحمل معه أستاره التي يُلف بها الشاعر الذي ينام على أحد ذراعيه مقرفصاً تماماً كالأفعى الملتفة على نفسها، والشاعر يزيد الألوان سواداً على سواد، فالليل المعتم كثيف الظلمة، يضاف إليه لون الأفعى الأسود، ليتداخل لون الشاعر بلون الليل، ليصبحا كتلةً واحدةً، لا يمكن التمييز بينهما، وهو ما يريده الشاعر (الأمان) فهو يصعد إلى قمةٍ عاليةٍ لا يصلها أحدٌ، ثم يختفي في سواد الليل صاحبِ السُدُف المعتمة، ليغيب فيها أفعى

---

[1] ديوان امرئ القيس، دار الفكر، بيروت، 1968، ص32.

[2] شرح ديوان الشنفرى، تحقيق محمد نبيل طريفي، دار الفكر العربي بيروت، ط 1، 2003، ص57–58 وعمرو بن مالك الأزدي، شاعر يماني فحل، من الصعاليك الفتاك، توفي نحو 100 ق.هـ/ أي نحو 525م.

مرقبة عنقاء: مكان للمراقبة عال جداً، وأنظر الأغاني، ج21، ص91، 92.

أخو الضرورة: الرجل صاحب الخبرة، الحفيف: حافي القدمين، ملتف الحديقة: معتم. أسدف: من السدف وهي الستائر الغليظة. محدباً: مقرفصاً. الأرقم: الأفعى. المتقصف: الملتف.

سوداء. ليلٌ قاس، ومرعب، وهو بالذات ما عبر عنه شاعر صعلوك آخر هو عروة بن الورد عندما يجُنهُ عليه الليل، فكيف يراه، وكيف يصفه:

لحى الله صعلوكاً إذا جنّ ليله مُصَافي المشاش آلفاً كل مجزر [1] "الطويل"
يعد الغنى من نفسه كلَّ ليلةٍ أصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاءً ثُمَّ يصبح ناعساً يحثُّ الحصى عن جنبه المتعفّرِ

يفرق الشاعر بين نوعين من الصعاليك في تعاملهم مع الليل فهناك صعلوكٌ يقبل لنفسه أن يقضي وقته عند صديق غني يطعمه أطراف العظام الطرية، فيما هناك صعلوك آخر يبذل ماله "السارح" ويقصد به الإبل من أجل أضيافه الذين يزورونه في الليل.

هذا المجاز "البعيد لصورة الليل يدعونا إلى التوقف عنده، والتأمُّل فيه، فالليل يرتبط بالجوع مباشرةً، الصورة الشعرية تأتي لدوافع مادّية بالضرورة، أو الصورة الشعريّة هي وعيٌ بالموضوع أولاً، ولهذا فإن الليل لدى عروة بن الورد هو الوقت الذي نشعر فيه بالجوع، ونشعر بالحاجة إلى الآخرين.

الليل بهذا المجاز البعيد، كالسكين الذي يفرق بين نوعين من الصعاليك (الكسول، والنشيط) والناس (الأغنياء والفقراء) عندما يأتي الليل أو يجن – وأصل الكلمة من التغطية والستر والخفاء – والمفارقة هنا، أن الليل الذي يخفي، ويستر ويغطي، فإنه يفضح الواقع الاجتماعي تماماً، (مجازٌ بعيد جميلٌ وعميق).

الإيجاز، والمجاز الكثيف، والعميق، يجعل من هذا الليل ليلاً قاسياً ومكلفاً وفضاحاً كما يصفه الشنفرى.

الليل القاسي هو أيضاً ما يعبر عنه المهلهل، ولكنه يضيف إلى القسوة شيئاً آخر هو الشر يقول المهلهل:

أليلتنا بذي حُسُمٍ أنـــــيري إذا أنتِ انقضيتِ فلا تحوري [2] "الوافر"
فإن يك بالذنائب طال ليلي فقد أبكي من الليـــــلِ "القصيرِ"

---

[1] ديوان عروة، ص37 و عروة بن الورد، من الأجواد توفي نحو 30ق.هـ أي نحو 594م – *الأعلام للزركلي*.
وهو عروة الصعاليك، جامعهم والواقف معهم.

[2] الأغاني، دار الفكر. بيروت، ص146، جزء4
لحى الله: دعاء على الصعلوك. مصافي المشاش : طري العظام. قرارها: طعمها. ميسر: غني. مقتر: بخيل. .
والمهلهل هو عدي بن ربيعة تغلبي، وخال امرئ القيس وهو من الأبطال، وأول من هلهل الشعر، أي قاله ضعيفاً أول الأمر، وقد توفي نحو 100 ق.هـ./ الزركلي.

لا بد أن "ذي حسمٍ" و "الذنائب" أمكنة تعني شيئاً لسامعها، ويبدو ايضاً أنَّ الليل بهذه الأمكنة يعني شيئاً ما لجمهور المتلقين، لأنَّ الشاعر يشبه الليل بهذه الأمكنة، بأنه شرٌ كبير، دفعنا فيه الشاعر دفعاً إلى افتراض تلك المشابهة، فما دام قد أُنقذ من شرٍ كبير، فيعني هذا بالضرورة، أنَّ الليل في تلك الأمكنة كان وحشاً مرعباً، أو كائناً خرافياً ينذر بالشّر، يخاف من ضوء الصباح.

الشاعر الخائف من ذلك الليل/ الوحش، رأى في النجوم إبلاً ولدت حديثاً "تعطف" على جملٍ صغيرٍ مكسور كما قال المهلهل:

كأنَّ كواكب الجوزاء عُودٌ مُعَطَّفةٌ على ربعٍ كسيرِ [1] " الوافر "

في هذه الصورة الشعرية الرائعة، كل شيء يتحرك أو يضمر الحركة، كل شيء حي، ويمكن له أن يصنع العجائب، الليل وحشٌ كاسر، أو كائن خرافي يريد إهلاك الشاعر، فيما كانت النجوم، وخاصةً الجوزاء، إبلاً عطوفةٌ. الأرض في ذي حسمٍ، و "الذنائب" مخيفة، ومرعبة، فيما السماء طيبةً وعطوفة. المقابلة بين الشّر على الأرض، والخير في السّماء، صورة شعريةٌ هي جزءٌ من "رؤية" عليا، ومعتَقَدٌ، جماعي يعبر عنه الشاعر بمنتهى البلاغة، والجمال، والشفافية.

وإذا كان المهلهل قد رأى في الليل مجرد شر، فإن الشاعر عدي بن زيد العبادي، يرى في الليل الوقت المناسب لتذكر الموت، يقول الشاعر:

وعاذلةٍ هبّت بليـــلٍ تلومنـــي فلّما غلت في اللوم قلت لها اقصــدي [2] "الطويل"

أعاذل إن اللومَ في غيــرِ كنهه عليَّ ثنى مــن غيّـــك المتـــرددِ

أعاذل إنَّ الجهل من ذلةِ الفتى وإن المنايا للرجـــال بمرصـــــد

أعاذل من أدنى الرشادَ من الفتى وأبعـــدَهُ منه إذا لـــــم يُســـدَّدِ

أعاذل من تكتب له النـــار يلقها كفاحاً ومن يكتـــب له الفوز يسعــد

أعاذل ما يدريكِ أن منيتي إلى ساعةٍ في الليل أو في ضحى الغدِ

يبدو الليل في هذه الأبيات محرضاً للشاعر، على التأمل ، والتفكر في حياته، وأهدافه النهائية، العاذلة تهب في الليل لتسأل وتلوم وتعاتب، فيرد عليها الشاعر بما يؤمن به بإجاباته النهائية وقناعاته.

---

[1] ديوان المهلهل/.56

[2] ديوان عدي بن زيد العبّادي، ط1، ص58.

وعدي هذا توفي نحو 35 ق.هـ / أي نحو 590م، وهو شاعر من دهاة الجاهليين، أنظر، الأعلام للزركلي، ط 11، 1995، دار العلم للملايين، ص220، جزء4.

إنّ المتلقين للشعر الجاهلي سيدركون عمق الحوار وأهميته، لأنه يجري في الليل كظرف زماني مقبول ومستساغ.

والأهم من ذلك كله أنَّ الليل – وهو زمان الحوار– يؤدي بالشاعر إلى تذكر الموت، إذن، لا بد من انتهاب الحياة، ولذائذها، بجسارةٍ وسرعة.

ارتباط الموت بالليل، هو الصورة التي ابتكرها الشاعر طرفة بن العبد في قوله:

أرى العمر كنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ

وما تنقص الأيامُ، والعمر ينفدِ "الطويل"[1]

الدهر في هذا البيت هو الأجل، والشاعر الذي يشبه الأجل بالكنز، تشبيهاً بليغاً، يحسب نقصانه بالليالي وليس بالأيام، وبما أن الأجلَ غالٍ، ونفيس فإن "عملة الحساب". هي أيضاً غالية، ونفيسة أي الليالي، ليالي اللّذة، والمتعة ليالي الشرب، والأصحاب، فالشاعر يربط بين المتعة، واللّذة، وبين الموت، وهكذا فإن المتعة تسرق الحياة وتقرب الموت، وبهذا يتحول ليل المتعة إلى "سارق" للكنز ليس إلاّ.

إنَّ كلمة "ينفد" مجازيّة، وحقيقية في آن معاً، مجازيّة، عندما يتحول الليل – المتعة– إلى سارق للكنز.

روعة هذا البيت أنه يستعمل الأفعال المضارعة "أرى" و "تنقص" و "ينفد" أي أن انقضاء الأجل يجري في كلِّ لحظة، أي أن الموت حاضرٌ أمام الحياة، أو هما في لحظة اشتباك دائمة، حتى ينفد الأجل.

طرفة بن العبد، وخاصة لما نعرفه عن طبيعة حياته، خير من عَبّر عن تلك العلاقة المعقدة، ما بين اللذة والموت.

والليل –بصورة عامة– لدى شعراء الجاهلية هو مجاز كبير لرمز أكبر، وفي هذا الصدد، لا يغيب عن بالنا ما لليل من معانٍ دينية، وعقائدية في الأديان التي كانت منتشرة في بلاد الرافدين، وجزيرة العرب ومصر، إذ إنّ الليل يلعب دوراً حاسماً في تحديد المصائر، والأقدار، وهما ما نجده لدى الأساطير التي كان العرب يعتقدون بها، كالصدى، والهامة والجن،والأرواح الشريرة، والطيور، والدواب التي تظهر في الليل، وبالتالي فإن دلالة كلمة

---

[1] ديوان طرفة بن العبد، تحقيق درية الخطيب، ولطفي الصقال، دمشق، ط1975، ص40.

الليل في شعر هؤلاء يتغير بتغير موقعها في الكلام، وبتغيّر علاقاتها مع بنية القصيدة بشكل عام[1] .

حركة الليل هي حركةٌ دائبةٌ، أبديةٌ لا تنتهي، وهي ذات الحيرة التي عبر عنها طرفة ابن العبد، وعديُّ بن زيد.

الليل –مجازاً– هو الزمن الأبدي – أو هو الأبدّية. مكابدة "الأبديّة" أو "الهم"، يصورها لنا الأعشى الذي ألقى ما في صدره على الليل، يقول الأعشى:

فبت بليلةٍ لا نومَ فيـــــها أُكابِدها وأصحابـــي رُقـــود [2] "الوافر"
كأن نجومها ربطت بصخرٍ وأمراس تدور وتستزيـــــد
إذا ما قلت حان لها أفــولٌ تَصَعَّدَتُ الثُّريا والسُّعـــــودُ
فلأياً ما أفـــــلنَ مُخَوِّياتٍ خُمود النّارِ وارفضّ العَمودُ

إن التشبيه الوارد هنا، هو تشبيه داخلي جداً، أي أنَّ الشاعر الذي يكابد في الليل ما يكابد، رأى النجوم مربوطةً إلى صخر.

إن صورة الليل الثقيل، والبطيء، مثار الحزن، والهم، والعتاب، وهي صورة متكررة جداً في شعر الجاهليين، ويدل ذلك فيما يدل على أن هناك صورة نموذجيّة لليل في أذهان الجاهليين.

أعني بذلك أن هناك ثقافة جماعيّة ترى في الليل تلك الصورة مما يدل على ثبات تلك الثقافة، وامتدادها، وثباتها، ورسوخها.

هذه الصورة تتكرر دائماً، وبشكل يثير العجب، إذ يقف الليل أمام الشعراء الجاهليين، ليثيرهم، ويدفعهم إلى التأمل والحكمة، الليل إذن هو وقت التأمل أيضاً، يقول الأسود بن يعفر النهشلي عن ليله، وهي:

نامَ الخَلي وما أُحسُّ رُقادي والهمُّ محتضِرٌ لَـــديَّ وِسَادي [3]: "الكامل"
مِنْ غيرِ مَا سَقَمٍ ولكنَ شَفّني هَمٌّ أراه قد أصابَ فـــؤادي
وَمِنَ الحَوادثِ لا أبالك أنني ضُرِبَتْ عليَّ الأرضُ بالأسدادِ
لا أهتدي فيها لموضع تلعةٍ بين العِراق وبينَ أرضِ مُرادِ

---

[1] بنية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية، مرجع سابق، ص201–202.

[2] ديوان الأعشى، ميمون بن قيس، شرح وتعليق محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، مصر، 1974، ص37.

[3] الأسود بن يعفر النهشلي، الديوان، صنعه نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة والإعلام، مديرية الثقافة العامة، سلسلة كتب التراث 15، ص25، 26.

هذه الاستعارات الجميلة، التي استخدمها الشاعر ليصف فيها ليله الثقيل، توظّف جميعاً ليصل إلى النتيجة النهائية "لا أهتدي فيها لموضع تلعةٍ".

لنتأمل هذه الاستعارات ، والقريبة، والنافذة:

"الهم محتضرٌ لديَّ وسادي" و "همٌ" أصابَ فؤادي" و "ضربت عليَّ الأرض بالأسداد" استعارات ذكيةٌ وحقيقية، وصادقة لتصوير عقل، وقلب، ووجدان من رأى الليل مناسبة ليصور أحزانه، وهمومه.

تصوير الليل، باعتباره الوقت الأمثل للشكوى، والتأمل والاستنكار، شكل العلامة الأبرز في ثقافة العــرب القدماء–على عكس عصور عربية إسلامية أخرى ترى في الليل مناسبة للهو، فهذا النابغة الذي يصور الليل انعكاساً لما يحسه، ويشعـــــر به يقول:

كليني لهم يا أميمةَ ناصبِ وليلٍ أُقاسيه بطيءِ الكواكــبِ [1] "الطويل"

تطاول حتى قلت ليس بمنقضٍ وليس الذي يرعى النجوم بآيبِ

هذه صورة بديعة للعلاقة بين دخيلة الشاعر، وبين معطيات الليل كلها.

لنلاحظ أولاً تلك الموسيقى الداخلية التي نحسها، ونتذوقها في أرواحنا، للتناسق الإيقاعي بين كلمتي تطاول "وتضاعف".

فالليل كائن يتطاول، ويتضاعف، ويتزايد، ويتكاثف، في نزوع ملحوظٍ لدى الشعراء الجاهليين، إلى ما يسمى بالتشخيص حسب مفردات البلاغة الحديثة[2].

لم يعد الليل زمناً فقط بل هو كائن يتطاول، ويتضاعف، ليس هذا فقط، بل هو أيضاً يستطيع إيقاظ الهموم البعيدة والغائبة في صدر الشاعر.

التشبيه المجازي للّيل، جعل الشاعر قادراً على التحول من حال إلى حال.

هذه الصورة الشعرية مليئة بالحركة، وهو ما يظهر من خلال الأفعال " كليني " ، " تطاول "و " تضاعف".

وجماليةُ هذه الصورة، أنها على الرغم من تصويرها للبطء والثقل، إلا أنها في المقابل صورت الاضطراب الشديد في قلب الشاعر، ولهذا فهي صورة بالغة الدقة والروعة في جمعها للمتناقضات، ودمجها بين المتفرقات، فقد جمعت الحركة، والسكون معاً.

وللنابغة قصصٌ أخرى مع الليل، فهو يضغط على روحه كلما جَنّ الليل، وهو يصور لنا همومه تبحث عن أسبابها، فلا تجدها ، يقول النابغة:

---

[1] ديوان النابغة، دار صادر، ص9.

[2] النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق، ص124.

كتمتكَ ليلاً، بالجمومينِ ساهراً وهمَّين: هماً مستكناً وظاهراً [1] "الطويل"
أحاديثَ نفسٍ تشتكي ما يريبها وَوِرْدَ هُموم لم يجدن مصادرا

الليل يضغط على الشاعر، ويثيره، ويحرّضه، ولهذا فإن "أَحاديث النفس تشتكي ما يريبها".
لنتأمل هذا المجاز الشعري الجميل، والدقيق، والكثيف، والرامز، أحاديث النفس الغامضة، والعميقة، تشكو مما يريبها، شبّه أحاديث النفس، وهي الهواجس والأسئلة الوجوديّة– بالشخص يشكو المريب، والمخيف والمجهول.

ولأن الشاعر دقيق، وصادق مع تجربته، فقد شبه الهموم التي يشعر بها، بأنها أشخاص مجهولة المنابت، والمصادر، إنه عملياً يصور أزمةً وجوديةً، يشعر بها دون أن يستطيع تحديد الأسئلة، والإجابات، ولكنّ هذا المجاز، وهذا الإيجاز الدقيق، والرائع، وضعنا أمام حيرة يشعرها الإنسان دائماً أمام الليل.
هذا الشعور هو ما وضعه عدي بن زيد العبادي، الذي شبّه الليل كأنه ليلان معاً لطوله، وثقله، ولضغطه على الروح، يقول الشاعر:

وكأنّ الليـــــل فيه مثلـــُــه وَلَقِدْمَاً ظُنَّ باللّيل القِصَــر [2] "الرَّمَل"
لم أُغَمِّضْ طولهَ حتى انقضى أَتمنى لو أرى الصبحَ جَشَرْ
غير ما عِشْقٍ ولكنْ طـــارقٌ خَلَسَ النّومَ وأَجداني السَّهَرْ

تشبيه الليل بأنّ فيه مثله، تشبيه توضيحي، قريب، ولكن مؤثر، وجميل، والحركة في الصورة حركة واضحة، وقوية تحيط بها ظلال كلمة "انقضى" و "أرى"، أما "الطارق" الذي خلس النوم، يشير به الشاعر إلى تلك الهواجس، التي تظهر في الليل، وتبدأ بالإزعاج، تشبيه الليل بأنه اثنان صورةٌ جميلةٌ رغم قربها، ووضوحها وعدم التعب في إدراكها.

تجدر الإشارة هنا، إلى أن مختلف صور مكابدة الليل (الأسود) تنتهي بميلاد الصباح الأبيض. إن هذا اللون الرامز للشمس، والقمر، والضوء عموماً، هو تماماً ما تمّت عبادته في

---

[1] النابغة الذبياني، الديوان، دار صادر، دار بيروت، تحقيق كرم البستاني، 1963، ص63.
[2] ديوان عدي بن زيد العبّادي، ص120.

أديان العرب الجاهليين[1]. وعليه يكون الليل في إحدى صوره الوجدانية العميقة، "الوقت الكريه".

وقد يكون الليل هو الظرف الأنسب للتخيّلُ، وهذا ما يعبر عنه طرفة بن العبد، من:

جازت البيد إلى أرحلـــنا آخر الليل بيعفور خدر [2] "الرمل"

ثم زارتني وصحبي هُجَّعٌ في خليط بين برُدٍ ونمر

فالمرأة التي تزور الشاعر في آخر الليل هي يعفورٌ خدر، الوقت هو آخر الليل، حيث الأوهام، والهواجس، والأحلام، والأماني، ولهذا لم يقل الشاعر، إنّ من زارته امرأة بل غزالة، وهي لا تمشي، بل تطير، وتستطيع أن تتجاوز البيد كلها، مهما كانت خطرة، وشاقة، هذا هو "صميم الاستعارة" بلغة الجرجاني، والاستعارات التي من هذا النوع كثيرة في الشعر العربي الجاهلي، أقصد، زيارة الأطياف والأخيلة للشعراء في الليل،وقد خصص الدكتور حسن البنا عز الدين بحثاً مستوفياً، وجامعاً لهذه الظاهرة في الشعر الجاهلي.

أهم ما فيه أنّ "الليل" هو الوقت الوحيد الذي يرى فيه الشعراء، تلك الأطياف التي تأتي على شكل أحلام، أو نساء من طيبٍ أو عطر، أو كائنات خرافيةٍ أو حيوان لطيف.

هذا التصوير الذي يكون في حالة هي بين الحلم واليقظة تستدعي لغة خاصة هي، ما بين المجازية والاستعارة، لتستوعب تلك الحالة.

الشاعر امرؤ القيس يلحظ من ليلته لون السواد الذي يُذَكّر بالموت،والشدّة، والقسوة، ويخلط بين ما يجده في نفسه من ضياع ملكه وعشيقتـــه، وبين الليل الأسود فيقول:

فِبِتُ بليلةٍ بثّت همومي بها طُولٌ وحالكةُ السواد [3] "الوافر"

رعيت نجومها حتى استقَلَّت تَواليهـــــا بغيرِ سِيـــاق حَادِ

أُشبهِّهـــا مقاولتـــــي وقومي إذا لبســـوا السَّنَوَّر للجـــــلاد

وأحزان المحب طرقن وهناً وأحزاني التي طَرقتِ وسادي

---

[1] هذا ما أشرنا اليه وسنشير اليه أيضاً في الكلام عن أبعاد صورة الليل في الشعر الجاهلي القديم، حيث أشار كثير من الباحثين إلى عبادة الشمس، والقمر، والنجوم، باعتبارها مصدر الضوء، والمغيب والمطر.

[2] ديوان طرفة بن العبد، ص52.

أرحلنا: المكان الذي نزلنا فيه. يعفور خدر: غزال. همع: ينام. برد ونمر: أغطية.

[3] ديوان امرئ القيس، ص288.

مقاولتي: أبناء قومه بلغة أهل اليمن، يقول إنّ لون الليل يشبه الجلود السوداء التي يلبسها قومه عندما يحاربون.

أمن طللٍ لأمّ الجهـــم عافٍ يلـــــوحُ كَرقَمْ أجنحة الجراد [1]
بخيف منىً فأبكانـــــي عليه بُكاءً، من حَمامَـــةِ بطـــــن وادِ

يشبه الشاعر ليله "الأسود" بالجلود السوداء التي يلبسها أسياد قومه، عندما يتهيأون للحرب، يُذَكرّه اللون الأسود، بالحرب، وتحقيق الثأر، هذه الصورة الشعرية جديدة، بمعنى أن تشبيه لون الليل بجلود الحرب فيه جدّة، وتميّز، ولكن في الجذور العميقة للصورتين، يبقى الإطار العام صحيحاً، فما دام الليل عدواً، وذا مخاطر، فإنَّ جلود الحرب التي يلبسها قوم الشاعر هي أيضاً ذات مخاطر، أي أنه يهدد، ويتوعد بها، وكان امرؤ القيس كثير التهديد لمن سلبوا ملك أبيه.

وأعود إلى مسألة اللون هنا، فإنَّ تشبيه سواد الليل بجلود الحرب السوداء، هو أكثر من تشبيه توضيحي، أو تقريبي، إنه تشبيه يقوم على أساس أسطوري، وعقائدي، يختص بعلاقة مصير الأرواح بالليل. أو علاقة الموت بالليل، "السواد" وهو مصير سيء، وقد يكون ذلك سبب تشابه الشعراء في وصفهم ثقل الليل وبطئه، ورغبتهم في التحديق بالنجوم، ووصفها بأنها إناث، عطوفات، أو دلائل على المطر الخصب، وكأنّهم يتعلقون بالسماء حتى ينسوا سواد الأرض.

ولكن الليل المخيف، والمرعب، هو جزءٌ من صورة مقدسةٍ أيضاً، بمعنى أنّ الغامض، والمخيف، مقدس، وما نخاف منه نحاول استرضاءهُ بالعبادة، والتقديس،ولهذا يربط الأعشى بين الليل، والمرأة، والنذور، وهو طقس له علاقته بالعبادة، والتقديس: يقول الأعشى:

غشيت لليلى بليل خُـــدورا وطالبتُها ونذرت النُّـــــذورا " [2] "المتقارب"
وبانت وقد أورثتْ في الفؤا دِ صَدْعا على نأيها مستطيرا
مَلَيكَيةٌ جـــاورت بالحجـــــا زِ قوماً عـــداة وأرضاً شطيرا

لنلاحظ أولاً المجاز الجميل " صدع الفؤاد المستطير" والشاعر وهو يعتمد في ذلك على الصورة النمطيّة لليل في وجدان المتلقين لا يجد غير الليل وقتا لتقديم النذور لليـــــلى التي ليس من المستبعد أن تكون رمزا مقدسا يزار فقط بالليل خاصة وأنها " مليكية" وليست امرأة عادية ارتبـــــاط الليل بالمرأة كرمزين كبيريـــــــن – يصفهما امرؤ القيس بقولـــــــه:

---

[1] عاف: دارس، رقم: خطوط أو رسوم.

[2] ديوان الأعشى، ص143.

لياليَ يدعوني الهوى فأُجِيبُه وأَعيُنُ من أهوى إليَّ روان [1] "الطويل"

يصور الهوى كشخص يدعوه في الليل فيجيبه، ولا يكتفي الهوى بالدعوة، وإنما يحدد مكانها.

وامرؤ القيس كثيرا ما يربط بين الليل والمرأة، ويصور ذلك في جو من التقديس " فيقول:

ويا ربّ يومٍ قد لهوت وليلةٍ بآنسةٍ كأنَّها خطُّ تمثالِ [2] "الطويل"

يشبه الآنسة كأنها تمثال فالتمثال مقدس، ومعبود ، ومحفوظ في أكثر الأماكن صيانة، صورة أخرى مشبعة باللونين الأبيض والأسود، بما يعني أن التفرقة بين اللونين، هي تفرقة بين مفهومين، وذلك ما يقوله أوس بن حجر:

ولست بأطلسَ الثوبين يُصْبي حليلتَه إذا هجـــــع النيام [3] "الوافر"

الاستعارة في كلمة " أطلس الثوبين" أن الشاعر لا يلبس ثياباً سوداء لتخفيه عن أعين الناس في الليل، ليغري حليلة غيره .

وكما ذكرنا سابقا فإن الليل وقت إشكالي، فيه الخوف والفزع والتأمل، والقداسة، وكذلك الأوهام، والأحلام.

وهو ما يصوره لنا المرقش الأكبر في قوله:

سرى ليلا خيالٌ من سليمى فأرَّقني وأصحابي هُجـــــود [4] "الوافر"

صور الخيال (أي الصورة المتخيلة عن سليمى) بأنه شخص العشيقة حقا، وأقلقه فيما أصحابه نيام.

وكذلك فعل زهير بن أبى سلمى في تصويره لخيال حبيبته، قال:

---

[1] ديوان امرئ القيس، ص 58.

روان: ناظرة.

[2] ديوان امرئ القيس، ص30.

[3] ديوان أوس بن حجر، دار صادر، 1967، ص 115.

أطلس : أسود. يصبي: يغري. وهو من (98–نحو 2ق.هـ/530 – نحو620م).

شاعر تميم في الجاهلية. وهو زوج أم زهير بن أبي سُلمى.

[4] ديوان المرقش(الأكبر)، ص 51، وهو توفي نحو 75 ق.هـ / نحو 550م.

واسمه عوف (أو عمرو) بن سعد بن مالك من بني بكر بن وائل شاعر جاهلي من المتيمين الشجعان. وهو عم المرقش الأصغر/ الزركلي.

في كُل مثوىً ليلةٌ سَارٍ لها هادٍ يهُيج بحزنـــه متأوّبُ [1] "الكامل"

صور زهير خيال حبيبته بطريقةَ أكثر حيوية، وحركية، وألما مما فعل المرقش، فخيال زهير شخص يسير حزيناً يعاودْ الألم في كل لحظة، إنه تشخيص رائع وجميل، يضرب في القلب مباشرة.

ويعود امرؤ القيس إلى تصوير الليل بالوحش الخرافي الذي لا بد من الاحتماء منه بالأهل، أو بالبيت، يقول امرؤ القيس:

تطاول الليل على دمـــــون دَمّون إنا معشر يمانـــــون [2] "الرجز"

وإننـــا لأهلنـــــا محبـــون

" تطاول الليل " مجاز كثيف للخوف، والثقل، والضغط، وأمام ذلك لا يبقى سوى تذكر الأهل الذين نحبهم.

أما الشنفرى فيحتمي بالعشيرة بشكل مغاير ، وهذا ما يصوره لنا في ليله:

أقيموا بني أُمي صدورَ مَطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل [3] "الطويل"

فقد حُمّت الحاجاتُ واللّيل مقمرٌ وشدَّت لطياتٍ مطايا وأرحُلُ

ولي دونكم أهلـــونَ سِيد عَمَلّسٌ وأرقط زهلولٌ وعرفاءُ جيألُ

يشبه الشاعر الليل بأنه متطلب، وصاحب حاجات ، أو أنه الوقت الحقيقي لاختبار المعادن، صورة الليل في هذه الأبيات مجازية، بمعنى أن الليل كالنار التي يختبر بها الذهب ولخيبة الشاعر من قومه ، فهو " يحتمي" من الليل بكائناته المرعبة ، ويرى نفسه أحدهم.

ويصف الشنفرى نفسه – في تأكيد للصورة الشائقة السابقة– بأنه صديق الليل فيقول:

إذا احتملوا رأسي وفي الرَّأْسِ أكثَري وغودر عندَ الملتقى ثمَّ سائري [4] "الطويل"

هنالك لا أرجو حيـــاة تسُـــــرُّني سَمِيرَ اللَّيالي مُبْسَلاً بالجَرائِـــرِ

يشبه الشاعر نفسه بأنه صديق لليالي، وفي ذلك مجاز جميل باعتبار أن الليلة فيها كل مستوحش، ورديء، وشديد ، وقاس.

---

[1] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص205.

[3] أمرؤ القيس، الديوان، ص10.

[3] لامية العرب، مكتبة الحياة، بيروت، 1974ص 40و الديوان، ص64–65..

سيد عملس: الذئب. وارقط زهلول: النمر. عرفاء جيأل : الضبع.

[4] ديوان الشنفرى، ص32، 52. والأغاني– دار الفكر– بيروت. ج 21 ص 89.

مبسلا بالجرائر: أي معترفا بما اقترف من أعمال.

ولأن الشنفرى يعتبر نفسه كائنا ليليا ، لهذا يصف الليل وصفا جديدا، ومدهشاً، إذ يربط بين عتمة روحه وعتمة الليل – لنلاحظ الإشارة إلى اللون مرة أخرى:

فأيّمَّتُ نِسوانا وأيتمت إلدهً وعدت كما أبدأت والليل ألْيَلُ [1] "الطويل"

يشبه الشاعر الليل بأنه قادر على تسويد ذاته بطريقة واعية ، في صورة بالغة القوة.

كراهيّة الليل يعبر عنها عروة بن الورد الذي يرى في الليل سوادا، لا يبدده سوى الكرم ، فيصور لنا عروة الليل بأنه الجوع والسواد ، ونقيض ذلك الضوءواللحم، فجمال الصورة في التناقض الذي تخلقه.

والكرم يجعل الليل أبيض، ويغطي لونه القاسي، وعروة يفرق بين اللونين– الأبيض والأسود– حسب الحاجة فيقول في موضع آخر:

ولقد أتيتُكمُ بليل دامـــــسٍ ولقد أتيت سُراتكـــــــم بنهار [2] "الكامل"

فوجدتكم لقحا حُبِسن بِخُلَّةٍ وحُبسنَ إذ صُرّين غَيَر غِزارِ

شبه الشاعر أغنياء القوم الذين قصدهم بالنوق اللواتي لا يعطين حليبا، هذه الاستعارة القوية تأتي لوصف البخل الذي يجعل من الليل دامسا.

الليل القاسي، والمليء بالمخاطر، والمهالك " يلبسه" تأبط شرا في صورة فنية تزدحم بالحركة والصوت، وحتى الرائحة:

وقالوا لها لا تنكحيـــه فإنـــــه لأولُ فصلٍ أن يُلاقىَ مُجَمَّعا [3] "الطويل"

فلم تر من رأيٍ فَتيلا وحاذرت تأيُّمها من لامس الليل أروعا

قليل غرار النوم حتى كأنّـــهُ دم الثأر أو يلقـــى كُمَيتا مقنعا

في هذه الصورة ، يشبه الشاعر نفسه، بأنه يلبس الليل، ويتحول الليل إلى قميص، أو درع يحمي به الشاعر نفسه من أعدائه.

ولأن هذا الشاعر يلبس الليل، فهو قطعة منه إذن. ولهذا يلتقي الغول في الليل.

ويخبرنا بقصيدة تكاد لا تتكرر، كيف قتل ذلك الحيوان الخرافي ضمن صورة فنية، درامية، مليئة بالشحنات العاطفية والأحاسيس التي نكاد نلمسها، وقد كان الحوار الذي استخدمه الشاعر في قصيدته سببا من أسباب قوتها، وبقائها وتأثيرها.

---

[1] ديوان الشنفرى – دار صادر– بيروت ص 63 ..

[2] ديوان عروة بن الورد والسَّموأل، دار صادر، دار بيروت، 1964، ص42.

اللقح: النوق غزيرة اللبن، والخُلَّة نبات ينتج عنه قلة اللبن. أي طلبت معروفاً منكم ليلاً ونهاراً فلم أجد منكم خيراً.

السراة: السادة الأغنياء.

[3] ديوان تأبط شرا، ص 38.

يقول تأبط شرا في نهاية قصيدته بعد أن قتل الغول:

فلم أنفكَّ متّكئا عليـــــها لأنظرَ مُصبحا ماذا أتاني" [1] "الوافر"

إذا عينان في رأسٍ قبيح كرأس الهر مشقوق اللسّان

وساقا مُخْدَجٍ وسُواةُ كلب وثوبٌ من عَباءٍ أو شنـــانِ

الصورة الشعرية المتعلقة بالليل صور تستحضر الصوت باعتباره التعبير عن الخوف أو سببه أيضا، يقول الشاعر:

وكم ناديته والليل ساجٍ بُعادِيَّ البِئار فما أجابا "الوافر"

صورة شعرية تعتمد المجاز، وتستحضر الصوت. الصورة مفهومة لدى الشاعر وجمهوره الذين يعتقدون بالنداء وهو ما يؤكده ربيعة بن مقروم في قوله:

في مهمهٍ قذف يُخشى الهلاكُ به أصداؤه ما تَنِي في الليل تَغريدا [2] "البسيط"

صورة شعرية مليئة بالأصوات المخيفة، فالأصداء التي تغرد في الصحراء، التي يخشى الهلاك بها، هي أصوات تبعث على القشعريرة.

الأصوات في الليل ليست مخيفة فقط، بل هي تحمل رسالة ويصورها الشاعر بالثكلى الموتورة، التي تطلب الثأر، الأمر الذي يدل على أن الشعر الجاهلي كان يهدف إلى تثبيت القيم في المجتمع ، وإنّ الحدود الاجتماعية هي فقط، القيم ذات السيادة العليا التي لا يمكن تجاوزها، ومن يجرؤ على تجاوزها يخرج عن الجماعة.

---

[1] الآلوسي/ بلوغ الأرب، ¾.

[2] الأغاني، دار صادر، بيروت، ص91،ج19.

الفصل الرابع

أبعاد صورة الليل في الشعر الجاهلي

- **البعد الديني والأسطوري.**
- **البعد النفسي.**
- **البعد الاجتماعي.**

الفصل الرابع

أبعاد صورة الليل في الشعر الجاهلي

لا ريب أنّ معظم الباحثين، والنقاد يتفقون على أنّ الشعر الجاهلي، والشعر عموماً – هو انعكاس حقيقي، للواقع، وعليه فإن الشعر الجاهلي خصوصاً، يشكل المصدر الأول، والأساس في معرفة الحياة الروحية، والمادّية، لأولئك العرب الأوائل الذين شاء الله تعالى أن تكون خاتمة رسالاته بلسانهم، ولهم، وأن يكون آخر أنبيائه منهم.

ولهذا فإن الشعر الجاهلي أيضاً كان خيرَ سجّل لمجمل تلك الأنشطة اليومية، ولتلك العلاقة التي صاغها العربي القديم مع طبيعته ومع ما وراء تلك الطبيعة.

وقد كان الشاعر لسان قومه، يرفع من شأنهم إذا أخلص لهم ، أو يحط منه إذا قصّر عن ذلك، بمعنى أنه شكل "النخبة" في ذلك المجتمع من حيث جماعته المحيطة به، وثقافتها، وإرثها، وعقائدها، وقد ساعد في ذلك وقوع الجزيرة العربية أولاً بين حضارات عريقة، ووقوعها بين طرق قوافل، وتجارة، إضافة إلى ما اجترحته القبائل العربية ذاتها من عقائد وأساطير، وأوهام، كانت نتيجةً حتمية لعلاقة الإنسان ببيئته، أو احتكاكه، واصطدامه بها، وصراعه معها.

وبهذا المعنى، فإنّ الصورة الشعرية، ذات دلالة أخرى أيضاً، وهي أبعد أثراً، وأكثر عمقاً، ذلك أن الشعر كان دائماً نصاً مسؤولاً، وهو لا يخلو من مجاز، والمجاز يأخذنا من الصورة القريبة إلى صورة أبعد وأشمل، وفي هذا المعنى يقول د.مصطفى ناصف: "والصورة ذات دلالتين اثنتين إحداهما ظاهرة، والثانية خافية قد تؤثر في عقل القارئ تأثيراً لا يستطيع أن يتبيّن مرجعه[1]

النص الشعري إذن كان الرد المبدع، والنخبوي لفهم العلائق بين الإنسان والإنسان ، "والإنسان وبيئته"، والإنسان وذاته، وبين الإنسان والقوى الخفية التي تتحكم بإيقاع الكون من حوله، وعليه فإن القصيدة الجاهلية تعددت أبعاد القصيدة فشملت الاجتماعي والأخلاقي، والنفسي، والديني والأسطوري، وهو ما ينطبق على مفهوم "الليل" كما ورد في الشعر الجاهلي القديم.

---

[1] مصطفى ناصف، دراسة الأدب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، ص 138.

أولاً: البعد الديني والأسطوري:

إن استخدام مفردة الليل في الشعر الجاهلي، قد عكس البعد الديني.

فالليل بما فيه من هدوء مخيف، وسكون حركة، وخيالات، وأوهام وهواجس، وعتمة، وظلمة، فإن المرء يستنيمُ لخياله، ويرى ما لا يُرى، ويَسْمَعُ مالا يُسْمَعْ.

فإذا أضفنا لذلك أنّ مختلف الثقافات السامية رأت في الليل مثوى للأرواح الرديئة، والظامئة، والهائمة، (ولهذا كانت المناجاة في الليل جزءاً من عملية دفاعية ضد الشرور، وكذلك لحماية النفس من الأخيلة الرديئة، فكانت المعابد أكثر الأماكن هدوءاً بسبب الرغبة في الاستكشاف الداخلي، والتأمل الذاتي). [1]

إضافة إلى ذلك كله فإنّ العربي القديم اعتبر الليلَ وقتاً لظهور الحب، فهذا الشاعر عبيد بن الأبرص الأسدي، يفقد بعيراً في الليل، فيلاحقه، وأثناء ذلك، يقابل فلوساً تطارده أفعى سوداء ضخمة، فيقوم الشاعر بقتل الأفعى، ومن ثم يقدم الماء للفارس المنهك، فيأتيه هاتف في الليل يصيح:

يا صاحبَ البكرِ البَعيدِ مذهبـهُ ما عندهُ من ذي رشادٍ يَصْحَبُه[2] "الرجز"

دونكَ هذا البكـرُ منا تركبـُـهْ حتى إذا الليلُ تولّى غَيْهبـَـهُ

تشير هذه القصة إلى أنّ الجن في معتقد الجاهليين يظهرون في الليل بأشكال مختلفة، وأنّ لهم القدرة على الاتصال بالبشر، والكلام معهم، والتعبير عن مشاعرهم ورسائلهم بالشعر، وهو ما أشار إليه كثيرون، وكذلك ذكرهم للهام والحيوان الأسطوري.

ومن هذا القبيل يقول عبيد:

وخرقٍ تصيح الهامُ فيه مع الصدّى مخوفٍ إذا ما جنّهُ الليلُ مرهوب[3]"الطويل"

وقوله كذلك:

في كلّ وادٍ بين يثـــــــ ـــربَ فالقصورِ إلى اليمامه "مجزوء الكامل"[4]

تطريبُ عانٍ أو صيـــا حُ مُحَرّقٍ، أو صوتُ هامـــه

---

[1] يهجت الحديثي، دراسات في الشعر العربي القديم، بغداد، 1990، ص19.

[2] ديوان عبيد بين الأبرص–مصطفى البابي، الحلبي وأولاده–القاهرة 1957 ص26.

[3] المصدر نفسه ص 125.

[4] المصدر نفسه، ص26.

ويقول الأعشى عن ظهور الجنّ ليلاً في الأماكن الموحشة:

وبلدة مثل ظهر الترس موحشةٍ للجنّ بالليل في حافاتها زَجَلُ[1] "البسيط"

تقديس الملوك، والكبراء كان جزءاً من معتقدات العرب القدماء، وقد رأوا فيهم، الحمأة، والهدأة، ولهذا لم يكن من المستغرب، أن يشبّه الشاعر الملوك، والكبراء بالنجوم، والكواكب التي تبدد وحشة الليل القاسية، وقد رأى فيهم الشاعر الجاهلي القديم معادلاً موضوعياً للظلمة المكروهة عموماً في ثقافات الشرق القديم.

يقول حسان بن ثابت مفتخراً بصلته بالملوك:

ألم ترَ أولادَ عمرو بن عامــر لنا شَرَفٌ يعلو على كلِّ مرتقِ[2] "الطويل"

ملوكٌ وأبناء الملوك كأنّنـــا سواري نجومٍ طالعاتٍ بمشرق

إذا غابَ منها كوكبٌ لاحَ بَعده شهابٌ مِتى ما يبدُ للأرضِ تُشرق

لم يجد الشاعر سوى أن يشبّه الملك بالنجم الطالع من الشرق، أو بالشهاب الذي يضيء الظلمة، وفي هذا النص لا بُدّ من دراسة الأصول لنصل الى أصل فكرة الملك "المضيء" أو ملك "الشمس"، أو الملك الذي هو مصدر الخصب، والمطر، وضوء الشمس، وليس من العجب أن تدعي سلالات ملكيّة عديدة في الشرق، أنها من نسل الشمس (كعائلات اليابان، والصين الملكية، وكذلك سلالات الفراعنة) فأسطورة أن الملك هو نقيض الظلمة هي فكرة ضاربة في العمق،[3] وفكرة أنَّ الرئيس، أو الملك هو نجم أو شمس يعني بالضرورة أنّه ضد الليل، وإذا كان النجم أو الشمس "معبوداً" فالليل هو مقابله اللامعبود، ويبدو أن الثنائية هذه مقابله بين الخير والشرّ تحتاج إلى أشياء ملموسة حتى ترى، وتعاش، وتصدّق.

زهير بن أبي سلمى يرى في ممدوحه الكبير البياض والخير، فيقول مادحاً حصن بن حذيفة سيد بنى فزارة:

وأبيضُ فياضٌ يَداه غمامةٌ على مُعتفيهِ ما تُغَبُّ نوافلُه[4] "الطويل"

---

[1] شرح ديوان الأعشى/دار الكتاب العربي/بيروت،1968 ص 147، وهو أدرك الاسلام ولم يسلم، والزجل: الصوت.

[2] ديوان حسان بن ثابت، دار الأندلس–بيروت، 1980 ص 156، وهو شاعر مخضرم.ت54هـ.

[3] فراس السوّاح، مغامرة العقل الأولى–دراسة في الأسطورة/دار الحكمة للنشر، بيروت،ط1981،1.

[4] ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص185 ، توفي 13 ق.هـ (609م).

الأبيض يقابل الأسود، ويقهره، ويطرده، والأبيض هو النور والشمس، ولا شيء أكثر من هذا قدسيّة وتبجيلا، بينما الأسود هو لون العالم السفلي، عالم الأموات، والعرب قدست الاثنين.

وفكرة الزعيم المقدس الذي يستمد قداسته من نوره هي الفكرة القديمة التي رأت في الملك جزءاً صادراً من الشمس، وهو ما عبّر عنه مالك بن حريم الهمذاني:

ومنّا رئيسٌ يُستضاءُ بنوره سناءً وحِلْماً فيه فاجتمعا معا[1] "الطويل"

لهذا فإن موت الرئيس يعني كسوف الشمس والبدر، وطغيان الظلام، وسيادة الليل أي أن غياب الرئيس هو حلول الظلام وهو ما نراه في قول أوس بن حجر:

ألمْ تُكسَف الشمسُ والبدرُ والكواكبُ للجلي الواجب[2] "المتقارب"

لفقد فضـــالةَ لا تستوي الفقود ولا خــلّةُ الذاهبِ

"فضالة" هذا سيد بنى أسد، ولموته تنكسف الشمس والكواكب، لأنّه يُشْبِهُها، أو لأنه من معدنها، وهي فكرة أسطوريّة دينيّة نجدها بحذافيرها في معظم أساطير ومعتقدات العراق، ومصر والهند.[3]

واختلال نظام الليل بما فيه من كواكب، ونجوم لموت الكبير، هو ما عبّر عنه المهلهل لموت أخيه كليب، إذ يقول:"

كواكبُها زواحفُ لاغباتٌ كأنَّ سماءَهاِ بَيَديَ مدير[4] "الوافر"

"وهذه الخنساء تعظّم أخاها صخراً.[5] تقول :

يَجلو الدُّجى، فهوى من بيننا القَمَرُ [6] كُنّا كأنجمِ لِيلٍ، وَسْطها قَمَرُ"البسيط"

لكن عنتره يعظّم الميت بأسلوبه:

---

[1] الأصمعيات، تحقيق شاكر وهارون، دار المعارف، القاهرة، 1974، ص267. ومالك بن حريم الهمذاني شاعر وفارس جاهلي مجهول سنة الميلاد والوفاة، يماني من الفحول/ الزركلي.

[2] ديوان أوس بن حجر ص98/94-2ق.هـ/530-620م، الاعلام للزركلي.

[3] فراس السوّاح، مغامرة العقل الأولى- دراسة في الأسطورة/دار الحكمة للنشر، بيروت ط1981 ص 76.

[4] ديوان المهلهل بن ربيعة التغلبي ص 273/ هو المهلهل بن عدي...نحو 100ق.هـ(525م)، الزركلي.

[5] عبد الفتاح محمد، المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي، دار المناهل-بيروت 1987،ط ص 28.

[6] شرح ديوان الخنساء، دار التراث-بيروت ط1 1968، ص37، وهي تماضر بنت عمرو الرّياحيّة السُّلميّة....24هـ....645م، الزركلي.

خُسفَ البدرُ حين كان تمامـــــا وخفي نورُهُ فعاد ظلامــا[1] "الخفيف"
ودراري النجوم غــارت وغابت وضياء الآفاق صار قتاما
حين قالوا زهيرُ ولّى قتيـــــلاً خيّمَ الحزنُ عندنا وأقامــا

وقولهُ:

تُرى هل عرفت اليوم مقتل مالكٍ ومصرعه في ذِلّةٍ وهـــوان[2] "الطويل"
فإن كان حقّاً فالنجومُ لفقـــــده تَغيبُ ويهوي بَعْدَه القَمَـــران
لقد كان يوماً أسود الليل عابســاً يخـــافُ بلاهُ طارقُ الحدثانِ

ومن أساطير ومعتقدات العرب فيما يتعلّق بالليل، ما ذكره الجاحظ في كتابه "البخلاء" من أنّ العرب كانت تعتقد أنّ النّطفة إذا وقعت في الرحم أول الهلال خرج الولد قوياً، ضخماً، وإذا وقعت وقت المحاق خرج الولد ضئيلاً، ضعيفا، واستشهد الجاحظ بقول الشاعر:

لقُحت في الهلالِ من قَبلِ الطُّهــ ــرِ وقد لاحَ للضيـــاء بشيرُ[3] "الخفيف"
ثم نُحِّيَ ولم يراضع فـــــلواً ورضاع المجِحّ عيبٌ كبيرُ

وكانت العرب تقف بخشوع لرؤية الهلال، وهو ما يؤكده الأعشى في مديحه للأسود بن منذر اللخمي، حيث يقول:

أريحيٌّ صلتٌ يظلُّ له القــو ــمُ رِكوداً قيامَهم للهلال[4] "الخفيف"

"وقد كانت بعض العرب، تجعل للهلال صنماً طوْطَماً على شكل عجل بيده جوهرة يعبدونه، ويسجدون له، ويصومون له أياماً معلومة من كلّ شهر لزعمهم أنّ تبرير العالم السفلي راجعٌ اليه، ويشار إلى أنّ قبيلة كنانة كانت تعبد القمر".[5]

وقد اعتقد العرب أيضاً، أن الشمس تعذبها الملائكة، وترغمها على الظهور صباح كل يوم، أي أن الشمس لا تطلع إلاّ وهي كارهة وتقول (لا أطلع على قومٍ يعبدونني من دون الله)

---

[1] ديوان عنتره ــ دار صعب-بيروت-1980 ص 187-ت22 ق.هـ.

[2] المصدر السابق ص90.

[3] الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، البخلاء، تحقيق طه الحاجري، دار المعارف بمصر ص 210، 363-255هـ/780-869م.
لقحت : تم

[4] ديوان الأعشى ص97 /أريحيٌ صلت: كريم شجاع نحو بن ربيعة. لقحت: تم الاخصاب فيها بداية الشهر، فهي قوية. لم يراضع فلواً : كانت الرضاعة له وحده والمجح : المنافس

[5] الآولسي: ص 214.

فتدْفَع وتُجْلد، فَتَطْلُعْ [1] ، وقد أورد هذه الأسطورة، أو المعتقد أمية بن أبي الصلت، وهو شاعر كان على دين الحنيفيّة أي أنه لم يكن يعبد النجوم أو الأصنام، يقول:

والشمسُ تَطلُعُ كُلّ آخر لَيْلةٍ حَمْراءَ يُصْبِحُ لونُها يتورّدُ[2] "الكامل"
ليست بطالعةٍ لَهُمْ في رِسْلها إلاّ مُعَذَّبـةً وإلاّ تُجـــــلَدُ
لا تستطيعُ أنْ تقصر ساعةً وبذاك تدأبُ يومها وتَشـردُ

وزعم العرب أيضاً أن النظر إلى نجم سهيل في الليل يُشفي من المرض.

وكان الليلُ بالنسبةِ للعربي القديم موئلَ أساطير، ومعتَقَداتٍ دينيّة وأسطوريّة مختلفة، مصدرها النجوم –التي اعتقدت البشرية، وما تزال–أن لها قوى خفيّة على المصائر، " ومن أساطير العرب أنَّ "الجدي" قتل نعشاً، فبناته تدور به تريده". [3]

ويرى الباحث أن هذا التشابه بين الحياة الثقافية العربية وبين ذلك التخيُّلْ حول العلاقة بين النجوم، ما يدل على أنَّ الوعي أو طريقة رؤية العالم هي التي تحدد شكل العلاقة مع هذا العالم، ومن ذلك قول الشاعر بشر بن أبي خازم:

فبتّ مُسّهداً أَرِقاً كَأَنـّـــــي تمشّت في مَفَاصِلِيَ العُقـــارُ [4] "الوافر"
أُراقِبُ في السّماء بناتِ نَعْشٍ وقد دارتْ كما عَطَفَ الصّوارُ

ويقول عبيد:

فنيتُ وأفناني الزمانُ وأصبحَتْ لِدَاتي بنو نعشٍ وزُهرُ الفراقدِ [5] "الطويل"

"وكان العرب القدماء قد وزعوا عبادتهم على مشاهد أو موجودات كانت تحت حواسهم، ومن هنا، فقد عبدوا، القمر، ورمزوا له بالثور المقدس (الذي رمز أيضاً للخصوبة والمطر) وإنّ هذا الثور المقدس الرامز للنور في صراعٍ دائم مع الليل، وقد أسرف بعض الشعراء في التغني بهذا الثور ذي القرنين الأبيض والأسود، والشعلة أيضاً". [6]

ولهذا نجد صورة هذا الثور المقدس، في نضالاته الليلّية، ومعاركه التي لا تنتهي مع الشرَّ، وهي الصورة التي أكّد عليها العديد من الشعراء الجاهليين.

---

[1] الشعر والشعراء–لابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دارا لمعارف بمصر، 1982 ص 460.

[2] ديوان أُمية بن أبي الصلت، ص108/ شاعر جاهلي توفي 5هـ أي 626م.

[3] النعيمي–أحمد إسماعيل–الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ص125

[4] ديوان بشر بن أبي خازم، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم–دمشق 196،ص078/ ط1/1995، وهو بشر بن عمرو الأسدي، شاعر جاهلي/الزركلي.

[5] ديوان عبيد بن الأبرص–مكتبة مصطفى البابي الحلبي/القاهرة 1957 ص 51 محل شجاع توفي نحو 22هـ أي نحو598م.

[6] الصورة في الشعر الجاهلي، د.علي البطل/ دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت ط3 1983 ص24.

وهذا زهير بن أبي سلمى يقول في قصيدةٍ طويلةٍ في معركة لهذا الثور نختار منها ما يتعلق بموضوعنا:

مُولِّى الرّيحَ رُوْقَيْهِ وجبهتَهُ حتّى دنا مِرْزَمُ الجوزاءِ أو خَفَقـاَ[1] "البسيط":

لَيْلتهُ كُلَّها حتّى إذا حَسَرَتْ عنه النُّجومُ أضاءَ الصُّبحُ فانطلقا

تصوير الثور في صراعه مع الليل، ومع الكلاب (وهي صورة متكررة كما أسلفنا) تدفعنا إلى ربط الخيوط بعضها ببعض، فإذا كان هذا الثور (الرامز لشيء مقدس) قد تحّول إلى مقدس، فإن معاركه مع الشّر تكون في الليل، باعتبار الليل هو الوقت المناسب لاصطراع خفايا النفس، ووضوح الخير، والشر من خلال" المكابدة والمعاناة" الروحيّة.

"وبتصوّر المعتقد الأسطوري، أن هناك عنواناً على الإله من هذه الظواهر الطبيعيّة الشريرة" أو صراعاً يخوضه من أجل البقاء، وقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين الى أن الشاعر–في تلك الصورة– "يطرح الصراع الإنساني المتميّز بالدور الفردي للبطولة" وهنا يكمن عنصر الرمز في الصورة التي من الخطأ التعامل معها على أساس دلالتها الظاهرة المباشرة"[2]

---

[1] ديوان زهير بن أبي سلمى ص 67/ روقيه: قرنيه، دنا مِرزم الجوزاء: كناية عن طلوع الفجر. /وهو حكيم شعراء الجاهلية، توفي13ق.هـ أى.609م.

[2] انتروبولوجيا الصورة – د. قصي الحسين – بيروت – دار الطباعة والنشر 1993 ص215.

البعد النفسي:

ونقصد بهذا البعد، تلك الصورة، التي رأى الشاعر الليل فيها من خلال هواجسه وحالات روحه، ومتطلبات مزاجه، أي كيف رأى الشاعر الليل، حسب حالاته الداخليّة، وحسب المزاج النفسي لجماعته أيضاً.

يقول حاتم الطائي:

وحتى حَسِبْتُ الليّلَ والصبحَ إذ بدا حِصانَيْن سيّالَيْنِ جَوْناً وأشقرا[1] "الطويل"

فإذا كان اللون الأبيض يعني أشياء مختلفة لجماعات مختلفة، فإنّ الليل أيضاً كان يعني للشاعر، ولجماعته أموراً اختلفت حسب الثقافة العامة، وحسب التجربة الحياتية أيضاً.

وهكذا، فإن الليل، ونقيضه–أي النهار أو الضوء، وما يرمز إليهما شكّلا دعائم الصورة النفسيّة لليل في الشعر الجاهلي، فقد صوّر الشعراء كبراءهم، وساد اتِهم، وممدوحيهم عموماً بالشمس، والضوء، والنجم، والكواكب، كما قال أبو البرج القاسم حنبل المري:

من البيضِ الوجوهِ بني سنانٍ لو أنَّكَ تستضيء بهم أضاءوا[2] "الوافر"

وهو ما كرره أبو الطمحان القيني أيضاً:

نجومُ سماءٍ كلَما غاب كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوي إليهِ كواكبُ[3] "الطويل"

إنّ رؤية الممدوح كالنجم أو الشمس، مجرد حالة نفسيّة–فردية وجماعية في آنٍ معاً– ترى في الكرم، والحضور، والشجاعة نقيض الظلام، والعتمة والجدب، والبرد.

إنّ استعمال الضوء نقيضاً للظلام في الإشارة إلى مكارم الأخلاق دليل من جانب آخر على أنّ الليلَ هو عكسُ كلّ ذلك، فصورة الليل النموذجيّة في المزاج النفسي للجماعة، ترى في الليل نذيز شؤم، وتوجس (ومثلما غدت–في نظر العرب– بعض الكواكب رمزاً لـلتش اؤم كعدهم "الدورات" كوكباً مشؤوماً، لأنهم لا يمطرون بنَوْئِهِ، إلا وسرتهم مجدبة، فإن بعضها الآخر كان رمزاً للتيمن به كـ"سعد السعود" وهي ثلاثة كواكب أحدها نّير، والآخران دونه، وقد أفصح عن تلك النظرة المتبايّنة إلى الكواكب، والنجوم قول عبيد بن الأبرص:

---

[1] ديوان حاتم الطائي–دار صعب–بيروت 1980 ص81، وحاتم الطائي القحطاني، شاعر جاهلي فارس جواد،توفي46ق.هـ أي578م.

[2] المفضليات–ص298.

[3] المصدر نفسه ص310.

فالشمسُ طالعةٌ وليلُ كاسفٌ والنجم يجري أنحساً وسعودا[1] "الكامل"

الحالة النفسيّة المرتبطة بالنجم، عبّر عنها شعراء كثيرون، ارتبطت الثرّيا لديهم بالجدب مثلاً، ولهذا فإن حديثهم عن الكرم يقترن بحديثهم عن ذلك النجم (استحضار قيمة يستجلب أُخرى) يقول حاتم الطائي:

وعاذلةٍ هبّت بليل تلومنـــــي وقد غاب عيّوق الثريّا وغرّدا "الطويل"
تلوم على إعطائي المال ضِلّةً إذا ضَنّ بالمال البخيلُ وصرّدا [2]

ونفسية طرفة وهي موقنة بنقصان العمر بانقضاء الليالي:

أرى العيش كنزاً ناقصاً كُلَّ ليلةٍ وما تنقصُ الأيامُ والدهرُ يَنْفَدِ [3] "الطويل"

وعنترة:

لقد كان يوماً أسودَ الليلِ عابساً يخاف بلاهُ طارِقُ الحَدَثانِ [4] "الطويل"

وقد أشار بشر بن أبي خازم صراحةً إلى تلك الحالة النفسية التي تربطنا بالأشياء، وتحمّلها ما ليس فيها. يقول بشر:

جادت له الدلوُ والشِّعرى ونوؤُهُما بكل أسحمَ دانِي الوَدْقِ مُرتجفِ [5] "البسيط"

فالجمال في هذا البيت هو في قول الشاعر إن النجوم هي التي تجود للشاعر بما فيها وليس العكس، فالشاعر عكس الحقيقة لأنه يعرفها، فجعل الصورة خارجية، بدل أن تكون داخلية، وهذا من دقة البيت وروعته.

---

[1] ديوان عبيد بن الأبرص تحقيق حسين نصار ــ البابي الحلبي 1957 ص 61 .

[2] ديوان حاتم الطائي–دار صعب– بيروت 1980 ص74، وديوانه جمع وتحقيق نوري حمودي القيسي مطبعة المعارف/بغداد ط1/1967ص90.

[3] ديوان طرفة/48.

[4] ديوان عنترة/190.

[5] ديوان بشر بن أبي خازم ص 203.

ولمّا كانت بعض العرب تعبد الناقة (الطوطم) وتتبرك بها، فإننا سنفهم ما يقوله عبيد بن الأبرص بطريقة مختلفة:

وَخرْقٍ تصيحُ الهامُ فيه مَعَ الصَّدى مخوفٍ إذا ما جنّهُ الليلُ مرهوبِ[1] "الطويل"

قَطَعْتُ بصهباءَ السـراةِ شِمِلَّةٍ تَزِلُّ الولايـا عَنْ جوانبِ مكروب

فالشاعر هنا يحتمي من الصحراء المخيفة بناقةٍ قوية وصلبة ولا تعرف التِّعَبْ، هذه الناقة إذن خاصة جداً، لها قدرة على الحماية من الليل، والشاعر لا يخفي خوفه من الصحراء، ولا يخفي (اتكاله) على الناقة.

والشاعر بشر بن أبي خازم يفعل الشيء ذاته، فهو يحتمي من الجن، والريح، والصحراء، بناقة كناقة عبيد بن الأبرص:

وخرقٍ تعزفُ الجنَّانُ فيه فيافيه يطيرُ بها السِّهـامُ[2] "الوافر"

ذَعَرْتُ ظِبـاءَهُ متغّوراتٍ إذا ادّرَعَتْ لوامِعَها الإكامُ

---

[1] ديوان عبيد بن الأبرص ص28/ صهباءوالسراة: هي الناقة القويّة/شملة: لاتتعب/ الولايا: المخاطر.

[2] ديوان بشر بن أبي خازم ص203/الخرق: الفلاة/ الجَنّان: الجن

السهام: ريح حاد /ذعرت: أفزعت /متغورات: قائلات تصف النهار/ اللوامع :السراب/ادرعت: أُلبست/الأكام: ج أكمة.

البعد الاجتماعي:

يُقْصد بهذا البعد، ما شَكّلُهُ الليل من معنى، ومحتوى لطقوس اجتماعية، لا تتم أو لا تحصل إلاّ به وامّا ، اتقاءً لِشَرِّهِ، أو استجلاباً لخيره.

ولما كان الليل في حياة العرب القدماء فيما يعني، الفقر، لقلة الزاد، وانعدام الطعام وفقدان الماء، والخوف من الغزاة، أو المجهول، أو الأرواح، أو الشياطين، أو ظهور مظاهر مخيفة منذرةً بالشؤم، أو الموت، لهذا فقد كانت هناك عادات اجتماعية، ارتبطت بالليل ارتباطاً وثيقاً، من ذلك ما أشار إليه أُميّةُ بن أبي الصَّلْتِ حول طقس ليلي يقصد من ورائه طلب المطر حيث عمد العرب القدماء–سنة المحل– إلى سوق البقر إلى أعلى الجبل ثم أشعلوا فيها النيران، ومن ثمّ تضرّعوا إلى آلهتهم أن تسقيهم المطر، هذا الطقس يسمى الطوطم و يجري ليلاً (لنلاحظ هنا أنَّ النار تتخذ بعداً دينياً أسطورياً) وفي ذلك يقول أُميّة بن أبي الصلت:

سَنَةُ أزمةٍ تَخَيَّلُ بالنَّـــــــا سِ ترى للعظاةِ فيها صريـــرا[1] "الخفيف"
لا على كوكب ينوء ولا ريـ ـحِ جنوبٍ ولا تـرى المخرورا
ويسوقون باقر السهل للعـو د مهازيل خشيـــــة أن تبـورا
عاقدين النيران شكـــر الأذ ناب عمداً كَيْمـــا تُهيجُ البُحورا

لذا، فإن الجزيرة العربية ذات المناخ القاسي الجاف، قليل الأمطار ، جعلتهم يهتمون بها ويراقبونها والليل أبرد من النهار، وأمطاره أكثر، فكأنهم يرجون خير الليل ويتلهون عن شرّه، ويتمتعون برؤية المطر وحدوثه، والمطر يصاحبه البَرَدْ وربما الرعد والبرق، هذا عبيد يقول:

باتت عليه ليلةٌ رَجبِيّةٌ نصباً تَسُحُّ الماءَ أوْ هي أبردُ[2] "الكامل"

ولا ينسى تأثره برؤية البرق في ليالي الشتاء، فهذا حاتم يقول:

صاحِ ترى برقاً بتُّ أرقُبُهُ ذاتَ العِشاء في غمائمَ غُرّ[3] "المنسرح"

وهي ليلة باردة جداً تبشر بالمطر، يقول الأعشى:

وتسخنُ ليلةَ لا يستطيعُ نُباحاً بها الكلبُ إلاّ هريرا [4] "المتقارب"

---

[1] ديوان أمية بن أبي الصلت ص181.

[2] ديوان عبيد بن الأبرص مصطفى البابي الحلبي–القاهرة 1957 ص 44.

[3] ديوان حاتم ص 63

[4] شرح ديوان الأعشى–دار الكتاب العربي–بيروت 1968 ص 88، وعدم استطاعة الكلب للنباح جاء نتيجة للبرد الشديد.

ولا بد في ليالي البرد من إيقاد النار كما هو الحال في الإعلان عن الموقع استدراجاً للضيف، فنار الشتاء لبعث الدفء، وتعريف الضيف بالموقع.

وهذا المثقِّب العبدي يقول:

وسارٍ تعنّاهُ المبيتُ، فلـــم يـدَعْ ... له طامسُ الظَّلماءِ والليلُ مَذْهَـبا[1] "الطويل"

رفَعْتُ لـه بالكّف ناراً تَشَبُّه ـــاً ... شآمِيّةٌ نكباءُ أوْ عاصـفٌ صَبَـا

فلّما أتانـي والسماءُ تَبُلُّـــــهُ ... فلاقيتُه أهلاً وسهلاً ومرحبـــــا

وقمت إلى البُرْكِ الهواجدِ فاتَّقتْ ... بِكوماءَ لم يذهب بها النَّيءُ مذهَبا

فَرَحبّتُ أعلى الجَنْبِ منها بطعنةٍ ... دَعَتْ مستكين الخوف حتى تقربا

فلا يخفى علينا أمر ما في الليل والنار من ارتباط وما فيهما من إظهار للكرم. وفي ليالي البرد الشديد خاصة، ليرى الضيفان النار من بعيد، فيتوجهان ناحيتها، وليس أسمى من درجات الكرم ليلاً مع البرد الشديد.

يقول حاتم الطائي:

أوقِدْ فإنّ اللّيلَ لـيـــلٌ قَرٌّ ... والرّيحَ يا مُوقِداً ريحٌ صُرُّ[2] "الرجز"

عسى يرى نارَكَ مـــن يَمُرُّ ... إن جَلَبَتْ نارُك فأنـــت حـرُ

ويقول كذلك:

وليس على ناري حجابٌ يُكِنُّهَا ... لِمستوبِصٍ ليلاً، ولكنْ أُنيرُها[3] "الطويل"

وبطريق غير مباشر يعرض بكرمه:

وعاذلةٍ هَبّتْ بليلٍ تلومنـــي ... وقد غاب عيّوقُ الثُّريّا فَعـرَّدا[4] "الطويل"

تلوم على إعطائيَ المالَ ضِلَّةٍ ... إذا ضنّ بالمالِ البخيلُ وَصَرّدا

ويضيف الأعشى إلى هذا المعنى الاجتماعي لإيقاد النار في الليل معنى آخر فيقول:

لَعَمْري، لقد لاحت عُيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضَوْءِ نارٍ في يفاعٍ مـحـرّقِ [5] "الطويل"

تُشَبُّ لمقرورَيْنِ يصطليانِهـــــا ... وباتَ على النَّارِ الندَّى والمحلَّقُ

---

[1] ديوان المثقب العبدي ص103، والبزل: الإبل، والهواجد: النائمة، والكوماء: الناقة الضخمة، والنيء: الشحم/والمثقب هو العائذ.

[2] ديوان حاتم الطائي–دار صعب–بيروت 1980 ص90.

[3] المصدر نفسه/94. والمستوبص: المستضيء.

[4] المصدر نفسه/74. وعرّد: مال للمغيب.

[5] ديوان الأعشى ص65.

الصورة الشعرية البليغة، بل فائقة البلاغة والجمال باعتبار أنّ الكرم يتحلَّق حول النار فلا يتطاير ولا يتبخَّر– لا يتميز بالجمالية فقط، بل بالإشارة الاجتماعية لمعنى إيقاد النارِ في الليل، باعتباره السلوكَ الأكثرَ دلالةً على الكرم أو "النّدى" بلغة الشاعر، وممّا يعزز ذلك أنّ الأعشى يقرر أنَّ هناك عيوناً كثيرةً تتطلّعُ إلى النار التي تشتعل في تلك الصحراء المخيفة.

("المحلَّقُ" وهو ممدوح الأعشى، يتحلّقُ حول النار سويةً مع الكرم ، هنا تكتسب عادة إشعال النار في الليل قوّةَ الحياة إلى أُولئك الباحثين عنها) [1]، وهو ما يعّبرُ عنه عوف بن الأحوص الذي يتقصّد إشعال النارِ في الليل ليعيد الحياة إلى من أوشك على فقدانها.

ومستنبحٍ يَخْشى القُواءَ ودونَـهُ من الليل بابا ظلمةٍ وسُتُوره ـــــا [2] "الطويل"
رفعتُ له ناري فلمّا اهتدى بها زجرتُ كلابي أن تَهِرَّ عُقورُها

لنلاحظ قول الشاعر هنا "رفعتُ له ناري" أيْ جعلتها ظاهرةً حتى ترى، وحتى تنكشِف، وتكشِفْ، فإيقاد النار هو حياة. والعرب القدماء تغنّت بالنور، تماماً كما تغنّت بالخمر والماء، هذا الثلاثي لم يعد "اجتماعياً" بل تحوّل بفعل قوّة التجربة وعمق الإيمان بها إلى "مقدّس" وهو ما اعتقدت به الشعوب السامية وغير السامية.

ولهذا كان من العادات الاجتماعية التي تصاحب الليل أو يشمل عليها الليل، مجالس الطرب والشراب، وزيارة المحبوب وغشيان منازل المعشوقة المحرّمة، ومنادمة القبور وصب الخمر عليها، والإغارة على الأعداء، ورؤية طيف المحبوب. وقد رأينا كلَّ ذلك في الشعر الجاهلي ليكون بذلك حقاً كما يقال إنه ديوان العرب.

وما أجمل أن تكون الحبيبة هي التي تشعل حولها هذه النار، فَيُسرُّ بها صاحبهُا وتبعث في نفسه كامن الأشواق والمحبة، وما يترتب عليهما من شكوى القطيعة وألما، يقول عنترة:

هذه نارُ عبلة يا نديمـــــــي قد جلت ظُلمةَ الظَّلام البهيمِ [3] "الخفيف"
تتلظّى، ومثلها في فؤادي نارُ شوقٍ تزدادُ بالتصريـم

وهي (صاحبته) ساعدت في كسر هيبة الظلام، اتقاءً لشرّه.

---

[1] المفضليات ص218.

[2] المصدر نفسه. ص260.

المستنبح: هو الذي ينبح لترد عليه الكلاب فيعرف الناس به القواء: الجوع.

[3] ديوان عنترة– دار صعب–بيروت 1980 ص197.

وليس النار وحدها هي التي تجعل العربي يتقى بها الليل، ويأمل خيره، بل إن أقل شيء يؤثر على قطع سكون الليل وسيطرته.

يقول الأعشى:

وليلةٍ يرهبُ الجَوَّابُ دُلجتهـا	حتى تراهُ عليها يبتغي الشِّيَعَا [1] "البسيط"
لا يسمعُ المرءُ فيها ما يؤَنِّسَهُ	بالليل إلاّ نئيمَ البُوْمِ والضُّوَعـا

والأعشى كذلك:

وبهماءُ بالليل عطشَى الفلا	ةِ يُؤْنُسني صوت فيّادها [2] "المتقارب"

أليست مطالعة النجوم وتأملها ليلاً تساعد الساهر والأرق على قضاء هذا الليل؟

أنظر في قول حاتم:

أبى طولُ ليلِكَ إلاّ سهودا	فما إنْ تبينُ لصبحٍ عمودا [3] "المتقارب"
أبيتُ كئيباً أراعي النجومَ	وأُرجعُ من ساعديَّ الحديدا

ويبقى الليل وعاءً للهموم والسهاد والآلام والأفكار:

والأعشى يقاسي الليل الطويل الثقيل وهو معتمد على مرفقه، ينظر إلى النجوم يتلهى بها ويستعين على ذلك باستعراضه لهمومه وأسقامه:

نام الخليُّ وبتُّ الليل مرتفقـــــا	أرعى النجـومَ عميداً مُثْبَتاً أرقا[4] "البسيط"
أسهو لهمّي، ودائي فهي تُسْهَرُني	باتت بقلبي، وأمسى عندها غَلِقا

ففؤاده متروك عندها (عند صاحبته)، فكيف ينامَ وهو ليس بخليَّ، والليل يبقى وعاءَ الهموم والسُّهاد، والآلام والأفكار.

---

[1] شرح ديوان الأعشى/108

والضرع: طائر أسود اللون.

[2] شرح ديوان الأعشى/62.

[3] ديوان حاتم الطائي–دار صعب–بيروت 1980 ص 73

العمود هنا هو الشمس.

[4] شرح ديوان الأعشى/126.

وإذا كان الليل طويلاً ثقيلاً، فإن اشتد ظلامه يجعله أكثر جورا، والمهلهل بن ربيعة التغلبي يطالب ليله هذا بالزوال بإنقاذ الصبح له من شرّه وشرّ الكواكب، يقول:

أليلتنا بذي حُسُمٍ أنيـــــري إذا أنتِ انقضيتِ فلا تحوري [1] "الوافر"
فإن يَكُ بالذّنائب طال ليلـي فقد أبكي من اللَّيل القصيـرِ
وأنقذني بياَضُ الصُّبْحِ منهــا لقد أُنقذت من شَرٍّ كبيـــــر
كأنّ كواكبَ الجوزاء عَـــــوْدٌ مُعَطّفَةٌ على ربعٍ لكسرِيـــــرِ

والاستعانة على الليل البهيم الثقيل، لا تقف عند حد، وتتعدى وتتجاوز إيقاد النيران، ومراعاة النجوم إلى أمور أخرى، إذ إنّ بعض الشعراء من متعاطي الخمر، مثلاً، استعانوا على تمضية الليل الطويل بلهوهم هذا، يقول الأعشى:

فإذا جادت الدُّجى وضعوا القِدْ حَ، وجُنَّ التّلاعُ والآفاقُ [2] "الخفيف"

أي إذا جادت السماء ليلاً بمطرها، وأخصبت الأرض والمواقع، وجنَّ الليل، ساعتها تراهم وضعوا الأقْدَاح للهوّ، ولأنّ الليل طويل رهيب، ولأنّ كثيراً من الناس يخشونه، فإن بعضهم يتفاخرون بجرأتهم عليه.

يقول حاتم:

وليلٍ بهيمٍ قد تَسَرْبَلْتُ هَوْلَهُ إذا اللّيلُ بالنِّكْسِ الضعيفِ تجَهّما [3] "الطويل"

فإن كان بعض الناس من الضعفاء والجبناء، فإني لا أخشاه، وإن كان شديد الظلمة فهو لا يرعبني. وهذا يدل على أن الرحلة في الليل هي دليل الشجاعة.

وليل الأعشى :

قطعت إذا ما الليل كانت نجومه تَراهُنَّ في جَوّ السّماء سوامكا [4] "الطويل"

---

[1] ديوان المهلهل بن ربيعة التغلبي/273. مرّ التعريف به.

[2] شرح ديوان الأعشى/130.

[3] ديوان حاتم/112. وتسربلتُ هوله: لم أخش منه وكأني أرتدي ظلامه.

[4] شرح ديوان الأعشى /132. وقعطت: أي اجتزت المفازة. والسّماك : أعلى نقطة في السّماء.

وقوله، وهو يطرق ليلاً دون وجل، من الليل:

ولقد طرقتُ الحيَّ بعـــــــ ـــــدَ النّوم تنبحني كلابُهْ [1] "مجزوء الكامل"

أما عنترة، فهو قد أحسن في هذا المجال بقوله:

كم ليلةٍ سرتُ بالبيداء منفرداً والليل للغرب قد مالت كواكبه [2] "البسيط"

وبقوله:

أطوي ليالي الفلا والليلُ مُعتكرٌ وأقطع البيد والرّمضاءُ تستعرُ [3] "البسيط"

وقد يَمْنَعُ النوم أمر هامّ وحادثٌ طارئ ويبعث الجرأة في الشاعر ليستعين على الليل وحادث طارئ، هذا شاعرنا الأعشى يكتم همومه ويدلل على جرأته هذه بخروجه لأمر هام، ألا وهو لقاء الممدوح:

إلى مَلِكٍ لا يقطع الليلُ هَمَّهُ خَروجٌ، تَروكٌ للفراش الممَّهدِ [4] "الطويل"

وأهوال الليل التي يشيب لها الوليد عند عنترة:

تلك الليالي لم يمُرَّ حديثُها بوليدِ قومٍ شابَ قَبل المَحْمَل [5] "الكامل"

وعنترة يغشى الظلام غير مبال من أجل الممدوح بينما الطير لا تزال جاثمة:

أنت الذي كلَّفتني دُلْجَ السُّرى وجَوْنُ القطا بالجهلتين جُثومُ[6] "الطويل"

والنائبات عند عنترة تشغل المرءَ عن التفكير بطول الليل وثقله:

حاربيني يا نائباتِ اللَّيالي عن يميني، وتارةً عن شِمالي[7] "الخفيف"

وكذلك الخوف على الحبيبة من صروف الدهر:

وَخَبّر عن عُبيلة أين حلَّتْ وما قَطَعَتْ بها أيدي الليالي[8] "الوافر"

فعسى أن لا يأتي الليل بمكروه.

---

[1] شرح ديوان الأعشى/22.

[2] ديوان عنترة/87.

[3] المصدر السابق/127.

[4] شرح ديوان الأعشى/50.

[5] ديوان عنترة/168، والمحمل: المحمول عند الموت للدفن.

[6] المرجع السابق/214.

[7] المرجع السابق/171.

[8] ديوان عنترة–دار صعب/1980.ص70

وطلب الثأر، والتفكير به ليلاً يطوي من ساعات الليل.

يقول عنترة:

وكيف أنام الليل من دون ثأرِهِ وقد كان ذُخْري في الخطوبِ الكوابرِ[1] "الطويل"

ومتفرقات عن الاستعانة على طول الليل:

الليل يستر تحته البادي والحاضر، وبلا تمييز.

يقول عبيد:

حَوْلي ذوو الآكالِ من وائلٍ كالليل، من بادٍ، ومن حاضرِ[2] "السريع"

فإذا جاء الليل أسدل ستاره على كلّ شيء.

والليل يؤرق بعض الناس إذا كانوا يعانون من الهموم والآلام والأحزان، يقول عبيد:

أرقتُ، وما هذا السُّهاد المؤرِّقُ وما بِيَ من سُقمٍ، وما بِيَ مَعْشَقُ [3] "الطويل"

وأمرؤ القيس يقول:

تطاولَ ليْلُكَ بالأثمـــدِ ونام الخليُّ ولم تـــرقُدِ[4] "المتقارب"

وبات وباتت لـــه ليلةٌ كليلةِ ذي العائرِ الأرمدِ

والحارث بن حلزة يقول:

أرِقاً بتُّ ما أَلَذُّ رقادا تعتريني مُبَرِّحات الهمومِ[5] "الخفيف"

وحاتم:

ألا إنني قد هاجني اللّيلَةَ الذّكرُ وما ذاكَ من حُبّ النسّاء، ولا الأشْرُ[6] "الطويل"

وظلام الليل، ورقود الناس وغفلتهم قد تنشر السرقات، يقول الأعشى

---

[1] ديوان عنترة/137.

[2] ديوان عبيد/ص97.

[3] المصدر نفسه 118.

[4] شرح ديوان أمرئ القيس–دار الفكر–بيروت 1968 ص126.

والعائر: القذى تدفع له العين، وهو عبد الملك حجر الكندي، من بنى آكل المرار نحو من 130–80ق.هـ ونحو 497–545م.

[5] ديوان الحارث بن حلّزة وعمرو بن كلثوم/69.

[6] ديوان حاتم/88. قالها بعد غزو الأعداء لعشيرته وهو غائب.

إذ أنتمُ باللّيـــــــل سُرّا قٌ، وصبحَ غَدٍ صَرارَهْ[1] "مجزوء الكامل"

والليل الذي يخيم بظلامه كأنه قابض يخطف البصر فلا يرى فيه الإنسان، إنه الليل المعطّل للرؤيا يقول عنترة:

بهاجرةٍ حتى تَغَيّبَ نورُها وأقبل ليلٌ يخطف الطرفَ سائحُ [2] "الطويل"

وقد تبرقُ السّماء، وهذا تعللّ على التلهي. وك انَ الغريب هو أن يبرق السّنان في يد الشاعر كرمز للبطولة، فهل يساعد بروق السّنان على الهداية للسّبيل؟ يقول عنترة:

وسناناً إذا تعسَّفْتُ في الليـــــ ـــــلِ هداني وردّنِي عن ضَلالي[3] "الخفيف"

حتى الجواد يستفيد من بروق السّنان للخروج لحظة من ظلمة الليل، إذ يكمل عنترة:

أدهمٌ يصرعُ الدُّجى بجوادٍ بين عينيه غُرَّةٌ كالهلالِ[4] "الخفيف"

والليلة الهادئة السّاكنة، الليلة غير المميزة بطولها أو ثقلها، بل هي ليلة عادية هادئة.

يقول فيها الكُميت:

هَاجت لَه من جُنوح الليل رايحةٌ لا الضَّبُّ مُمْتنَعٌ فيها ولا الوَرَلُ [5] "البسيط"

في ليلةٍ مَطلعُ الجوزاءِ أوّلُهـــــا دَهماءَ لا قَرْحٌ فيها ولا رِجْــلُ

والليلة المحاق في آخر الشهر يقول فيها زهير:

واللوم فيكِ وفي سمراء ما بقيت وفي سُمَيّةَ حتى ينفدَّ الأبدُ [6] "البسيط"

واستبطاء الليل هو تعبير عن طوله وثقله، يقول الأعشى:

---

[1] شرح ديوان الأعشى/81. والصّرارة: العازبون.

[2] ديوان عنترة/115.

[3] ا المصدر السابق/171.

[4] المصدر نفسه/171.

[5] الأزمنة والأمكنة–ج1–الباب الخامس عشر. ص285.

[6] المرجع السابق–الباب السابع عشر/303.

حتى يبيتَ القومُ في الصَّفّ ليلةً يقولونَ نَوِّرْ صُبْحُ ، واللَّيلُ عاتِمُ [1] "الطويل"

فشاعرنا يستبطئ ليله هذا ، ويحث هو وصحبه الصبح على الظهور.

وليلُ اللَّديغ، والذي يُسمونه "بالسَّليم" تفاؤلا ، فإنّه ليل طويل رهيب ، فإذا أرقه الشاعر كان ليلا غير طبيعي كما يقول طرفة:

فبتُّ كأنيّ ساورتني ضئيلـــــةٌ من الرُّقشِ ، في أنيابها السُّمُ ناقعُ [2] "الطويل"
يُسَهَّدُ من ليل التّمامِ سليمُهـــــا لِحَلْيِ النّساءِ في يديه قعاقـــــعُ

ومنادمة القبور ليلا ، وصب الخمر عليها ، كانت عادة جاهلية فهذا قس ابن ساعدة الإيادي يقول:

أُقيم على قبريكما لستُ بارحاً طَوَالَ الليالي أو يجيبَ صداكُما [3]) "الطويل"
أصبُّ على قبريكما من مُدامةٍ فإن لم تذوقاها أبُلُ ثراكُمـــــا

وعند حاتم صورة معاكسة للمعنى المتعارف عليه، فالليل ليس هو الثوب الأسود الساتر، بل هو مُغطًّىً عليه، يقول حاتم:

وما كان بي ما كان، والليل مُلْبَسٌ رِواقٌ له، فوق الإكامِ بهيمُ [4] "الطويل"

أما البخل وعدم الالتزام بصفات الكرم عند العرب، فقد كان مرفوضاً، يقول حاتم يهجو البخيل، وإن كان صعلوكاً:

لحى الله صعلوكاً مُناهُ وَهَمُّـــهُ من العيش أن يلقى لَبوساً ومَطْعَما [5] "الطويل"
ينام الضُّحى حتى إذا ليلُهُ استوى تنبَّهَ مثلوجَ الفؤادِ مُوَرّمـــــــا
مقيماً مع المُثْرِينَ، ليس ببـــارحٍ إذا كان جدوى من طعامٍ ومجْثَما

---

[1] شرح ديوان الأعشى/179.

[2] ديوان طرفة/80، والضنيلة من الرُّقش: من أنواع الأفاعي السّامة جداً، وليل التمام:أطول ليلة وآخر ليلة في العام.

[3] الأصفهاني–أبو الفرج– الأغاني ج4 ص219.

[4] ديوان حاتم/115.

[5] ديوان حاتم/112 من قصيدة طويلة مطعها

أتعرفُ أطلالاً ونؤياً مُهَدَّما كخطّك في رِقّ كتاباً مُنمنما

وقد وردت في معرض سابق على أنها لعروة بن الورد، والأرجح أنها لحاتم الطائي.

وتُعتبرُ صورة الليل بأبعادها، وقتاً للتأمل، أو وقتاً للحرب، كما مرّ معنا في فصول سابقة، أو وقتاً للحرب كما صور ذلك الصعاليك، وقد أشرنا إليه في موضعه.

وهكذا يتحوّل الليل إلى وقتٍ للفعل الاجتماعي، تماماً كما هو مدلول ديني، وأسطوري، ونفسي، ليصبح هذا الوقت الخاص من الزمن يحمل معه كل هذه الحمولة الثقيلة والباهظة، وليراه الإنسان القديم تعبيراً عن الشر من جهة، وظلمة القبر من جهةٍ ثانية، وقتاً لإظهار الألفة، والود والرحمة الإنسانية، وهكذا يتحوّل الشاعر لدى جماعته إلى مصور للمعايير الأخلاقية والروحية للتعامل مع الموجودات، ومع الحياة، وكيفية الرَّد المبدع، والإنساني، والنبيل عليها.

فمن اللهو قول امرئ القيس:

بعثتُ إليها والنجوم طوالعٌ حِذاراً عليها أَنْ تقومَ فتُسمَعا[1] "الطويل"

أما غشيان منازل النساء ليلاً وهو ما يعبر عنه الأعشى في قوله:

غَشِيتُ لليلى بِليْلٍ خُدورا وطالبتُها، ونذرتُ النـــــذورا "المتقارب"

وبانت وقد أورثتْ في الفؤا دِ صَدْعاً على نأيها مستطيرا [2]

وقوله أيضا:

أَصَرَمْتَ حَبْلَكَ من لميـــ سَ اليوم أم طالَ اجتنابُهْ [3] "مجزوء الكامل"

ولقد طرقتُ الحيَّ بعـــــ ـــدَ النوم، تَنْبَحُني كِلابُه

وقوله:

تُعاطي الضجيعَ إذا أقبَلتْ بُعَيْدَ الرُّقادِ، وعِنْدَ الوَسَنْ [4] "المتقارب"

وحاتم الطائي يستهون الموت عن فراقها ليلاً، ففي الليالي كانت تستجيب لدواعي الهوى وهو معها لا يلتفت للوم اللائمين:

---

[1] ديوان امرئ القيس/دار الفكر –بيروت 1968 ص133.

[2] ديوان الأعشى ص125.

[3] المصدر السابق ص 235

[4] المصدر نفسه ص67 .

ألا ليتَ أنّ الموت كان حِمَامَهُ لياليَ حلَّ الحيُّ أكنافَ جابـــــرِ [1] "الطويل"
لياليَ يدعوني الهوى فأجيبـــهُ حثيثاً، ولا أرعى إلى قولِ زاجر

وقول عنترة:
يا عبلُ ما دام الوصالُ لياليا حتى دهانا بعده الهجرانُ [2] "الكامل"

ويُنْسب إليه قوله:
كم ليلةٍ عانقتُ فيها غادةً يحيا بها عند المنام ضجيعُها [3] "الطويل"

وكذلك:
لهوتُ بها والليلُ أرخى سدولَه إلى أن بدا ضَوءُ الصّباحِ المبلّجُ [4] "الطويل"
أراعي نجوم الليل وهْيَ كأنها قواريرُ فيها زئبق يترجرجُ

وطرفة يشارك ويقول:
أرَّقَ العينَ خيالٌ لم يَقِرّ طاف والركب بصحراء يُسُرْ [5] "الرمل"
جازت البيد إلى أرحلنا آخر الليـــــل بيعفور خدِرْ
ثمَّ زارتني وصحبي هُجَّعٌ في خليط بين بُردٍ ونَمِرْ
وزيارتها هنا كطيف.
وصورة أخرى من الأعشى:
كأنَّ جَنِيّاً من الزنجبيـــــــــ ـــــــلِ خالطَ فاهاً وأَرْباً مَشُورا [6] "المتقارب"
وإسْفَنْطَ عانةَ بعد الرُّقـــــا دِ شكَّ الرُّصافُ إليها غديـــرا
فهي في الليل تأخذ حاجتها، من مثل التعطّر الذي يتمتع به الملازم لها من الرجال.
والليل طويل ستار، وبعد الهدوء خاصّةً، يتم اللهو والوصال، فيقول الأعشى:
تُعاطي الضجيعَ إذا أقبلت بُعيـــــد الرُّقادِ، وعند الوَسَنْ [7] "المتقارب"

---

[1] ديوان حاتم الطائي–دار صعب–بيروت 1980 صفحة 86.
[2] ديوان عنترة –دار صعب–بيروت ص30.
[3] المصدر السابق/72.
[4] المصدر نفسه، ص87.
[5] ديوان طرفة بن العبد –دار صعب– بيروت 1980 ص 75،76. واليعفور: ولد الظبي، وهو كناية عن المرأة.
[6] ديوان الأعشى ص 67.
[7] .المصدر نفسه / ص207.

يصـــبُ لها الساقيات المـــزا جَ منتصف اللّيل من مـــــاءِ شنْ

والليل الستار يتم فيه الوصال،يقول عنترة:

ولقدَ هَمَمْتُ بغادةٍ في ليلةٍ سوداءَ حالكةٍ كلون الأدلم [1] "الكامل"

وقول عنترة :

يا عبلُ ما دام الوصالُ لياليا حتى دهانا بعده الهجرانُ [2] "الكامل"

والطيف قد يزور في الصحو عابراً خيالَ المشتاق، ولكنَّهُ يزوره نائماً كذلك، فقد يقطع المسافات الطويلة البعيدة، يقطعها بسرعة وبلا عناء، فليس إلاّ خيالاً في خيال.

فهذا عنترة يقول:

يا عبلُ لولا الخيالُ يطرقُني قضيتُ لَيْلِيَ بالنّوحِ والسَّهَر [3]

فطيف الحبيبة كم يخفف عن الحبيب.

وقوله:

وليت خيالاً منكِ يا عبلُ طارقاً يرىْ فَيْضَ جَفْني بالدموعِ السَّواكبِ [4] "الطويل"

فعدم زيارةِ الطيفِ تُبكي شاعرنا.

والحارث بن حلزة يطرقه الطيف:

طرق الخيالُ ولا كليلةِ مُدلجٍ سَدِكاً بأرحُلِنا ولم يتعرّجِ [5] "الكامل"

وذِكْرُ الطيف، أو الخيال، كثير في الشعر الجاهلي، وهذه ظاهرة إنسانية واجتماعية دائمة.

ولا ننسى ما يبعثه الحبُّ الشريف الحقيقي بمشاعر هؤلاء ليلاً، والليل وقت الهدوء والتأمل والسَّهر.

---

[1] ديوان عنترة ص 30.

[2] المصدر السابق ص30.

[3] المصدر نفسه ص 165.

[4] المصدر نفسه، ص 192.

[5] ديوان الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم–دار الجيل بيروت 1998، ص490/ الحارث بن حلزة اليشكري توفي نحو 50ق.هـ أي نحو 570م، كان أبرص فخوراً / الزركلي.

فعنترة يبدو حزيناً على موقفها منه فيبدو شاكياً حزيناً:

يا طائراً قد بات يندب إلفَهُ وينوحُ وهو مُوَلَهٌ حيرانُ [1] "الكامل"

والعرب من عادتها أن تقحم الطبيعة الثابتة والمتحركة–تقحمها في مشاعرها، بأن تجعلها تشاركهم في كل أحاسيسهم، فإن كان الشاعر مسروراً فالطير يغرد على الأغصان، وإن كان حزيناً فهو يبكي أو ينوح.

وهو يسخر النجوم للغزل بإبداء جمال الحبيبة:

كأنّ الثريّا حين لاحت عشيّةً على نَحْرِها منظومةٌ في القلائدِ [2] "الطويل"

وعنترة كذلك يقضي ليله ساهراً يشتكي من صروفه:

وقَد هَتَفتْ في جُنحِ ليلٍ حمامةٌ مُغرِّدةٌ تشكو صروف زمانِ [3] "الطويل"

ويقحم الشاعر طيور الطبيعة لمعاونته على كسر طول الليل، يقول عنترة:

وما شاق قلبي في الدُّجى غيرُ طائرٍ ينوح على غُصنٍ رطيبٍ من الرَّندِ[4] "الطويل"

به مثلُ ما بي فهو يخفي من الجوى كمثل الذي أُخفيْ، ويبدي الذي أُبديْ

ونجده يقول (عنترة):

سأُضمرُ وجدي في فؤادي وأكتُمُ وأسهرُ ليلي والعواذِلُ نُوَّمُ [5] "الطويل"

وشَعَرها الأسود الفاحم يستعير له سواد الليل وربما هي تسُدُّ مكان الشمس في الإضاءة، يقول عن

---

[1] ديوان عنترة/30.

[2] المصدر السابق/40.

[3] المصدر نفسه /51.

[4] المصدر نفسه، 64.

[5] المصدر نفسه، 58.

أشارت إليها الشمس عند غروبها تقول إذا اسوّدَ الدُّجى، فاطْلَعي بعدي [1] "الطويل"

وما أقسى أن يرحل القومُ في الجوار ليلاً، وفيهم الحبيبةُ، فإن الموت عند شاعرنا حاتم الطائي أهونُ من الذهاب إليها دون الالتفات إلى لوم اللائمين:

ألا ليت أنّ الموت كان حِمَامَهُ لياليَ حلَّ الحـــــيُّ أكنافَ جابر [2] "الطويل"

لياليَ يدعوني الهوى فأجيبُـــهُ حثيثاً، ولا أَرعى إلى قول زاجرِ

---

[1] ديوان عنتره، /ص38.

[2] ديوان حاتم الطائي/86.

الخـــاتمـــة

وأخيراً يمكن إيجاز أبرز النتائج التي توصل اليها البحث في النقاط التالية :

أولاً : بالرجوع الى معجمات اللغة العربية يتبين لنا ان الليل عكس النهار، ومبدؤه من غروب الشمس الى بزوغ الفجر والليل ظلام الليل كما النهار ضوء النهار.. وهناك مرادفات لليل وصف بها وهي الظلمة، والعتمة، والسَّدفة، والغيهب والغطش، والغسق، والحالك والدجى ، والادلم، والصريم، والجون، والعكمس، والمجرهد .

ثانياً : شكل مشهد الليل، والسماء الحالكة بنجومها، اكثر المشاهد تأثيراً في نفس الانسان القديم واعتبرت العتمة هي الرحم البدائي الذي انجب الكون .

ثالثاً : تباينت نظرة الجاهليين لليل من حيث الحب، والكراهية فكان الليل عند بعضهم يطول، ويقصر تبعاً للحالة النفسية لكل منهم .

رابعاً : لم يكن الفكر الجاهلي بمعزل عن الفكر السامي القديم، وكان لليل حضورٌ كبير في الفكر القديم حيث تطور مدلوله الى مدلولات اصطلاحية ونفسية ودينية .

خامساً : اعتمد الشعراء الجاهليون على مجموعة من الادوات الفنية في استجداء المعنى الذهني والحالة النفسية لمشهد الليل، ويقف امرؤ القيس والنابغة، والاعشى في مقدمة شعراء العربية الجاهليين من حيث جزالة الشعر وقوته او من حيث التجديد في القصيدة العربية وحازت وحدة الليل عند امريء القيس على اهتمامات النقاد والدارسين للأدب العربي والجاهلي خاصة .

سادساً : لم يكن الليل في اشعار الشعراء سوى ليل متخيَّل " وليل كموج البحر" تحتشد فيه الهموم والابتلاء واليأس منه ومن انجلائه، انه ليل مهيمن على عالم الشاعر النفسي والخاص بحيث ان نجوم وكواكب هذا الليل لا تتحرك .

سابعاً : حظي الليل لدى الصعاليك بمذاقٍ خاص وطقوس خاصة، فهو مرعب وموحش، وصديق وستار، وفضاء لكسب الرزق وإظهار الرجولة والشرف .

ثامناً : اعتبر الليل وقت المتناقضات ، وكسر المألوف وهو وقت الوجدان، والمشاعر الحبيسة، فهو يأتي بالمعبودات وفي مقدمتها القمر، والنجوم وهي آلهة عُبدت منذ فجر التاريخ .

تاسعاً : شكل الليل بالنسبة للشاعر الجاهلي الوقت الذي تستيقظ فيه الارواح الشريرة طالبة الثأر وهو وقت الجوع، والهموم، والنجوم، والتأمل، والشكوى، وكان بمثابة العلامة الابرز في ثقافة العرب القدماء على عكس عصور عربية اسلامية رأت في الليل مناسبة للهو .

عاشراً : شكل الشعر الجاهلي المصدر الاول في معرفة الحياة الروحية، والمادية للعرب الاوائل الذين شاء الله ان تكون خاتمة رسالاته بلسانهم، وأن يكون آخر أنبيائه منهم .

حادي عشر: اعتبرت معظم الثقافات السامية الليل مثوى للارواح الرديئة، والظامئة، والهائمة فيما اعتبر العربي القديم الليل وقتاً لظهور الحب، وموئلاً للأساطير والمعتقدات الدينية طلباً للمطر .

Abstract:

This study deals with the account of "night" in the pre-Islamic poetry. The study will attempt to reflect how the pre-Islamic poets dealt with the night and the legends and myths they weaved about it.

The study of "night" in the pre-Islamic poetry as an independent and comprehensive unit is unprecedented. There were only scattered readings in magazines and papers which don't fulfill the requirements of an MA or PHD theses.

The study consists of four chapters. Chapter one is a philology of the meanings and indications of night. Chapter two talks about the night according to the grievers, mourners, the paupers, the lovers, the vision and the rain. Chapter three is an artistic study of the poetry of the night and the impact of the night in the pre-Islamic poets' emotions. The last chapter dealt with the religious, legendary, psychological and social dimensions of the night given that poetry is a reflection of the dominant life conditions.

Research methodology:
In this study the comprehensive method was adopted including descriptive, legendary, psychological and social methods since one single method can't cover the whole subject.

Significance of the study:
The importance of this study lies in that it describes the night phenomenon in the pre-Islamic poetry. In the darkness of the night a great deal of the pre-Islamic Arab life took place such as wars, raids, worship of stars and planets which lighted the darkness of the night.

Limitations of the study:
The most important element that hindered the study was the rarity of literature for review about the subject in addition to the lack of references in the available libraries. Another barrier was the difficulty of transportation from one governorate to another as a result of the dire security conditions.

Objectives of the study:

Since poetry is the chronicle of the Arab life, the study aimed at opening that chronicle to read it in an artistic, psychological, social and legendary perspective.

This way enables the depiction of the Arabs' life during the pre-Islamic days. The study concentrates on poetry rather than prose since the former is more descriptive of the pre-Islamic life than the latter.

The study came out with the following results:

First: According to the Arabic dictionaries, night is the opposite of day. It begins withstarts in the Ssun set and ends in the dawn break throughwith the breaking of the dawn. Night is the darkness of the night, while day is the light of the day. In addition, there are synonyms for the night, such as: darkness, gloominess, murkiness, duskiness and dimness.

Second: The scene of the night and the murky heavens with the stars was the most influential scene in the old human sense. The darkness was portrayed as the initial womb which gave birth to the universe.

Third: The pre-Islamic people had contrastive attitudes towards the night in terms of love and hatred; some of them depicted it as being sometimes long sometimes and sometimes short, according to their psychological state.

Fourth: The pre-Islamic ideology was n'ot separated from the ancient Semitic ideology, in which night had several a great implications, developing which developed into idiomatic, psychological and religious indications.

Fifth: Pre-Islamic poets depended upon technical instruments in order to extract the mental meaning and the psychological state of the scene of the night.

The poetry of "Imru- ul Qays", " An-Nabighah" and "Al-Asha" represent the first class pre-Islamic poetry in terms of eloquence, a purity and renewal in the poem.

The night's unit in the poetry of "Imru-ul-Qays" lured many critics and researchers in theto Arab literature, mainly the pre-Islamic.

Sixth: Night in poetry was only imaginary; "night like the sea waves" in which worries, afflictions and despairs are culminated. It is a night that

dominates the psychological and the private world of the poet since its stars and planets stand still.

Seventh: The "Paupers" had their special taste of the night in addition to their special rituals. It is horrifying, lonely, friendly, and veiling, in addition to being a space for bread-winning and showing manhood and honor.

Eighth: Night had been regarded as the time for contradictions and unfamiliarity. It had been also the time of sentimentalities and stressed emotions, since it brings about the adorned objects such as the moon and the stars, which were have been worshipped as Gods since the break dawn of history.

Ninth: To the pre-Islamic poet, night had represented the time during which the evil spirits were released in order to take revenge. It also represented times of hunger, grievances, stars, mediation and complaint. Night was the most prominent mark of the ancient Arab culture, contrary to the Arab-Islamic eras, during which night was an opportunity for entertainment.

Tenth: The prePre-Islamic poetry marked the first source for knowledge about spiritual and material aspects of the life of oldancient Arabians, whose language was selected by his almighty God to be the language of the last heavenly message, " the Qur'an," and the last prophet to be one of them.

Eleventh: Most of the Semitic cultures considered night to offer residence for the bad, evil-thirsty and aimless spirits. However the old ancient Arab culture portrayed night as time for the emergence of love and , refuge of legends and the practice of religious beliefs to pray for rain to fall.

المصادر والمراجع:

1 -القرآن الكريم.

2 -الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار الفكر، بيروت.

3 -الأصمعي، الأصمعيات، تحقيق شاكر وهارون، دار المعارف، القاهرة، 1974.

4 -الأعشى، الديوان، شرح محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، مصر، 1974. و شرح ديوان الأعشى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984.

5 -الآلوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجت الأثري، دار الكتاب العربي، ط3.

6 -ابن الاجبالي، الأزمنة والأنواء، دمشق، 1964.

7 -امرؤ القيس، الديوان، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف ،القاهرة، 1966، وطبعة 1974.

8 -أوس بن حجر، الديوان، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت 1967.

9 -بشر بن أبي خازم، الديوان، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق 1960.

10 - باجودة، حسن، أحيحة بن الجلاح، الطائف 1979.

11 - بروكلمان- كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة النجار، دار المعارف، القاهرة.

12 - البطل، علي، الصورة في الشعر الجاهلي، دار الأندلس، بيروت، 1983.

13 - الثعالبي، ابو منصور، فقه اللغة وسرّ العربية، دار التراث القديم، القاهرة.

14 - الجاحظ، البخلاء، تحقيق طه الحاجري، دار المعارف بمصر.

15 - الجمحي، محمد بن سلاّم، طبقات فحول الشعراء، مطبعة السعادة بمصر.

16 - حاتم الطائي، الديوان، دار صعب، دار بيروت، 1980.

17 - الحارث بن حلزة، وعمرو بن كلثوم، الديوان، الجيل، بيروت، 1998.

18 - الحديثي، بهجت، دراسات في الشعر العربي القديم، مطابع التعليم العالي،بغداد،1990.

19 - حسّان بن ثابت، الديوان، دار الأندلس، بيروت،1982.

20 - الحسين، د.قصي، انثربولوجيا الصورة في الشعر العربي قبل الاسلام، بيروت، دار الطباعة والنشر، 1993.

21 - الحموي، تقي الدين، خزانة الأدب وغاية الأرب، ، ط1، القاهرة، 1291هـ.

22 - حنون، د.نائل، عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2002.

23 – الخنساء الديوان، شرح دار التراث، بيروت، ط1، 1968.
24 – ديوان الصّعاليك ــ شرح د. يوسف شكري ــ دار الجبل ــ بيروت ــ 1992.
25 – الربيعي، أحمد، قسّ بن ساعدة الإيادي، حياته وشعره، مطبعة النعمان، النجف،1974.
26 – الزبيدي، عبد المنعم خضر، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، منشورات جامعة ماريونس، 1980.
27 – الزِّرِكْلِي، خير الدين،الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، بيروت/ط 11، 1995.
28 – زهير بن أبي سُلمى، الديوان، دار صادر، بيروت، 1964.
29 – الزيّات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، ط14، مطبعة الرسالة، مصر.
30 – السَّوّاح، فراس، مغامرة العقل الأولى، دار علاء الدين، ط 1، 1996، ودار الحكمة للنشر، بيروت، ط1، 1981.
31 – أبو سويلم، أنور، المطر في الشعر الجاهلي، دار عمّار ودار،عمان، وبيروت، 1987.
32 – شاكر وهارون، أخبار الأصمعي، دار المعارف، القاهرة.
33 – الشنفرى، الديوان، دار صادر، بيروت.
34 – الشنفرى، لامية العرب، مكتبة الحياة، بيروت، 1974.
35 – الصائغ، عبد الإله، الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية، المركز الثقافي العربي، ط، 1977.
36 – الضبّي، المفضل، المفضليات، ، شرح شاكر وهارون، مصر.
37 – طرفة بن العبد، الديوان، تحقيق دريّة الخطيب، ولطفي الصّقال، دمشق 1980.
38 – عبد الرحمن، إبراهيم، قضايا الشعر في النقد الأدبي، دار العودة،بيروت، ط2، 1986.
39 – عبيد بن الأبرص، الديوان، تحقيق وشرح حسين نصار، ط 1، البابي الحلبي، مصر1957.
40 – عدي بن زيد العبّادي، الديوان، تحقيق وشرح د. حسين، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1957.
41 – عروة بن الورد والسموأل ، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت ، والديوان شرح وتحقيق أسماء ابو بكر محمد– دار الكتب العلمية، بيروت، القاهرة، 1992، دار صادر ودار بيروت، 1964.
42 – عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، القاهرة، 1973.
43 – علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، دار العلم للملايين، بيروت.

44 – عمرو بن قميئة، الديوان، تحقيق وشرح د. خليل ابراهيم العطيه، ط1، بيروت.
45 – عمرو بن كلثوم، الديوان، د. إميل يعقوب، دار الكتّاب العرب، ط1/ 1991.
46 – عنترة، الديوان، دار صعب، بيروت،1970، والديوان، دار صعب 1980.
47 – عوض، ريتا، بناء القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية لدى امرئ القيس، دار الأدب، بيروت.
48 – فراج، عبد السّتار، شرح أشعار الهذليين، الدار القومية، القاهرة،1965.
49 – فرحان، د.يوسف، شرح ديوان الصعاليك، دار الجيل، بيروت،1966.
50 – الفيروزأبادي، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، 1962.
51 – القالي، الأمالي والنوادر، دار الكتب المصرية.
52 – ابن قتيبه، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، 1982، وكتابه تحقيق د. مفيد قميحه، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت،1985.
53 – القرشي، ابو زيد، جمهرة أشعار العرب، المطبعة الرحمانية بمصر، 1926.
54 – القلقشندي، صبح الأعشا في صناعة الإنشا، المؤسسة العربية العامة للتأليف.
55 – قيس بن الخطيم، الديوان، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صادر، ودار بيروت، ط 1، 1962.
56 – لبيد بن ربيعة، الديوان، تحقيق د. احسان عباسي، سلسلة التراث العربي، الكويت.
57 – الماجدي، د.علي خزعل، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق،عمّان، 1997.
58 – المثقب العبدي، الديوان، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، ط1، 1971.
59 – محمد، عبد الفتاح، المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي، دار المناهل، بيروت، 1987.
60 – المرزوقي، الأزمنة والأمكنة.
61 – المرقّشَيْن، ديوان، تحقيق كارين صادر، بيروت، 1998.
62 – ابن منظور، لسان العرب، دار صادر–بيروت
63 – المهلهل بن ربيعة، الديوان، تحقيق أنطوان القوّال، دار الجيل، بيروت ،، ط1995،1 والديوان شرح تحقيق شافع شاهين، الجامعة المستنصرية،1986.
64 – النابغة الذبياني، الديوان، دار صادر ودار بيروت، تحقيق كرم البستاني، 1963.
65 – ناصيف، مصطفى، دراسة الأدب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر.
66 – ناصيف، مصطفى، قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس، بيروت، ط1.

67 – النعيمي، أحمد اسماعيل، الاسطورة في الشعر العربي قبل الاسلام، سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1995.
68 – نور الدين، جودت، مع الشعر العربي، دار الأدب، بيروت، 1996.
69 – نيلسون، ستيف، التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين، مكتبة النهضة المصرية، 1959.
70 – اليوسف ، يوسف، مقالات في الشعر الجاهلي، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 2001، ط3.

الابحاث والمجلّات:

1. الخواجة أ.د إبراهيم/ عروة بن الورد ــ حياته وشعره ــ منشورات مطبعة النصر التجاريّة ومكتبتها ــ نابلس ــ ص 10 – 11 – ط 2 /987.
2. الديك، د.إحسان، الهامة والصّدى، مجلة النجاح، مجلد13، العدد 1992/2.
3. العمري سالم حامد السالم ــ صورة المرأة عند شعراء البحرين واليمامة في العصر الجاهلي ــ رسالة ماجستير ــ جامعة اليرموك 1986ــ إشراف د. عمر الأسعد ــ ص 65.
4. الهدروسي محمد ــ الحرب وادواتها في شعر شعراء المعلقات ــ رسالة ماجستير ــ جامعة اليرموك ــ كلية الآداب ــ إشراف أ. د عفيف عبد الرحمن ــ 1967 ــ ص 11.
5. ثروت روحي ــ القبر في الشعر الجاهلي ــ رسالة ماجستير ــ جامعة القدس ــ كلية الدراسات العليا ــ إشراف د. إحسان الديك ــ2001 ــ ص 74 ــ 75.
6. خريوش صادق ــ صورة البطل في كتب الحماسة ــ رسالة ماجستير ــ الجامعة الأردنية ــ كلية الدراسات العليا ــ إشراف أ.د محمود السمرة ــ 1990 ــ 1991 ــ ص 149.
7. صالح محمد سمارة ــ الجبل في الشعر الجاهلي ــ رسالة ماجستير ــ جامعة النجاح ــ إشراف د. إحسان الديك ــ كلية الدراسات العليا ــ قسم اللغة العربية ــ نابلس ــ 1999 ــ ص 86 ــ 89.

ملحق الشواهد الشعرية هجائياً		بحر العروض	القائل
من البيض الوجوه بني سنان	لو انّك تستضيء بهم أضاءوا	الوافر	القاسم بن حنبل المرّي
كم ليلة ليلاء مُلبسة الدُّجى	أُفُقُ السّماء سريتُ غير مهيب	الكامل	
لفقد فضالة لا تستوي الـــــ	فقودُ ولا خُلَّةُ الذاهــب	المتقارب	أوس بن حجر
نالت بعاقبة، وكان نَوَالَها	طيفٌ يّشُقُّ على المُبَاعَد مُنْصَبُ	الكامل	زهير
نجومُ سماء كُلّما غاب كوكبٌ	بدا كوكبٌ تأوي إليهِ كواكبُ	الطويل	أبو الطمحان القيني
وخرق تصيحُ الهامُ فيه مع الصّدى	مخوف إذا ما جَنَّةُ اللّيل مرهوبِ	الطويل	عبيد
وليلة جابان كررتُ عليهمُ	على ساعة فيها الايابُ حبيبُ	الطويل	السُّليك
أرقتُ لمكفهر بات فيه	بوارق يرتقين رؤوس شيب	الوافر	عدي بن زيد
ألـــم تُكســف الشمــس والبـــدر	والكــواكب للجبـــل الواجـــب	المتقارب	أوس بن حجر
تطـــاول حتّى قلــتُ ليــس بمنقض	وليس الذي يرعى النّجــومَ بآيب	الطويل	النابغة
فلـــو أنّ أمّـــي لم تلدني لحلّقـــت	بها المُغرب العنقاء عند أخـــي كلـــبِ	الطويل	الحارث بن حلزة
كأن القوم إذ دارت رحاهم	هُدوءاً تحت أقمرَ ذي جنوب	الوافر	عدي بن حبيب
وصدر أزاح اللّيلُ عازبَ هَمِّه	تضاعفَ فيه الحزنُ من كلِّ جانب	الطويل	النابغة
وليت خيالاً منك ياعبلُ طارقاً	يرى فيض جفني بالدّموع السّواكب	الطويل	عنترة
بنـــي أسدٍ هــل تعلمــون بلاءنــا	إذا كـــان يومٌ ذو كــواكب أشهبُ	الطويل	
ســـودٌ صنـــاعِيَةٌ إذا مــا أوردوا	صـــدرت عتومُهُمُ ولّمـــا تُحْلَــبِ	الكامل	عامر بن الطفيل
عَشِيـــَّةَ ضَلَّتْ للحــراميِّ ناقـــةٌ	بحيّهــَلا يدعـــو بهـــا فتجيبُ	الطويل	السُّليك
فضاربــتُ أولى الخيل حتــى كــأنّما	أحيـــل عليهـــا أيدعٌ وصبيـــبُ	الطويل	السُّليك
في كلّ مثوى ليلةُ سار لها	هاد يُهيجُ بحزنَه متأوّبُ	الطويل	زهير
كليني لهَمٍّ يا أُميمةَ ناصب	وليلٍ أُقاسيه بطيء الكواكب	الطويل	النابغة
وسار تعنّاه المبيت فلم يدع	له طامسُ الظّلماء واللّيل مذهبا	الطويل	المثقب العبدي
وقمت إلى البُركِ الهواجدِ فاتقَت	بكوماءَ لم يذهب بها النيء مذهَبا	الطويل	المثقب العبدي
وكم ناديته والليلُ ساج	بُعاديَّ البئار فما أجابا	الوافر	تأبّط شرّا

فَرَحّبْتُ أعلى الجنبِ منهـــا بطعنةٍ	دَعَـتْ مستكين الخوف حتى تصببا	الطويل	المثقّب العبدي
فلمـــا أتانـــي والسّمـــاءُ تَبُلُّـــهُ	فلاقيتـــه أهلاً وسهـــلاً ومرحبـا	الطويل	المثقّب العبدي
أصرمتَ حبـلكَ من لميـــــــ	سَ اليـــومَ أم طـــال اجتنـــابُه	مجزوء الكامل	الأعشى
إنّـــي أرى فتيـــةً تغلـــي مراجلـــها	والمـــلكُ بعد أبـــي ليلى لمن غلبا	البسيط	
قطعت بصهباءَ السَّراةِ شِمِلَّـــةً	تزلُّ الولايا عن جوانب مكروب	الطويل	عبيد بن الأبرص
رفعت له بالكلفّ نارَاً تشبُّهَاً	شآميةٌ نكباءُ أو عاصَف صَبا	الطويل	المثقب
إذا هو أمسى آبَ قُـــرّةَ عينـــه	مآبَ السعيـــد لم يَسَل أيـــن ظَلّتِ	الطويل	الشنفرى
فبتنـــا كأنّ البيـــتَ حُجّرَ حولنـــا	بريحانـــة ريحـــت عِشاء وطُلّتِ	الطويل	الشنفرى
تبيـتُ علـــى المرافـــق أُمُّ وهبٍ	وقـــد نـــام العيونُ لهـــا كتيتُ	الوافر	عروة
خطف الظلام كسارق من شعرها	فكأنما قُرن الدُّجى بدياجي	الكامل	عنترة
أنّـــى اهتديـــتِ وكنـــتِ غير رجيلـــة	والقـــومُ قـــد قطعـــوا متان السَّجسَج	الكامل	الحارث بن حلّزة
أُراعـــي نجوم الليـــل وهي كأنها	قـــواريرُ فيهـــا زئبـــقٌ يترجرجُ	الطويل	عنترة
أشاقـــك من عبـــلُ الخيـــالُ المبهجّ	فقلبـــك منـــهُ لاعجٌ يتوهـــج	الطويل	عنترة
طـــرقَ الخيالُ ولا كليلـــة مُدْلَـــجِ	سَـــدكاً بأرحُلنـــا ولـــم يتعرَّج	الكامل	الحارث بن حلزة
لهوت بها واللّيلُ أرخى سدولَهُ	إلى أن بدا ضوء الصّباح المُبَلّجُ	الطويل	عنترة
وتحتي منها ساعدٌ فيه دملجٌ	مضيءٌ، وفوقي آخرٌ فيه دملجُ	الطويل	عنترة
ومن يكُ مثلي ذا عيال ومُقتراً	من المال يطرحْ نفسَهُ كلَّ مَطرَحِ	الطويل	عروة بن الورد
أوَصِـرْتُ ذا بومة فـــي رأس رابية	أو في قـــرار مـــن الأرضين قرواحِ	البسيط	عبيد
يا من لبرق أبيت الليل أرقّبُهُ	من عارض كبياض الصُّبح لمّاح	البسيط	عبيد
بكـــلّ مَبيت يعترينـــا ومنـــزلٍ	فلـــو أنّـــها إذ تدلج الليل تُصبـــحُ	الطويل	المرقَّش الأصغر
بهـــاجرة حتى تَغيَّـــبَ نورُهـــا	وأقبـــلَ ليلٌ يخطف الطـــرفَ سائحُ	الطويل	عنترة
تنالـــوا الغنَى أو تبلغوا بنفوسكـــمْ	إلى مُسْتَراحٍ مـــن حمـــام مُبَرَّح	الطويل	عروة
ففاضـــت دموعي توّةً ثم لـــم تفض	علـــيَّ وقد كادت لهـــا العينُ تمرحُ	الطويل	أحيحة بن الجلاّح

فقلـــــتُ لقوم فـــــي الكنيف تروُحوا	عشيّـــــةَ بتنا عند ماوان رزح	الطويل	عروة
فولت وقد بثّت تباريح ما ترى	ووجدي بها إذ تحدُرُ الدّمعَ أبرحُ	الطويل	تأبط شرّا
كأنّ ريقتها بعد الكرى اغتبقتْ	من ماء أدكَنَ في الحانوتِ نضّاح	البسيط	أوس بن حِجر
ليست بأطيب من فيها إذا جئتُ طا	رقاً من الليل، بل فوها ألذّ وأنصحُ	البسيط	المرقّش الأكبر
أرقتُ لبرقٍ آخر الليل دونه	رِضامٌ وهَضْبَ دونً دمّان أفيحُ	الطويل	تميم بن مقبل العامري
لجَوْنِ شآمٍ كلّما قلتُ قد مضى	سناءً والقواريُّ الخضرُ في الماء جُنّحُ	الطويل	تميم بن مقبل العامري
وأضحى له جَلَبٌ بأكنافِ شُرمَةٍ	أحَشُّ سِماكَيٌّ من الوبلِ أفضحُ	الطويل	تميم بن مقبل العامري
والشمس تطلعُ كلَّ آخرِ ليلةٍ	حمراء يصبح لونها يتورّدُ	الكامل	أميّة بن أبي الصّلت
رعيـــــتُ نجـــومَها حتـــى استَقَلّت	تواليهـــــا بغيـــــر سيـــــاق حـــاد	الطويل	المثقب العبدي
سَرَتْ عليـــه مـــن الجـــوزاءِ ساريةٌ	تُزجي الشَّمـــــالُ عليـــه جامد البَرَد	البسيط	النابغة
طـــــاف الخيـــالُ علينا ليلـــة الوادي	لآلِ أسمـــــــاءَ لم تُلْمِـــــمْ لميعـــاد	البسيط	عبيد
أرى العيشَ كنزاً ناقصـــــاً كلَّ ليلـــة	ومـــــا تنقص الأيـــــامُ والدهر ينفد	الطويل	طرفة
فبـــــتُّ بليلـــــة بثّـــــت همومـــــي	بهـــــا طـــــولٌ وحـــالكةُ السّواد	الوافر	امرؤ القيس
فنيت وأفناني الزمان وأصبحت	لداتي بنو نعش وزهرُ الفراقد	الطويل	عبيد
كأن الثريّا حين لاحت عشيَّةً	على نحرها منظومةٌ في القلائد	الطويل	عنترة
كأنّ الثّريّا فوق ثغرة نحرها	تَوَقّدُ في الظّلماء أيّ تَوَقُّد	الطويل	قيس بن الخطيم
كأنّ رحلي وقد زال النّهارُ بنا	يوم الجليل على مُسْتأنس وَجد	البسيط	النابغة
لا أهتدي فيها لموقع تلعة	بين العراق، وبين أرض مُراد	الكامل	الأسود بن يعفر
من وحش وجرة موشيٌّ أكارعُهُ	طاوي المصير كسيف الصّيقل الفَرد	البسيط	النابغة
وبات وباتَت له ليلةٌ	كليلةِ ذي العائر الأرمد	المتقارب	امرؤ القيس
وجيد كجيد الرّئم صاف يزينُهُ	توقُّدُ ياقوت وفصل زبرجَد	الطويل	عنترة
وغارَة بينَ اليوم واللَّيل فلتة	تداركتها وحدي بسيد عمرّد	الطويل	عدي بن زيد
وما شاق قلبي في الدُّجى غيرُ طائر	ينوحُ على غُصن رطيب من الرّند	الطويل	عنترة

ولدتُ بحادي النّجم يحرق ما رأى	وبالقلب قلب العقرب المتوقّد	الطويل	الأسود بن يعفر
ومن الحوادث لا أبالكَ أنّني	ضُربت عليّ الأرضُ بالأسداد	الكامل	الأسود بن يعفر
يهاجمني ليلاً وذلك لا يُرى	نهاراً إذا ما كنت لست براقد	الطويل	أبو صخر الهذلي
باتت عليه ليلةٌ رجبيةٌ	نصّباً تسُحُّ الماء أو هي أبردُ	الكامل	عبيد
سرى ليلاً خيالٌ من سُليمي	فأرّقني وأصحابي هجودُ	الوافر	المرقّش الأكبر
أشبهها مقاولتي وقومي	إذا لبسوا السِّنَوَّرَ للجلاد	الوافر	امرؤ القيس
أعاذل إنّ الجهل من ذلّة الفتى	وإنّ المنايا للرجال بمرصَد	الطويل	عدي بن زيد
أعاذلَ إنّ اللّوم في غير كُهنه	عليَّ ثنى من غيّك المتردد	الطويل	عدي بن زيد
أعاذلّ قد لا قيتُ ما يزع الفتى	وطابقتُ في الحجلين مشي المقيّد	الطويل	عدي بن زيد
أعاذل من أدنى الرشادُ من الفتى	وأبعده منه إذا لم يَسْدُد	الطويل	عدي بن زيد
أعاذل من تُكتبْ له النارُ يلقها	كفاحاً،ومن يكتب له الفوز يَسعدِ	الطويل	عدي بن زيد
إلى ملك لا يقطع اللّيل هَمُّهُ	خروجٌ، تروك للفراش الممهد	الطويل	الأعشى
ألا يا لقوم للسّقام المعاود	نكاساً وطيفاً من رُقيّةَ عامد	الطويل	أبو صخر الهذلي
أمن طلل لأمِّ الجهم عاف	يلوح كرقم أجنحة الجراد	الوافر	امرؤ القيس
أنَّى اهتديت لركب طال سيرهمُ	في سبسب بين دكداكٍ وأعقاد	البسيط	عبيد
أهاويل من جِنِّيَّة كُلَ ليلة	ترافقني في الليل فوق الوسائد	الطويل	أبو صخر الهذلي
بخيف منىً فأبكاني عليه	بكاءٌ من حمامة بطن واد	الوافر	أمرؤ القيس
تطاول ليلك بالإثمد	ونامَ الخَليُّ ولم ترقُد	المتقارب	أمرؤ القيس
وغارةٍ بين اللّيل والأمس فلتةً	تداركتها ركضاً بسيدٍ عَمَرّدِ	الطويل	دريد بن الصمّة
أعاذلُ ما يدريكِ إن منيّتي	إلى ساعةٍ في الليل، أوفي ضحى الغدِ	الطويل	المهلهل
فتى لو ينادي الشمّس ألقت قناعها	أو القمرَ السّاري لألقى المقالدا	الطويل	أميّة بن أبي الصّلت
وعاذلةٍ هبّت بليل تلومني	وقد غاب عيّوقُ الثّريّا فغردا	الطويل	حاتم

مائتي زمانٍ كامل ونَصيّة	عشرينَ عشتُ مُعمّراً محمودا	الكامل	عبيد
وعاندْت الثُّرَيّا بعد هَدْءٍ	وقد غابَ عيّوقُ الثُّريّا وغرّدا	الطويل	حاتم الطائي
وفيها إذا ما هجّرت عجرفيَّةٌ	إذا ما خلت حرباءُ الظّهيرةِ أصيدا	الطويل	الأعشى
ولتأتينْ بعدي قَرونٌ جَمّةٌ	ترعى مَحارم أيكةٍ ولدودا	الكامل	عبيد
حتى يُقالَ لمن تَعَرَّقَ دهرُه	يا ذا الزّمانةِ، هل رأيتَ عبيدا	الكامل	عبيد
فأمّا إذا ما أدلجت فترى لها	رقيبين جدياً لا يغيب وفرقدا	الطويل	الأعشى
فالشمس طالعةٌ وليلٌ كاسفٌ	والنجم تجري أنحُساً وسعودا	الكامل	عبيد
من غير ما سَقَمٍ، ولكنْ شَفّني	هَمٌّ أراهُ قد أصابَ فؤادي	الكامل	الأسود بن يعفر
نام الخليُّ وما أحَسَّ رُقادي	والهمُّ مُحتضِرٌ لَديَّ، وسادي	الكامل	الأسود بن يعفر
وأحزانُ المحبِّ طرقْنَ وهناً	وأحزاني التي طرقت وسادي	الوافر	أمرؤ القيس
وعاذلة هَبّتْ بليلٍ تلومني	فلمّا غلت في اللّوم قلت لها اقصدي	الطويل	عدي بن زيد
أشارت إليها الشّمسُ عند غروبها	تقول إذا اسوَدَّ الدُّجى فاطلعي بعدي	الطويل	عنترة
به مثلُ ما بي فهو يُخفي من الجوى	كمثل الذي أُخفي، ويُبدي مثل ما أُبدي	الطويل	عنترة
أبى طول ليلك إلاّسهودا	فما إن تبينُ لصبح عمودا	المتقارب	حاتم
أبيتُ كئيباً أُراعي النجومَ	وأُرجِع في ساعديّ الحديدا	المتقارب	حاتم
تلوم على إعطائيَ المال ضِلّةً	إذا ضنَّ بالمال البخيلُ وصرّدا	الطويل	حاتم
في مهمه قدفٍ يخشى الهلاك به	أصداؤه ما تني في الليل تغريدا	البسيط	ربيعة بن مقروم
فبتّ أدير أمري كُلَّ حالٍ	وأرقّب أهلها وَهُمُ بعيدُ	الوافر	المرقش الأكبر
فبتُّ بليلة لا نوم فيها	أكابدها وأصحابي رقودُ	الوافر	الأعشى
فلأياً ما أفلنَ مُخَوّياتٍ	خمود النّار وارفضّ العمودُ	الوافر	الأعشى
فما بالي أفي ويخان عهدي	وما بالي أُصادْ ولا أصيدُ	الوافر	المرقش الأكبر
كأنّ نجومها رُبطت بصخرٍ	وأمراس تدورُ وتستزيدُ	الوافر	الأعشى
لا تستطيع أن تقصر ساعةً	وبذاك تدأبُ يَومَها وتَشَرَّدُ	الكامل	أميّة بن أبي الصّلت
ليست بطالعة لها في رِسْلِها	إلاّ معذّبَةً وإلاّ تُجلَدُ	الكامل	أميّة بن أبي الصّلت

واللوم فيك، وفي سمراء ما بقيت	وفي سُمَيَّةَ حتّى ينفدِ الأَبَدُ	البسيط	زهير
أحـــاديثُ نفسٍ تشتكي ما يريبـــــها	وورد همـــــومٍ لـــــم يجدن مصادرا	الطويل	النابغة
والنُّجومُ الّتي تُتابعُ في اللّيـــــــــــ	ـــل وفيها ذات اليمين ازورارا	الخفيف	لبيد
كأنّ جَنِيّاً من الزنجبيـــــ	ـــــلِ خالط فاهاً وأرباً مشورا	المتقارب	الأعشى
حولي ذوو الآكال من وائلٍ	كالليل من بادٍ ومن حاضر	السريع	عبيد
وعاندت الثريّا بعد هدء	معاندة لها العيّوقُ جارُ	الطويل	حاتم
وكان اللّيلُ فيه مثلُهُ	وَلَقِدْماً ظُنَّ باللّيل القصَر	الرمل	عدي بن زيد
وكيف أنامُ اللّيل من دون ثأره	وقد كان ذُخري في الخطوب الكوابر	الطويل	عنترة
ولقد أتيتكمُ بليل دامس	ولقد أتيتُ سُراتَكم بنهارِ	الكامل	عروة
يا عبلُ لولا الخيالُ يطرقني	قضيت ليلي بالنّوح والسَّهر	المنسرح	عنترة
يعدُّ الغنى من نفسه كلَّ ليلة	أصاب قراها من صديق ميسّر	الطويل	عروة
يعينُ نساء الحيّ ما يستعنَّهُ	ويمسي طليحاً كالبعير المحسَّر	الطويل	عروة
ينام عِشاءٍ ثمّ يصبحُ ناعساً	يَحُتُّ الحصى عن جنبه المتعفر	الطويل	عروة
كُنّا كأنجُمِ ليل وسطها قمرٌ	يجلو الدُّجى، فهوى من بيننا القمرُ	البسيط	الخنساء
أُراقب فـــي السّمـــاء بنات نعش	وقـد دارت كمـا عطف الصـّوارُ	الوافر	بشير بن أبي خازم
أرّقَ العيـنَ خيـــالُ لـــم يَقـــرّْ	طـــاف والـــركب بصحراء يُسُر	الرمل	طرفة
أطـوي ليالي الفـــلا والليلُ معتكرٌ	وأقطـــع البيـد والرمضاء تستعـرُ	البسيط	عنترة
ألا إننـي قدهـا جني الليلـــة الذكرُ	وما ذاك مـن حبّ النساء ولا الأشرُ	الطويل	حاتم
أوقِـــدْ فإنّ الليـــل ليـــلٌ قَـــرٌّ	والرّيـحَ يـــا موقداً ريـحٌ صَـرٌّ	الرجز	حاتم
تخـــلسُ الطـــرْفَ يعينـي بَرغَز	وبخـــــدَّيْ رَشـــأ آدمَ غـــــرّْ	الرمل	طرفة
تقـــول ابنـةُ العَمري آخر ليلهـا	عـــلامَ مُنعْتَ النّـــومَ ليلُكَ ساهرُ	الطويل	قيس بن الخطيم
ثـمَّ نَحّى ولـــم يُراضع فلـــــواً	ورضـــاعُ المجحِ عيـــبٌ كبيـرُ	الخفيف	استشهد به الجاحظ
عســى يـــرى نـــاركَ مَن يُمـــرُّ	إن جلبـــتْ نـــارك فأنـــتَ حُرُّ	الرجز	حاتم
فبـــتُّ مُسَهّـــدَاً أرقـــاً كأنّـــي	تمشّـــَت فـــي مفاصلـــي العُقارُ	الوافر	بشر بن أبي خازم
فبـــتُّ ساهرةً للنّجـــم أرقُبُـــهُ	حتـــى أتـــى دون غور النّجـم أستارُ	البسيط	الخنساء
كأنّ القـومَ من نُبلِ بن روحٍ	لدى القمـراء تلفحهم سـعيرا	الوافر	أبو بثينة العاهلي

كتمتُكَ ليلةً بالجمومين ساهراً	وهمّيْنِ همّاً مُستِكنّاً وظاهرا	الطويل	النابغة
لا على كوكبٍ ينوء ولا ريـــ	ـحِ جنوبٍ، ولا يرى المخرورا	الخفيف	أمّية بن أبي الصلت
مُليكيةٌ جاورت بالحِجا	زِ قوماً عُداةً وأرضاً شـطيرا	المتقارب	الأعشى
وإسفنطُ عانة بعد الرُّقـا	دِ شُكَّ الرُّصافُ إليها غـديرا	المتقارب	الأعشى
وبانت وقـد أورثت في الفـؤا	دِ صدعاً على نأيها مستطيرا	المتقارب	الأعشى
فقلـت لهـا قومي أخاف عليهـمُ	تباغِيَهـُمْ لا يُبهكـم ما أُحـاذرُ	الطويل	قيس بن الخطيم
لُقحت في الهلال من قِبَلِ الطُّهـ	ـر وقد لاح للضياء بشيرُ	الخفيف	استشهد به الجاحظ
له هامةٌ تدعو إذا اللّيل جَنّهَا	بني عامر، هل للهلاليّ ثائرُ	الطويل	مغلس الفقعسي
وإن أخاكم قد علمتم مكانَهُ	بسفح قُبَاً تُسفي عليه الأعاصرُ	الطويل	مغلس الفقعسي
والشيّب ينهض في الشّباب كأنّهُ	ليلٌ يصيحُ بجانبيه نهارُ	الكامل	الفرزدق
ثـمَّ زارتني وصحبـي هُجَّـعٌ	فـي خليطٍ بينَ بُـرْد ونَمـرْ	الرمل	طرفة
جـازت البيـدَ إلـى أرحُـلنا	آخـرَ اللّيـل بيعفور خَـدرْ	الرمل	طرفة
شئـزٌ جنبـي كأنّـيَ مُهْـدأٌ	جعـل القينُ علـى الدَّفِّ إبّـرْ	الرمل	عدي بن زيد
غيـر ماعشْق ولـكن طـارقٌ	خلسَ النّـومَ وأجدانـي السَّهَرْ	الرمل	عدي بن زيد
لم أغمض طوله حتى انقضى	أتمنّى لو أرى الصبحَ جَشَرْ	الرمل	عدي بن زيد
ولا تقبروني إن قبري محرَّمُ	عليكم، ولكن أبشري أُمّ عامِرْ	الطويل	الشنفرى
ليالي يدعوني الهوى فأجيبُه	حثيثاً، ولا أرعى إلى قولِ زاجر	الطويل	حاتم
ألا ليـت أنّ المـوت كان حمامَهُ	ليالـيَ حلَّ الحـيُّ أكناف جابر	الطويل	حاتم
إنّـي أرقتُ فبـتَّ الليـل ساهـرةً	كأنّمـا كُحِلت عينـي بعـوّار	البسيط	الخنساء
إذا سنحت نجديَّـةٌ برحت لهـا	صَباً فأدرَّتْ ودقَ أَوطَـفَ ممـطر	الطويل	عتيبة بن مرداس
فـإن فاز سهـمٌ للمنيَّة لم أَكُـنْ	جزوعـاً، وهل عن ذاك من مُتأخّر	الطويل	عروة
فـإن يَـكُ بالذنـائبِ طـال ليلي	فقد أبكـي من الليـل القصيـر	الوافر	المهلهل
فوجدتكم لِقحاً حُبسْنَ بِخُلّة	وحُبسْنَ إذ صُرّينَ غير غزار	الوافر	عروة
قعدتُ لبرقٍ آخر الليل ضوءُهُ	يُضيءُ حَبِيَّ المنجد المتغوّر	الطويل	عروة بن مرداس

كأنّ كواكب الجوزاء عودٌ	مُعَطَّفَةٌ على ربع كسير	الوافر	المهلهل
كواكبها زواحف لاغباتٌ	كأنّ سماءها بيدي مدير	الوافر	المهلهل
لحى الله صعلوكاً إذا جَنَّ ليله	مصافي المشاش آلفاً كلَّ مجزر	الطويل	عروة
هنالك لا أرجو حياةً تَسُرُّني	سميرَ اللّيالي مُبسَلاً بالجرائر	الطويل	الشنفرى
وأنقدني بياضُ الصُّبح منها	لقد أُنقِذتُ من شرٍّ كبير	الوافر	المهلهل
وتسخنُ ليلةَ لا يستطيعُ	نُباحاً بها الكلبُ إلاّ هريرا	المتقارب	الأعشى
وحتّى حَسبتُ اللّيلَ والصبحَ إذ بدا	حصانين سيّالين جَوناً وأشقرا	الطويل	حاتم
إذا احتملوا رأسي، وفي الرأس أكثري	وغودر عند الملتقى ثَـمَّ سائري	الطويل	الشنفرى
أقلّي عليَّ اللومَ يا بنة منذزٍ	ونامي، وإن لم تشتهي النوم فاسهري	الطويل	عروة
أليلتنا بذي حُسُمٍ أنيري	إذا أنتِ انقضيتِ فلا تحوري	الوافر	المهلهل
أيُسفِرُ وجهي، إنّهُ أوّلُ القِرى	وأبذلُ معروفي له دون منكري	الطويل	عُروة
ذريني أطوّفُ في البلاد لَعَلّني	أُخلّيكِ أو أُغنيكِ عن سوء محضري	الطويل	عنترة
ذريني ونفسي أُمَّ حَسّانَ أنّني	بها قبلَ أن لا أملِكَ النّومَ مشتري	الطويل	عروة
سلي الطّارق المعتّرَّ يا أُمَّ مالكٍ	إذا ما أتاني بين قِدري ومَجْزري	الطويل	عروة
أرعى النجوم وما كُلّفتُ رعيتها	وتارةً أتغشّى فضلَ أطماري	البسيط	الخنساء
دائبٌ مورُها يُصَرّفُها الغو	رُ كما تعطفُ الهجَانُ الظؤارا	الخفيف	لبيد
سنةُ أزمَةٍ تخيّلُ بالنّا	سِ ترى للعِظاةِ فيها صريرا	الخفيف	أميّة بن أبي الصّلت
عاقدين النيران في شكرِ الأذ	نابِ عمداً كيما تُهيجُ البحورا	الخفيف	أميّة بن أبي الصّلت
غشيتُ لليلى بليلٍ خدورا	وطالبتها ونذرتُ النّذورا	المتقارب	الأعشى
لا يرتدي مرادي الحرير	ولا يُرى بسدفةِ الأمير	الرجز	امرأة من قيس تهجو زوجها
يجلو الدجى، فهوى من بيننا القمرُ	كُنَّا كأنجُم ليل وسطها قمرُ	البسيط	الخنساء
ويسوقون باقر السَّهل للعو	د مهازيل خشيةً أن تبورا	الخفيف	أميّة بن أبي الصّلت
صاح ترى برقاً بتُّ أرقبه	ذات العشاء في غمائم غرّ	المنسرح	حاتم
وتكُنُد إحساني إذا هي أصبحت	فيا حبّذا من طيف سارٍ وكانز	الطويل	أبو صخر الهذلي
تلك النجوم إذا حلّتْ مطالعها	شبّهتها في سوادِ اللّيل أقباساً	البسيط	امرؤ القيس

وادّرعي جلباب ليلٍ دُحمُسِ	أسودَ داجٍ مثل لونِ السُّنْدُسِ	الرجز	
وتسمعُ ترقاءً من البومِ حولنا	كما ضُربت بعد الهدوءِ النّواقِسُ	الطويل	المرقش الأكبر
فـــأوردها من آخر اللّيــل مشــرباً	بلائقَ خُضـــَـراً ماؤُهُنّ قليـــــصُ	الطويل	امرؤ القيس
يَجّد ويستشري كأنّ وميضَهُ	وميضُ سيوفٍ في أكُفٍّ قَواطعِ	الطويل	النابغة
يسحبُ اللّيلُ نجوماً طُلَّعَاً	فيواليها بطيئات التّبَع	الرمل	سويد بن أبي كاهل
فبــتُّ كأنّي ساورتنـــــي ضئيلـــةٌ	مــن الرُّقش فــي أنيابهــا السُّمُّ ناقع	الطويل	النابغة
يُسَهَّدُ من ليل التّمام سِليمها	لحلي النّساءِ في يديهِ قعاقِعُ	الطويل	النابغة
أغـــرَّ أبلجُ يستسقى الغمــامُ بـــهِ	لو صارعَ النّاسَ عن أحلامهم صَرَعا	البسيط	الأعشى
بعثــتُ إليهـــا والنجــومُ طوالــعٌ	حـــذاراً عليها أن تقومَ فتُسمعـــا	الطويل	امرؤ القيس
أصاح تــرى بــرقاً أُريك وميضــه	يضيء سنــاهُ عن ركــامٍ دوافع	الطويل	النابغة
ومنّا رئيسٌ يُسْتَضاءُ بنــورهِ	سَناءً، وحِلمــاً فيهِ فاجتمعــا معا	الطويل	مالك بن حريم الهمذاني
يبيتُ بمغنى الوحش حتّى ألفنهُ	ويصبح لا يحمي لها الدهر مرتعا	الطويل	عروة
أرقتُ لتوماض البـــروق اللّوامــعِ	ونحنُ نَشـــَاوى بيـــن سلع وفارع	الطويل	حسّان
قعدتُ له ذات العشاء، فلم أنم	لدى مرقب من هُضب نخلةَ فارع	الطويل	النابغة
أرقتُ له حتى علمت مكانه	بأكنــاف سِلع والتــلاع الدوافع	الطويل	حسّان
وإذا ما قلتُ ليلٌ قد مضى	عطفَ الأوّلُ فيــه فرجــع	الرمل	سُويد بن أبي كاهل
قليل غرار النّوم حتّى كأنّهُ	دمُ الثأرِ أو يلــقى كُميتاً مُقنَّعــا	الطويل	تأبط شرّا
لا يسمع المرءُ فيها ما يُؤَنّسُهُ	باللّيل إلاّ نئيم البــومِ والضُّوَعا	البسيط	الأعشى
وقالوا لها لا تنكحيهِ فإنَّهُ	لأوّلُ فصــلٍ أَن يُــلاقى مُجَمَّعا	الطويل	تأبط شرّا
وليلةٍ يرهبُ الجَوّابُ دُلجتها	حتّى تراهُ عليهــا يبتغي الشِّيعَا	البسيط	الأعشى
فلـــــم ترَ من رأيٍ فتيلاً، وحاذرت	تأيُّمهـــــا مــن لامس الليل أروعا	الطويل	تأبّط شرّا
جادت لــه الدّلو والشّعرى ونوؤهمــا	بكـــلّ أسحــمَ داني الوَدْق مرتّجف	البسيط	بشر بن أبي حازم
بانــت صَــدوفُ فَقلبُـــه مخطوفُ	ونـــأت بجانبـــها عليك صــدوفُ	الكامل	سُبيع بن الخطيم
فبـــتّ على حــدّ الذراعين مُحدبــاً	كمـــا ينطـــوي الأرقمُ المتقصفُ	الطويل	الشنفرى

نُميتُ إلى أعلى ذُراها وقد دنا	من اللّيل ملتَفٌّ الحديقة أسدفُ	الطويل	الشنفرى
وأبيض من ماء الحديد مهنّدٌ	مُجدٌّ لأطراف السَّواعد مُقطفُ	الطويل	الشنفرى
واستبدَلَتْ غيري وفارَقَ أهلُها	إنَّ الغنيّ على الفقير عنيفُ	الكامل	سُبيع بن الخطيم
واستودعتك من الزّمانة أنها	ممّا تزورك نائمــاً ، وتَطُوْفُ	الكامل	سُبيع بن الخطيم
وصفراءَ من نبع أبي ظهيرة	ترنُّ كإرنان الشّجيّ وتهتف	الطويل	الشنفرى
وضَبيهِ جُرد وأخلاقُ ريطةٍ	إذا أُنهجت من جانبٍ لا تُكفّفُ	الطويل	الشنفرى
وليس جهازي غيرَ نعلين أسحقت	صدورَهُما مخصورةٌ لا تُخصَّفُ	الطويل	الشنفرى
ومرقبةٍ غيطِاءَ يقصر دونها	أخو الضَرورةِ الرجل الحفي المخفف	الطويل	الشنفرى
أدفعــها بالـــرّاح كــي تزحلفـــا	وأقطـــع اللّيـــلَ إذا مـــا أسدفـــا	الرجز	العجّاج
ياعينُ ما لكِ من شوقُ وإيراق	ومرّ طيف على الأهوال طرّاق	البسيط	تأبط شرّا
نامَ الخِليُّ وبتُّ اللّيل مُرتفقا	أرعى النُّجوم عميداً مُثبتاً أرقا	البسيط	الأعشى
نجوتُ منها نجائي من بُجيلة إذ	القيتُ ليلة خبتِ الرهطِ أوراقي	البسيط	تأبط شرّا
ليلته كُلّها حتّى إذا حَسَرت	عنه النجوم أضاء الصبح فانطلقا	البسيط	زهير
ملوكٌ، وأبناء الملوك كأنّنا	سواري نجوم طالعات بمشرق	الطويل	حسّان
وقد ركدت وسط السّماء نجومها	ركودَ فؤادي الرّبرب المتَوّرْق	الطويل	أمرؤ القيس
ومنها وأصحابي بريعان موهَناً	تْلألُؤُ برق في سَنَاً مُتألّق	الطويل	ربيعة بن الكردن
أَأُطْرَدُ نهبـــاً آخر اللّيـــــل أبتغي	عُلالـــةَ يومٍ، أو تعوق العوائـــقُ	الطويل	تأبط شرّا
ابَعْدَ قتيل العَوص آسى علـــى فتىً	وصـــاحبـــه أو يأمل الزادَ طـــارقُ	الطويل	تأبط شرّا
إذا غـــابَ منها كوكبٌ لاح بعـــدَهُ	شهابٌ متى يبدُ للأَرض تُشـــــرق	الطويل	حسّان
أرقـــتُ وما هذا السّهـــادُ المؤرّق	ومـــا بي مـــن سُقم وما بي معشقُ	الطويل	عبيد
تُشـــبُ لمقروريـــن يصيطليانـــها	وبـــاتَ على النّار النَّدى والمحلّـــقُ	الطويل	الأعشى
أرقتُ لـــــه ذات العشـــاء كأنّـــهُ	مصابَيحُ عُجـــم عند صرحٍ معلّـــقِ	الطويل	ربيعة بن الكردن
بأنيســـةٍ طُـــويت علـــى مطويّها	طـــيَّ الحمالة أو كطـــي المنْطق	الكامل	تأبط شرّا
بحليلـــة البُجْلـــيّ بـــتُّ بليلهـــا	بيـــن الإزار وكشحها ثـــمّ الصق	الكامل	تأبط شرّا
لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ	إلى ضوء نار في يَفاعٍ مُحَرَّق	الطويل	الأعشى
ليلة صاحوا وأغروا بي سِراعَهُمُ	بالعَيكتين لدى معدى ابن بّراق	البسيط	تأبط شرّا

إني إذا خُلةٌ ضنَّت بنائلها	وأمسكت بضعيف الوصف حذّاق	البسيط	تأبط شرّا
يسري على الأين والحيّات محتفياً	نفسي فداؤك من سار على ساق	البسيط	تأبط شرّا
مُوَلّيَ الريح روقيهِ وجبهته	حتّى دنا مُرزمُ الجوزاء أو خفقا	البسيط	زهير
أسهو لدائي وهمّي فهي تسهرني	بانت بقلبي وأمسى عندها علقا	البسيط	الأعشى
قطعتُ إذا ما الليل كانت نجومه	تراهنّ في جو السّماء سوامكا	الطويل	الأعشى
نأتكَ أُمامةُ إلاّ سُؤالا	وإلاّ خيالاً يُوافي خيالا	المتقارب	عمرو بن قميئة
وليل كموج البحر أرخى سدوله	عليَّ بأنواع الهمومِ ليبتلي	الطويل	أمرؤ القيس
قعدتُ له وصحبتي بين حامرٍ	وبين إكامٍ بُعدَما مُتأملي	الطويل	أمرؤ القيس
كأنّ مصفحاتٍ في ذراهُ	وأنواحاً عليهنّ المآلي	الوافر	لبيد
رهينة قعر الليل كلَّ عشيّة	يُضيفُ بيَ الولدان، أهدج كالرّال	الطويل	عروة
سقى قومي بني نجد وأسقى	نُمَيْراً والقبائلَ من هلال	الوافر	لبيد
فبات السيل يركب جانبيه	من البَقّار كالعَمَدِ اَلثّقالِ	الوافر	لبيد
فجئتُ وقد نضّت لنوم ثيابها	لدى السِّتر إلاّ لِبسة المتفضّل	الطويل	امرؤ القيس
فقلت له لمّا تمّطى بصلبه	وأردف أعجازاً وناء بكلكل	الطويل	امرؤ القيس
فيا لك من ليل كأن نجومه	بكل مُغار الفتل شُدّت بيذبل	الطويل	امرؤ القيس
كأنّ الثريّا عُلّقت في مَصامِها	بأمراس كتّان إلى صُمّ جندل	الطويل	امرؤ القيس
كأن المدامَ وصوبَ الغمام	وريحَ الخُزامى، وذوبَ العسل	المتقارب	امرؤ القيس
لطيفةُ طيّ الكشح غيرُ مُفاضَةٍ	إذا انفَتَلتْ مرتَجَّةً غيرُ مِتفالِ	الطويل	امرؤ القيس
نظرتُ إليها والنّجومُ كأَنَّها	مصابيحُ رُهبانٍ تُشَبُّ لقفّال	الطويل	امرؤ القيس
وأضحى يَسحُّ الماء عن كُلِّ فيقَة	يكُبُّ على الأذقان دوحَ الكنهبَل	الطويل	امرؤ القيس
وألقى ببيسان مع الليل بركهُ	فأنزل منه العُصْمَ من كُلِّ منزل	الطويل	امرؤ القيس
وحطّ وحوشُ صاحة من ذُراها	كأنّ وعولها رُمْك الجمال	الوافر	عبيد
وسَوّاها، وزّينَها بنور	من الشّمس المضيئة والهلال	الوافر	أمية بن أبي الصلت
وكان مَجُودٌ كالجلاميد بعدما	مضى نصف ليل بعد ليل مُلَيَّل	الطويل	عمرو بن شأس
ويا رُبَّ يوم قد لهوتُ وليلة	بآنِسَة كأنّها خطّ تمثال	الطويل	امرؤ القيس
يضيءُ ربابُهُ في المُزن حُبشاً	قياماً بالحراب وبالإلالِ	الوافر	لبيد

يضيءُ سناهُ أو مصابيحُ راهب	أهان السَّليطَ في الذُّبال المفتَّل	الطويل	امرؤ القيس
أزور إذا ما أعطشَ الليـــلُ خُلّتـــي	حِظار العدى، أو أن يُرَحَّـم قاتـــلُ	الطويل	عنترة
أقيمـوا بني أمّـــي صدور مطيكم	فإنّـــي إلى قوم سواكـــم لأميـلُ	الطويل	الشنفرى
حـــاربيني يـــا نائبات اللّيالـــي	عـــن يميني، وتارةَ عن شِمالـــي	الخفيف	عنترة
أليس ورائـي أن أدب على العصـا	فَيَشْمَـــتَ أعدائي ويسأمَني أهـــلي	الطويل	عروة
فعـــاذ بحدِّ السيف صاحـب أمرهم	وخلـــوّا عن الشيء الذي لم يحاولوا	الطويل	تأبط شرّا
فـــذاك تبَـــذّلُ مـــن وَدِّهـــا	ولـــو شهـــدت لـم تواتِ النّوالا	المتقارب	عمرو بن قميئة
وخَبِّر عن عبيلةَ أين حَلَّتْ	وما قَطَعَتْ بها أيدي الليالي	الوافر	عنترة
ليالي إذ تصبي الحليم بدلّها	ومشيَ خزيل الرّجع فيه تفاتل	الطويل	المزرد بن ضرار
وبيضاءُ فيها للمخارم صِبوةٌ	ولهو لمن يرنو إلى اللهو شاغلُ	الطويل	المزرد بن ضرار
فأيّمـــتُ نســـواناً وأيتمت وِلـــدةً	وعـــدت كمـا بَدّأتُ والليلُ أليـلُ	الطويل	الشنفرى
فقـــد حُمّت الحاجات والليـل مقمرُ	وشدّت لطيّـــات مطايـا وأرْحُلُ	الطويل	الشنفرى
في ليلة مطلع الجوزاء أوّلها	دهماء لا قرحٌ فيها ولا رِجْلُ	البسيط	الكميت
لعمرك ما في الأرض ضيقٌ على امرئ	سرى راغباً أو راهباً وهو يعقلُ	الطويل	مغلس الفقعسي
ما ثَرّةٍ قالوا يُرَدُّ عليهمُ	واللّيل مختلط الهياطِ أليّلُ	الكامل	
هاجت له من جنوح اللَّيْل رايحةٌ	لا الضَّبُّ مُمتنعٌ فيها ولا الوَرَلُ	البسيط	الكميت
وأخطأهم قتلي، ورفّعتُ صاحبي	على اللّيل، لم تُؤخذ عليَّ المخاتلُ	الطويل	تأبط شرّاً
وبلدةٍ مثلِ ظهر الترس موحشَة	للجنّ باللّيل في حافاتها زَجَلُ	البسيط	الأعشى
وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى	وفيها لمن خافَ القِلى مُتَعَزّلُ	الطويل	الشنفرى
وقلتُ له كُنْ خلف ظهري فإنّني	سأفديكَ وانظر بعدُ ما أنت فاعلُ	الطويل	تأبط شرّاً
ولستُ بمحيار الظّلام إذا نَحَتْ	هُدى الهوجَل العِسِّيف بهماءُ هوجلُ	الطويل	الشنفرى
ولي دونكم أهلون سيدٌ عَمَلّسٌ	وأرقطٌ زهلولٌ وعرفاءُ جيألُ	الطويل	الشنفرى
وليلة نحس يصطلي القوسَ ربُّها	وأقطَعَها اللائي بها ينتّبلُ	الطويل	المهلهل
يُعَلُّ به بردُ أنيابها	إذا النّجمُ وسط السّماء استقلّ	المتقارب	امرؤ القيس
أحـــار ترى برقاً كأنَّ وميضـــه	كلمـــع اليديـــن فـــي حَبِيٍّ مُكلّلِ	الطويل	امرؤ القيس
أدهـمٌ يصـــرعُ الدُّجـى بجـــواد	بين عينيـــه غُـــرَّةٌ كالهـــلال	الخفيف	عنترة

إذا ما الثريـــّا فـــي السَّماء تعرضت	تعرّضَ أثنـــــاء الوشاح المفصـّلِ	الطويل	امرؤ القيس
إذا ما الضجيع ابتزهـــا من ثيابهـــا	تميـــل عليـــه هونةً غيرَ مِجبـــالِ	الطويل	امرؤ القيس
أرقـــتُ لـــه وأنجدَ بعـد هـــدّءِ	وأصحابـــي على شُعَبِ الرّحـــال	الوافر	لبيد
أريحيٌّ صلتٌ، يظل لـــه القـــو	مُ ركـــوداً، قيـامـهم للهـــلال	الخفيف	الأعشى
أصـــاح تـــرى بُرَيقاً هبَّ وهنـــاً	كمصبـــاح الشُّعيلـــة في الذّبـال	الوافر	لبيد
أقـــول وصوبُـــه منّـــي بعيـدٌ	يحـــطُّ الشـــتَّ مـن قُلَلِ الجبال	الوافر	لبيد
ألا أيّهـــا الليـل الطويل ألا انجـلي	بصبـح، وما الإصبـاح منك بأمثل	الطويل	امرؤ القيس
تضـــيء الظّلامَ بالعشـــاء كأنّهـــا	منـــارةُ ممسى راهب مُتَبَتـّـــلِ	الطويل	امرؤ القيس
تـــلك الليالي لـــم يمُرّ حديثـها	بوليـــد قوم شاب قبـــل المحمل	الكامل	عنترة
رعـــَوهُ مربعـــاً وتصيَّفـــوهُ	بـــلا وبَإٍ سُمَيَّ، ولا وبـــال	الوافر	عبيد
يوافي مع الليـــل ميعـــادها	ويأبى مع الصّبح إلاّ زِيالا	المتقارب	السُّليك
إذا أدلجـوا لِحـوالِ الحـــوار	لم تُلفِ في القومِ نِكساً ضئيلاً	المتقارب	
وَسِناناً إذا تعسَّفتُ في اللّيـــــ	ـــــلِ هداني وردّني عن ضلالي	الخفيف	عنترة
ليست بطـالعة لها في رِسْلِها	إلاّ معذّبَةً، وإلاّ تُجلدُ	الكامل	أميّة بن أبي الصلت
ينام الضحى حتى إذا اللّيلُ استوى	تنبّهَ مثلوج الفؤاد مُثَلَّما	الطويل	عروة
أتاني طيف عبلـــةَ في المنـــــامِ	فقبّلَني ثلاثـــا فـــي اللَّثـــام	الوافر	عنترة
أرقـــاً بتُّ مـــا ألذُّ رُقـــادا	تعترينـــي مُبَرَّحـــاتٌ الهمـــومِ	الخفيف	الحارث بن حلّزة
أنـــت الذي كلفتنـــي دلـــجَ السُّـرى	وجَـــوْنُ القطا بالجهلتين جثـــوم	الطويل	عنترة
أولئـــك معشـــري كبنـــات نعش	خـــوالفُ لا تنوء مـــع النجـوم	الوافر	الأعشى
تتلظّـــى، ومثلهـا فـــي فـــؤادي	نـــارُ شوق تـــزداد بالتَّصْـــريم	الخفيف	عنترة
جَـــرَّبْتُ أبيضَ يُستسقى الغَمامَ بـــه	مـــن آلِ جفنةَ في عزٍّ وفـــي كرم	البسيط	النابغة
لحى الله صعلوكاً مُناهُ وهمُّهُ	من العيش أن يلقى لبوساً ومطعما	الطويل	حاتم
مُقيماً مع المثرين، ليس ببارحٍ	إذا كان جدوى من طعامٍ ومجثما	الطويل	حاتم
من الدُّهمِ، رجَّافٌ كأنَّ ربابَهُ	جبالَ الشّرى، يُرمى إليه ويرتمي	الطويل	المزرد بن ضرار
وودّعني فأودعني لهيباً	أُستِّرُهُ ويُشعل في عظامي	الوافر	عنترة
يسودُ ويرقى في وراءٍ غَمامُهُ	ركامٌ تصدّاهُ الجنوبُ وترتمي	الطويل	عتبة بن مرداس

حيـــنَ قالـــوا: زهير ولّى قتيـــــلاً	خيّـــم الحُـــزنُ عندنـــا وأقامـــا	الخفيف	عنترة
خُسِفَ البـــدرُ حين كـــان تمامـــا	وخَفِـــيَ نورُه، فكان ظلامـــا	الخفيف	عنترة
لم أغْتَمِضْ طولها حتى انقضت	أكلؤها بعدما نام السَّليمُ	مجزوء البسيط	المرقش الأصغر
وليل بهيم قد تسربلتُ هَولَهُ	إذا الليلُ بالُنّكسِ الضعيف تجهما	الطويل	حاتم
وليـــلةٍ بتهّـــا مُسْهِرَةٍ	قد كررتها على عيني الهمومُ	مجزوء البسيط	المرقش الأصغر
أصـــبٌ علـــى قبريكمـــا من مُدامةٍ	فإن لـــم تذوقـــاها أبُلٌ ثراكمـــا	الطويل	قِسّ بن ساعدة
أقيـــمُ علـــى قبريكمـــا لستُ بارحـــاً	طـــوال الليالـــي أو يجيب صداكما	الطويل	قِسّ بن ساعدة
ودراريّ النُّجوم غارت وغابت	وضياء الآفاق صارَ قتاما	الخفيف	عنترة
وكنّا نجوماً، كلَّما أنقضَّ كوكبٌ	بدا زاهرٌ منهُنّ ليس بأقتما	الطويل	عامر المحاربي
فأُقسِـــمُ أن لـــو التقينـــا وأنتـــمُ	لكـــان لكـــم يومٌ مر الشرِّ مظلم	الطويل	
فأمّـــا إذا ما هجَّـــرتْ عجرفيـــةٌ	قَعَـــدتُ له ذات العشاء فـــم أنـــم	الطويل	
فـــدع ذا، ولكن هل ترى ضوء بارق	يُجَلّـــي سناهُ عـــن سحابٍ مركّم	الطويل	المزرد بن ضرار
فما نام ذاكيه، وما زلتُ قاعداً	وما زال ينمي في طريقٍ مُسَلَّم	الطويل	المزرد بن ضرار
قعدتُ له من آخر الليل بعدما	علا النّجمُ أفراع الذرى من يلملم	الطويل	المزرد بن ضرار
هذه نارُ عبلة يا نديمي	قد جلت ظُلمةَ الظّلام البهيم	الخفيف	عنترة
ولقد هممتُ بغادة في ليلة	سوداءَ حالكةٍ كلون الأدلمِ	الكامل	عنترة
أُضمر وجدي في فؤادي وأكتمُ	وأسهر ليلي والعواذل نوّمُ	الطويل	عنترة
حتّـــى يبيتّ القـــومُ في الصَّفِّ ليلةً	يقولـــون نوُرْ، صُبْحُ واللّيلُ عاتـــمُ	الطويل	الأعشى
ذَعَـــرْتَ ظبـــاءَهُ مُتَغّـــورات	إذا ادَّرَعـــتَ لـــوامعُها الإكـــامُ	الوافر	بشر بن أبي خازم
وخرق تعزفُ الجنّانُ فيه	فيا فيهِ يطيرُ بها السِّهامُ	الوافر	بشر بن أبي خازم
ولست بأطلس الثوبين يُصبي	حليلته إذا هجع النّيامُ	الوافر	أوس بن حجر
وليس بطارقِ الجارات منّي	ذُبابٌ لا يُنيمُ ولا ينامُ	الوافر	أوس بن حجر

وما كان بي ما كان واللّيلُ مُلْبسٌ	رواقٌ له، فوق الإكام بهيمُ	الطويل	حاتم
إذا عينـــــان فـــي رأس قبيـــح	كـــرأس الهـــرِّ مشقوق اللّســان	الوافر	تأبط شرّا
ألا مــن مبلـــغٌ فتيـــانَ فَهْـــمٍ	بمـــا لاقيـــت عند رحى بطان	الوافر	تأبط شرّا
تُرى هل عرفت اليـــومَ مقتلَ مالك	ومصـــرَعَهُ فـــي ذِلَّة وهـــوان	الطويل	عنترة
تطـــاول اللّيـــلُ علـــى دَمـــوّنْ	دمّونُ إنّـــا معشـــرٌ يمانـــون	الرجز	امرؤ القيس
تُعاطـــي الضّجيـــعُ إذا أقبَلـــتْ	بُعَيْـــدَ الرُّقـــادِ، وعند الوســـن	المتقارب	الأعشى
قفي نسألْكِ هل أحدثتِ صَرْماً	لوشكِ البين أم خُنتِ الأمينا	الوافر	عمرو بن كلثوم
ألا عَتَبَـــتْ عَلَـــيَّ اليومَ عِرســـي	وقـــد هبـــّتْ بليـــلٍ تشتكينـــي	الوافر	عبيد
ألـــم تأرق لـــذي البرق اليمانـــي	يلـــوح كأنّـــهُ مِصبـــاح بانـــي	الوافر	**عمرو بن كعب**
فقلـــت لها: كلانـــا نضـــو أيـــن	أخـــو سفر فخلـــي لي مكانـــي	الوافر	تأبط شرّا
فلـــــم أنفـــــكَّ متّكئاً عليهـــا	لأنظـــر مصبحـــاً ماذا أتانـــي	الوافر	تأبط شرّا
ديـــارٌ لهنـــدٍ والرّبـــاب وفرتنـــى	ليالِينـــا بالنَّعفِ مـــن بـــدلان	الطويل	امرؤ القيس
وســـاقا مخدج وسُواةُ كلبٍ	وثوبٌ من عَبَاءٍ أو شنان	الوافر	تأبط شرّا
فأضربهـــــا بلا دهش فخـــرّتْ	صريعـــاً لليديـــنِ وللجران	الوافر	تأبط شرّا
فـــإن كان حقّـــاً فالنجـــوم لفقـــده	تغيـــبُ ويهـــوي بعده القمـــران	الطويل	عنترة
فقالـــت عد: فقلـــت لهـــا رويداً	مكانـــك إننـــي ثبتُ الجنـــان	الوافر	تأبط شرّا
لقد كان يوماً أسْوَدَ اللّيل عابساً	يخافُ بلاهُ طارقُ الحدثان	الطويل	عنترة
لمن طلل أبصرتُهُ فشجاني	كخطّ زبور في عسيب يمان	الطويل	امرؤ القيس
وإنّي قد لقيتُ الغولَ تهوي	بِسُهْبٍ كالصّحيفة صحصحان	الوافر	تأبط شرّا
وقد هتفت في جُنحْ ليل حمامةٌ	مُغرِّدَةٌ تشكو صروفَ زمان	الطويل	عنترة
وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخوهُ	لَعَمْرُ أبيكَ إلاّ الفرقدان	الوافر	عمرو بن معديكرب
صليفيـــةً طيِّبـــاً طعمُـــها	لهـــا زَبَدٌ بيـــن كـــوبٍ ودَنّْ	المتقارب	الأعشى
ودارِيةٍ قَفرٍ كأنَّ الصدى بها	إذا ما دعا عند المساء حزين	الطويل	امرؤا القيس
يا طائراً قد بات يندبُ إلفَهُ	وينوحُ وهو مُوَلَّهٌ حيرانُ	الكامل	عنترة
يا عبلُ ما دام الوصال لياليا	حتى دهانا بعدهُ الهجرانُ	الكامل	عنترة
يصبُّ لها الساقيان المزا	جَ منتصف اللّيل من ماء شَنّ	المتقارب	الأعشى
أفـــي ليلـــى يعاتبنـــي أبوهـــا	وإخوتـــها، وهـــم لي ظالمونـــا	الوافر	عمرو بن كلثوم

فَشدَّتْ شدَّةً نحوي فأهوى	لها كفّي بمصقولٍ يماني	الوافر	تأبط شرّا
ليالِيَ يدعوني الهوى فأجيبُهُ	وأعينُ من أهوى إليّ روانِ	الطويل	امرؤ القيس
وقد عَلِمَتْ أن لا انقلابَ لرحلها	إذا تركت من آخر اللّيل دارها	الطويل	عروة
وليس على داري حجابٌ يُكنُّها	لمستوبصٍ ليلاً، ولكن أَنيرها	الطويل	حاتم
في كلِّ واد بين يَثْـــــــــ	ـــــربَ فالقصور إلى اليمامْه	مجزوء الكامل	عبيد
كم ليلة سرتُ بالبيداء منفرداً	واللّيل للغرب قد مالت كواكبُهُ	البسيط	عنترة
وأبيضَ فياضٌ يداهُ غمامةٌ	على مُعْتَفيه، ما تُغَبُّ نوافله	الطويل	زهير
ولقد طرقتُ الحيَّ بَعْـــ	ـــدَ النّوم تنبحني كلابُه	مجزوء الكامل	الأعشى
يا صاحب البكر البعيد مذهُبه	ما عنده من ذي رشادٍ يصحبه	الرجز	عبيد
رحـــلنا من الأجبال، أجبـــال طيّء	نســـوق النساء عَوْدَها وعِشـارَها	الطويل	عروة بن الورد
رفعـــتُ لـــه ناري، فلما اهتدى بها	زجرتُ كلابـــي أن تهرَّ عقـورُها	الطويل	عوف بن الأحوص
سنلهـو بليلـــى والنّـوى غيرُ عُربة	تضَمّنَهـــا من راحتين جمادهـــا	الطويل	عبد الله بن عنمة
شمسٌ إذا طلـــعتْ سَجَدْتُ جلالـــةً	لجمالـــها، وجلا الجمالُ طلـوعها	الكامل	عنترة
إذ أنتـــمُ بـــاللّيـــل ســـرّا	ق، وصبـــحُ غـــد صـــراره	مجزوء الكامل	الأعشى
تطريـــبُ عـــان، أوصيـــا	حُ مُحـــرَّق أو صوت هامـــهْ	مجزوء الكامل	عبيد
دونـــكَ هـــذا البكْرُ مِنّـــا تركّبُـــه	حتّـــى إذا اللّيـــلُ تَولّى غيهبُبْـــه	الرجز	عبيد
علـــى إثْرِحيّ لا يرى النّجمَ طالعـــاً	مـــن اللّيـــل إلاّ وهو باد منازلُـــهْ	الطويل	الطفيل الغنوي
في ليلةٍ لا يُرى بها أحدٌ	يَسعى علينا كواكبها	المنسرح	أُحيحة بن الجلاّح
كأنّي أُقاسي من سوابق عبرةٍ	ومن ليلةٍ قد ضاف صدري همومُها	الطويل	المثقب العبدي
كم ليلةٍ عانقتُ فيها غادةً	يحيا بها عند المنام ضجيعها	الكامل	عنترة
ليالي ليلى إذا هي الهمُّ والهوى	يريد الفؤاد هجرها، فيصادها	الطويل	عبد الله بن عنمة

ومستنبحٍ يخشى القُواءَ ودونه	من اللّيل بابا ظُلمة وسُتورُها	الطويل	عوق بن الأحوص
ومنكِ هُدوُّ اللّيل برقٌ فهاجني	يُصَرِّعُ رُمكاً مستطيراً عقورها	الطويل	ساعدة بن جؤية
يا ليتني إذا هجع الناسُ	ونام الكلابَ صاحبُها		أحيحة بن الجلاّح
تـــرى كُلَّ بيضـــاء العوارض طفلة	تُقَـــرّي إذا نـــال السَّماك صدارها	الطويل	عروة
تُـــرَدُّ بأثنـــاء كـــأنّ نجومـــها	حيـــارى، إذا ما قُلتُ غاب نجومُها	الطويل	المثقب العبدي
أبلغ لديـــكَ عامراً إن لقيتـــها	فقـــد بلغت دارُ الحفـــاظ قرارها	الطويل	عروة
أرقـــتُ لـــه إذا مـــا عروضُـــهُ	تحـــادث هاجتهـــا بروقٌ تهيجها	الطويل	ساعدة بن جؤية
أشـــتٌ بليلـــى هجـــرها وبعـــادها	مـــا قـــد تواتينا وينفع زادُهـــا	الطويل	عبد الله بن عنمة
دعـــوت أبا المغوار في الحفر دعـــوةً	فما آب صـــوتي بالّذي كنت وافيا	الطويل	عبيد
أظنُّ أبـــا المغوار فـــي قعر مُظـــلم	تجُـــرُّ عليـــهِ الذاريات السوافيـــا	الطويل	عبيد
ألـــمَّ خيـــالٌ مَوْهناً مـــنْ تُماضرا	هُـــدُوّاً، ولم يطرق من الليل باكيـــا	الطويل	أوس بن حَجَر

بسم الله الرحمن الرحيم

Faculty of Graduate Studies

Al-Quds University

Department of Arabic Language

Night in the Pre-Islamic poetry

By

Ibrahim Raghib Naji Milhim

Masters thesis

Jerusalem – Palestine

2006 AD